السعادة على طبق من ذهب

كيف أنال سعادة الدنيا ونعيم الآخرة؟

تأليف

محمود بن عبد الخالق زلط

مكتبة بستان المعرفة

طباعة ونشر وتوزيع الكتب

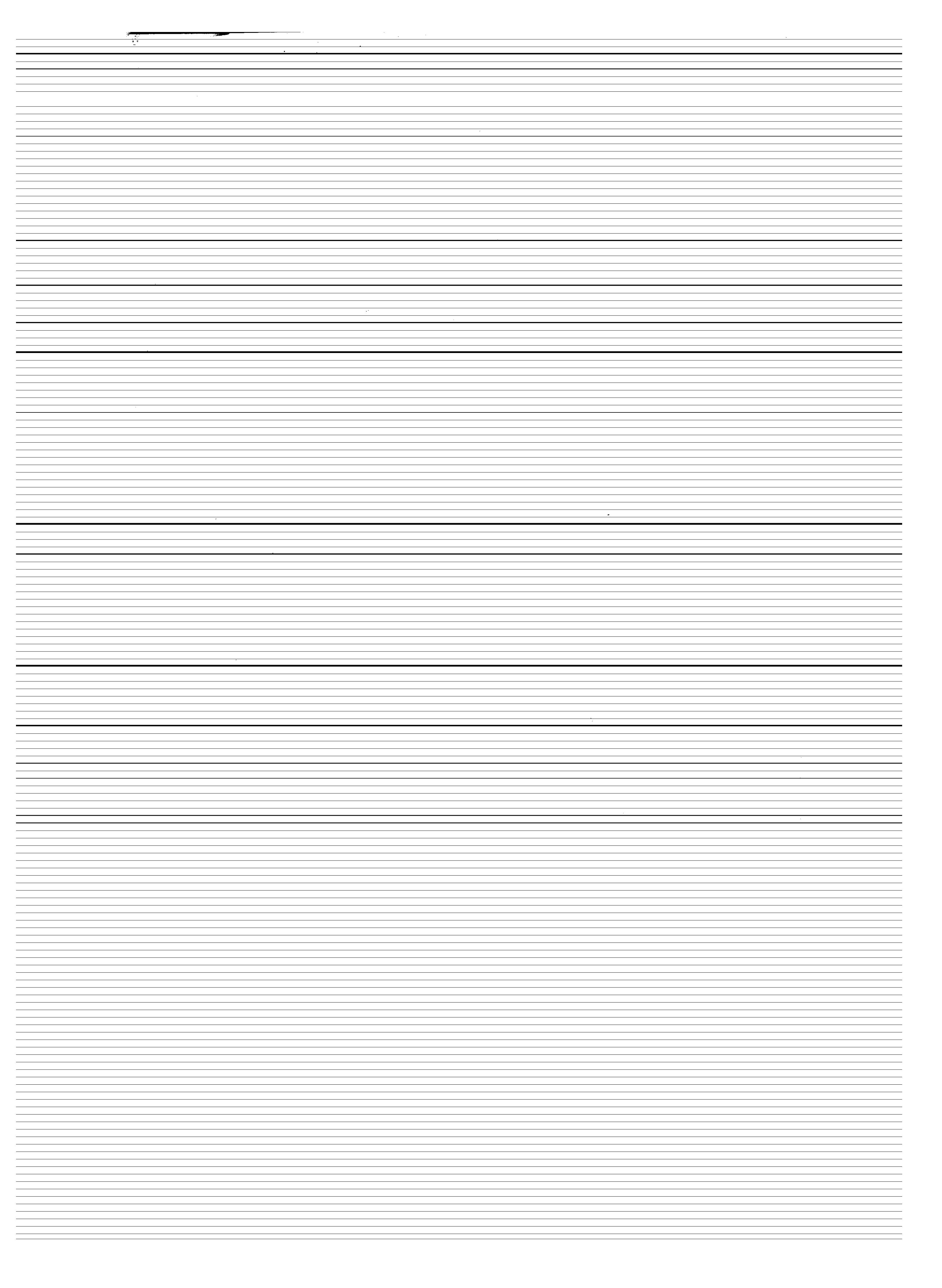
☎: ٠٤٥/٢٢٢٤٢٢٨

٠١٢٣٥٣٤٨١٤& ٠١٢١١٥١٢٣٧

اسم الكتاب	السعادة على طبق من ذهب
اسم المؤلف	محمود عبد الخالق زلط
رقم الإيداع	٢٠٠٤/٥٤٤١
الترقيم الدولى	I.S.B.N 977-6015-87-5
الطبعة	الأولى
الناشر	مكتبة بستان المعرفة كفر الدوار — الحدائق — ٦٧ ش الحدائق بجوار نقابة التطبيقيين تليفون: ٠٤٥/٢٢٢٤٢٢٨ الإسكندرية ٠١٢٣٥٣٤٨١٤



السعادة على طبق من ذهب



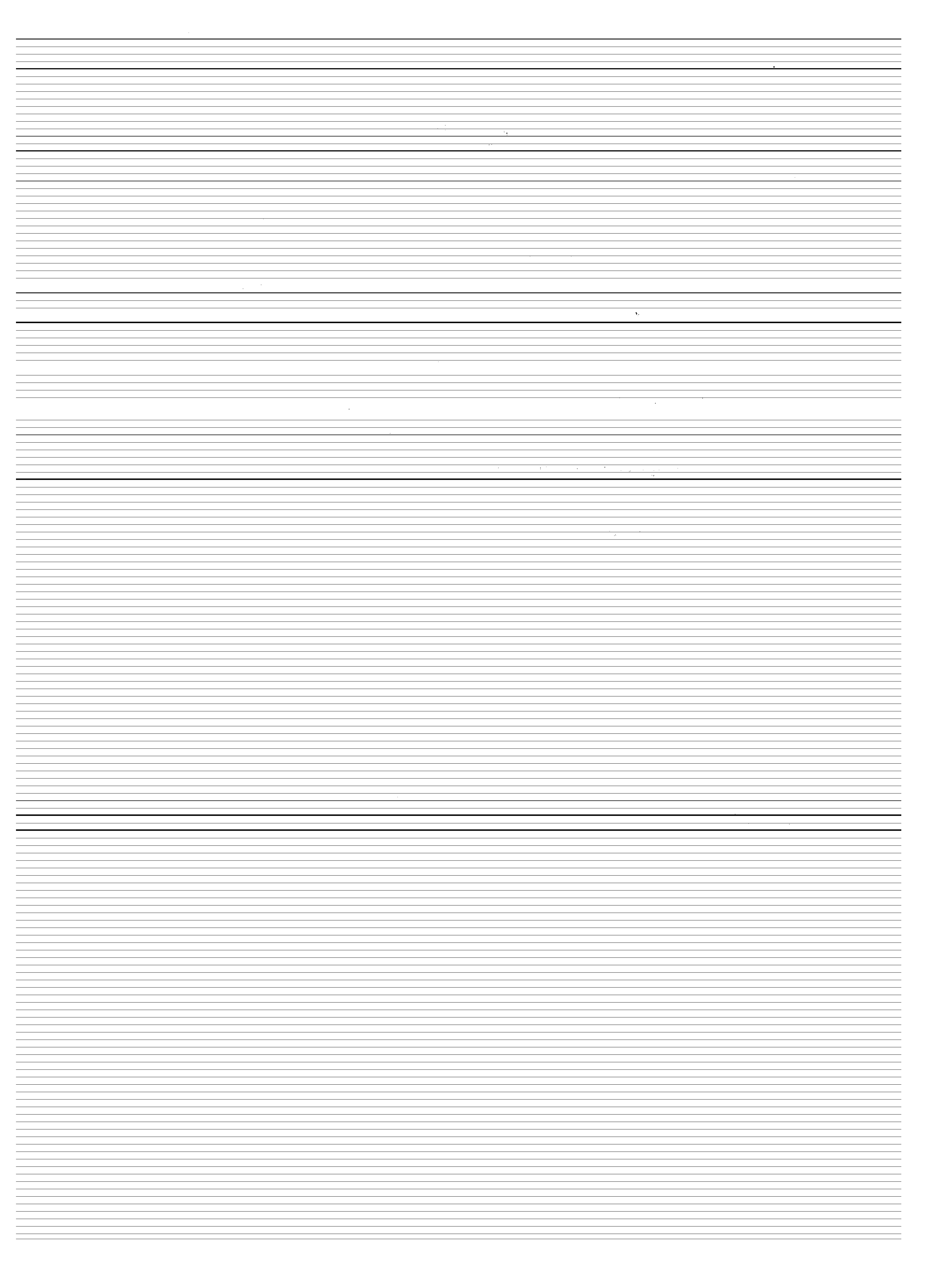
إهداء

إليك يا أبتاه.....

إن قبلاتك لى وأنا طفل صغير. لا تزل تشعرنى بالسعادة طوال الساعات وعصاك التى علمتنى بها وأنا صبى... لا أزال أشعر بحرارتها بمرور الأوقات ونصائحك التى وجهتها إلى وأنا شاب مراهق... لا تزال تتردد على أسماعى كالنغمات اما وقد أصبحت الآن رجلاً... فلا ولن أكلّ سؤال ربى لك بالرحمات وأن يدخلك فسيح الجنات...

فاستجب لى يا مجيب الدعوات

المؤلف



مقدمة

الحمد لله رب العالمين. أضاء لنا الطريق بنور الحق واليقين وآتانا الكتاب المستبين وهدانا الصراط المستقيم، وأعزنا بالإسلام والدين فقال: "ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين". وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبدالله ورسوله وخاتم الأنبياء والمرسلين وسيد الخلق أجمعين، وحبيب رب العالمين، تشرف بدعوة تسامى بها إلى الملأ الأعلى لتكون معجزة له إلى يوم الدين. وبعد:

فإن السعادة هى غاية كل إنسان، وهدف كل حى على وجه الأرض، فالجميع يبحث عنها، فالملك يبحث عن السعادة والخفير يبحث عنها، الغنى يبحث عن السعادة والفقير يبحث عنها، الشريف يبحث عن السعادة والوضيع يبحث عنها، وكذلك الحاكم والمحكوم والسيد والمسود، والحاجب والوزير... فالكل ينشدها.

إذن فالسعادة هى الشئ الوحيد الذى يطلبه كل إنسان أياً كان وأينما كان، فالكل يسأل أين السعادة؟

وإذا كانت السعادة حاجة من حاجات الإنسان فإنها ليست كأى حاجة، وإنما هى من ضروريات الحياة وبدونها لا يكون للحياة أى قيمة... وكما يقول الأقتصاديون إن الحاجة هدف متحرك يجرى وراءه الإنسان، فكلما اقترب منه ابتعد، أو كلما حصل عليه أراد غيره.

أما السعادة فليست هكذا فمن وجدها استغنى بها عن كل شئ، وهى ليست هدف متحرك مثل كل الحاجات الأخرى وإنما هى هدف ثابت ولكنه قد

يغيب عن بعض الأنظار... ولذا فإن مهمتى الأولى فى هذا الكتاب هو البحث عن السعادة التى ينشدها الإنسان.

ولكن إذا حددنا الهدف يلزم أن نتحرك متجهين إليه، ولكى نتجه إليه لابد لنا من وسيلة نصل بها إليه... ولذا فإن مهمتى الثانية هى تحديد الوسائل التى تصل بنا إلى هذا الهدف.

ومن هنا تناولت الموضوع فى مراحل العمر المختلفة وفى الأحوال المختلفة... وتقديراً لدور الشباب وأهميته فى هذه الأمة، الذى هو بمثابة العمود الفقرى لها، كان لى وقفات طويلة مع الشباب...

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا جميعاً السعادة فى الدنيا والآخرة، وأن ينفعنا بهذا العمل، وأن يتقبله منا خالصاً لوجهه الكريم... وأستغفر الله لى ولكم.

المؤلف

أين السعادة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فقد كتبت هذه الرسالة خاصة لأتحدث عن موضوع يثير اهتمام كل واحد منا سواء كان صغيرا أو كبيراً، شاباً كان أو شيخاً، رجلا كان أو امرأة، غنياً أو فقيـــراً، ملكاً أو خفيراً، حاجباً أو وزيراً، شريفاً أو وضيعاً، ألا وهو الســـعادة التـــى يبحث عنها الجميع، فكلنا يريد أن يعيش سعيداً فى دنياه وفى أخراه أيضاً...، نعم كلنا يريد سعادة الدارين، ولكن كيف أجد السعادتين؟ فهناك من يظـــن أن من عاش سعيداً فى الدنيا هلك فى آخرته، وهو يقول أن من تمتـــع بـــدنياه، ووصل إلى كل ما يتمناه، فقد خسر آخراه ... وهو بذلك مخطئ، لأنه يرى السعادة بامتلاك الأموال والأطيان وارتقاء المراكز العالية...، وكل هذا مـــن وجهة نظره لا يمكن لأحد الوصول إليه إلا عن طريـــق لا يرضـــى الله ولا يرضى رسوله.

وترى الفريق نفسه يرى أن سعادة الآخرة تتطلب فى الحـــال نفســـه حياة الزهد والتقشف والعزلة، وعدم التمتع بالحياة الدنيا، والانقطاع للعبـــادة فهؤلاء يرون أن من يتمتع بأحد شطرى السعادة، لا يستطيع أن ينال الشطر الآخر، فالسعادة فى نظرهم شئ صعب المنال؛ من حصل على جزءٍ منه لا يستطيع الحصول على الجزء الآخر.

ولكن الحقيقة التى لا جدال فيها أن سعادة الـــدنيا لا تمنـــع ســـعادة الآخرة، كما أن سعادة الآخرة لا تمنع سعادة الدنيا، فهما تسيران فى اتجـــاه واحد لا تعارض بينهما، ولا تعطيل لإحداهما بالأخرى... وهذا هو ما يبحث عنه الجميع، فكلنا يطلب سعادة الدنيا والآخرة.

ولهذا لا يمكن فصل سعادة الدنيا عن سعادة الآخرة، ولابد أن نعلم أنهما مقترنتان لا تفترقان أبداً، ولكنهما يختلفان قوة وضعفاً بطول وقصر المدة، فسعادة الدنيا بزمنها القصير وهى العمر القصير، ولكنها سعادة لا ننكرها ولا غنى عنها، أما سعادة الآخرة فهى سعادة أبدية بأبدية الحياة الآخرة، لأنها حياة دائمة كما يقول الحق تبارك وتعالى عنها أنها دار الحيوان فى قوله تعالى ﴿**وإن الدار الآخرة لهى الحيوان**﴾[1] فسعادتها أهم وأغلى من السعادة الدنيوية، ولكن بحثنا عنها لا يضيع علينا سعادة الدنيا، بل إن البحث عن سعادة الآخرة فى حد ذاته سعادة فى الدنيا.

ولقد حاول الكثير منا البحث عن السعادة والوصول إلى المكان الذى يجدها فيه، فبحث كل واحد بطريقة مختلفة، فظن البعض أنه سيجدها فى المال وظن آخرون أنها فى الجاه والسلطان، وظن غيرهم وجودها فى إتباع الهوى والتمتع بالحياة من غير أى قيود، ويرى فريق آخر أنها فى الحرية التى لا يعصمها دين ولا عرف، وفى الاتجاه المخالف نجد أناساً تركوا سعادة الدنيا وعاشوا بعيداً عن الحياة والمجتمع، وانقطعوا للعبادة أملاً فى سعادة الآخرة.

ولكن دعنا نسأل أنفسنا سؤالاً... هل يمكن لأحدنا أن يعيش سعيداً فى الدنيا والآخرة؟ وكيف يتحقق ذلك؟

نعم، يمكن للإنسان أن يعيش سعيداً فى الدنيا والآخرة، ولا تنقص إحداهما من الأخرى شيئاً كما أنها لا سعادة فى الدنيا إلا بسعادة الآخرة...

---

[1] العنكبوت: ٦٤

الإيمان والسعادة

ولكن... كيف تتحقق لنا سعادة الدنيا والآخرة؟

إن هذا سؤالاً قد تولى الحق سبحانه وتعالى الإجابة عنه بنفسه فقال فى كتابه العزيز: ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾[1] ويقول فى عكس ذلك ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾[2] فمن يعبد الله ويعمل صالحاً فإنه يحيا حياة طيبة، سعيدة فى الدنيا ويدخل الجنة فى الآخرة... على عكس من يعرض عن ذكر ربه فإنه له معيشة ضنكاً، حياة لا يذوق فيها طعم السعادة، وليس له فى الآخرة إلا الشقاء.

وأريد هنا أن ألفت النظر إلى شئ هام وهو أن الله سبحانه وتعالى عندما تحدث عن حياة الصالحين فذكر كلمة "حياة" وعندما تكلم عن حياة العاصين ذكر كلمة "معيشة" والمعيشة والعيش والمعاش كلها تطلق على حياة الحيوان فقط. فلا يقال معيشة الملائكة. وتطلق كذلك على ما به الحياة كالطعام والشراب ولذا فإن حياة هؤلاء العاصين مثل حياة الحيوان لا هدف فيها إلا الطعام والشرابُ والشهوات. ولذا قال سبحانه وتعالى فى آية أخرى: ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾[3]

---

[1] (سورة النحل آية:٩٧)
[2] (طه:١٢٤)
[3] محمد آية ١٢

وأنا فى حديثى عن السعادة تعمدت أن أقرن سعادة الدنيا بالسعادة الأخروية لأن هذا هو غاية السعادة، ونحن عندما نحلم لا نحلم بالقليل، ولكن نحلم بأكثر شئ يمكن تحقيقه... وفى نظرى أن السعادة ليست شيئاً مستحيلاً. بل إن كل شخص يستطيع إسعاد نفسه فى الدنيا والآخرة، بل إنه يستطيع إسعاد كل من حوله.

فلا يقتصر نظرك على سعادة الدنيا دون الآخرة أو العكس ولتطمع فى سعادة الدنيا والآخرة معاً — وإن كانت سعادة الآخرة أولى — فمن بحث عن سعادة الدنيا فقط فلن يصل إليها، ومن بحث عن سعادة الآخرة سيصل إلى السعادتين، ومن بحث عن الاثنين سيصل إليهما إن شاء الله.

الطريق إلى السعادة

ولكن المهم هو.. أين أجد السعادة الكاملة التى هى سعادة الدارين؟...
وهنا لابد أن نرجع إلى أصل الوجود فى هذه الحياة فلتسأل نفسك لماذا خلقنا الله... فلو رجعت إلى السبب لاطمأن قلبك وهدأت نفسك، وقد أجاب الله سبحانه وتعالى عن هذا السؤال أيضاً بقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[١] فأجاب بأسلوب القصر الذى يفيد التخصيص والتوكيد، فهو سبحانه وتعالى لم يخلقنا إلا لعبادته.. ثم هو كفيل برزقنا.

ولكن الناس لم يشغلوا أنفسهم بهذا السبب، وإنما شغلوا أنفسهم بالرزق، وكان هذا هو سبب شقائهم، وسبباً فى متاعبهم ولكن الله سبحانه وتعالى لأنه يعلم بما سيدور فى عقول عبادة، فأراد أن يقصر عليهم الطريق فقال فى كتابه العزيز ﴿وفى السماء رزقكم وما توعدون. فورب السماء والأرض إنه لحقٌ مثل ما أنكم تنطقون﴾[٢] وهو سبحانه وتعالى هنا لم يقسم بشئ من مخلوقاته كما أقسم فى غير هذا الموضع بالشمس والقمر والنجوم وغيرها من المخلوقات، أما هنا فقد أقسم الحق بذاته فقال "فورب السماء والأرض" حتى لا يكون هناك أدنى شك فى أن الرزق مضمون عند الله سبحانه وتعالى. كما يقول "واعلم يا ابن آدم أنك لو ركبت الريح فراراً من رزقك لركب رزقك البرق حتى يقع فى فمك" ومعلوم أن سرعة البرق أسرع من سرعة الهواء، **لأن سرعة الضوء أسرع من سرعة الصوت حيث أن الذى يحمل الصوت هو الهواء.**

---

[١] (الذاريات:٥٦)
[٢] (الذاريات٢٢-٢٣)

فلم القلق إذن على الرزق والخوف من الفقر مادام أن رزقك مضمون وأن الضامن هو الخالق، فمن يخشى الفقر ويجرى وراء الدنيا، جعل الله فقرة بين عينيه يزعجه ويقلق مضجعه، ويشتت أفكاره... وفى المقابل يقول الله تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾[1] ولذا فالحق ينادى على الدنيا: يا دنيا من خدمنى فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه.

ولذا يجب أن تطمئن من هذه الناحية وتعلم جيداً أنه من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب... ولكن ليس معنى هذا أننى أدعو بذلك إلى التكاسل، والانقطاع للعبادة، وعدم مشاركة المجتمع فى بناء الحضارة الإنسانية، فهذا طريق خاطئ. فيقول ﷺ: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتعود بطاناً" أى أنه من يتوكل على الله مع الأخذ بالأسباب والعمل من أجل الحصول على الرزق، لرزقه الله كما يرزق الطير، فهى تصبح بطونها خاوية وتعود بطونها مليئة بالطعام... وفى حديث الإسراء من الدروس والعبر...، فمعلوم أن معجزة الإسراء والمعراج معجزة فوق خيال البشر، وكان فى مقدوره تعالى أن يسرى بنبيه بدون البراق ولكنه أراد أن يعلم عباده الأخذ بالأسباب، وكذا فى ربطه ﷺ للبراق فى حلقة باب المسجد، فبالرغم أنه لو لم يربطه فلن يهرب البراق لأنه مكلف من قبل البارئ جل وعلا ولكنه ﷺ أراد أن يعلم أمته الأخذ بالأسباب.

أما من يدَّعى التوكل على الله بدون عمل، فهذا لا يسمى توكلاً، وإنما يسمى تواكلاً، ولا يأتى هذا إلا بالخيبة والبوار.... ونحن نعلم قصة العابد الذى سأله عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ عمن ينفق عليه فقال: أخى

---

[1] (الأعراف:٩٦)

هو الذى ينفق على فقال له عمر: أخوك أفضل منك. ولا يفوتنا قوله ﷺ: "من بات كالا من عمل يده بات مغفوراً له"

وإذا ما عدنا إلى السعادة فنجد كل إنسان يراها بزاوية معينة ولكن فى النهاية الثوابت ولحدة، فأساس السعادة هو الإيمان، لأن التمسك بتعاليم الإسلام هو الطريق الوحيد الذى يكفل للإنسان حياة مطمئنة مليئة بالسعادة، خالية من الآلام، ولذا كان التمسك به أمر ضرورى فى حياة الفرد والمجتمع، فهو أصل الخلود، وأصل التقدم وكل هذا لا يكون إلا بجهود الإنسان، لأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان واستخلفه في الأرض، وسخر كل شئ في الكون لخدمته، وبجهوده يستطيع أن يغير وأن يحرك كل شئ وفق إرادته، وبما يتناسب معه ومع راحته، وبما يحقق له المصلحة والمنفعة، وبهذا يضمن سعادته، فالسعادة ليس لها منبعاً معيناً ولا مصدراً يستمدها الإنسان منه، ولكن المنبع الأصلى للسعادة هو الإنسان ذاته، فهو الذى يستطيع أن يسعد نفسه، فكل شئ يدوم ويستمر باستمرار الإنسان وعطائه، وباستغلال كل فرد من أفراد المجتمع كل لحظة من عمره فى كل ما يصلح دينه ودنياه... ويقول الشيخ محمد الغزالى: "إن المسلم الحق يغالى بالوقت مغالاة شديدة، لأن الوقت عمره، فإذا سمح بضياعه، وترك العوادى تنهبه فهو ينتحر بهذا المسلك الطائش" ويقول الحكيم:

إذا مر بى يوم ولم اقتبس هدىً ولم استفد علماً فما ذاك من عمرى

فوا الذى نفسى بيده ما سعد إنسان إلا بالإيمان بالله واليوم الآخر، فالإيمان مصدر كل خير، فهو يهدى الإنسان إلى التقوى التى هى الداعى إلى كل خير، والتى ترقى بالإنسان إلى أعلى مراتب النزاهة، والعفاف، والحب، والقوة، والاتحاد، والخلق القويم، والشرف، والعزة، والسعادة، فلا عزة ولا كرامة ولا حرية ولا أمان للإنسان إلا بالإيمان بالله واليوم الآخر.

إذن فالسعادة ليست فى كثرة المال، ولا فى السلطان، ولا فى كثرة الولد، ولا فى الحسب والنسب، إنما هو فى الإيمان بالله، لأن الإيمان يجعلك هادئاً مطمئناً، لا تقلق على الرزق لأنك تثق بالله، وتؤمن بقوله: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾[1] ولا تقلق على أولادك بعد مماتك لأنك تثق بإيمانك به بقوله تعالى: ﴿وليخشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذريةً ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾[2] ولا تحزن لنزول بلاء لأنك تؤمن بقوله تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾[3]، كما أنه لا يخشى شقاء أو ظلماً فى الآخرة لأنه يؤمن بقوله تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً﴾[4]

نعم فإن الدنيا ليست إلا محطة قصيرة يتزود فيها الإنسان بكل ما يعينه على متاعب السفر البعيد، فما عمر الإنسان القصير إلا ذرة فى صحراء الزمن أو نقطة ماء بين أمواج المحيطات المتلاطمة أو ذرة غبار فى سماء مترامية الأطراف، ولذا يجب أن يتزود الإنسان فيها بالأعمال الصالحة والتقوى فهى خير زاد للإنسان بعد موته، فهذا على بن أبى طالب الذى وقف على القبور ذات يوم ثم قال: إن أموالكم قد قسمت، وإن بيوتكم قد سكنها غيركم وإن نساءكم قد تزوجن برجال غيركم. هذا خبر ما عندنا فما خبر ما

---

[1] (الذاريات: ٢٢)
[2] (النساء: ٩)
[3] (البقرة: ١٥٥-١٥٧)
[4] طه: ١١٢

عندكم.. ثم نظر إلى أصحابه وقال: والله لو شاء الله لهم أن يتكلموا لقالوا إن خير الزاد التقوى.

وإضافة إلى هذا فإن التقوى كما تنفع الإنسان فى حياته حيث تسكن الطمأنينة فى قلبه، فإنها أيضاً تنفع أولاده فى حياتهم من بعده، ولذا فإن الخضر عليه السلام أقام الجدار فى قرية امتنع أهلها عن تقديم الطعام له وهو جائع، ولكنه مع ذلك أقام الجدار، دون طلب الأجر منهم... ويتعجب موسى من هذا العمل قائلاً "لو شئت لاتخذت عليه أجراً...." أتقيم الجدار فى قرية أبت أن تقدم لنا وجبة طعام ونحن جائعان؟.... ولكن إذا عرف السبب بطل العجب: يقول تعالى: ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾[1] فصلاح الأب نفع ذريته من بعده وذكرت الروايات أنه جدهما السابع كان صالحاً... ونحن لا نستطيع أن نغفل المقولة المشهورة فى عصرنا الحالى: "علشان خاطر أبيه" فنجد الولد يلقى كل التقدير من قبل الناس من أجل أبيه حتى ولو كان هذا الأب ميتاً، فيُكرَم الإبن، ويُرحَم، ويُستولى فى المنفعة، ويُحترم، كل هذا من أجل أبيه... فماذا ترى أن يكون هذا الأب؟ إنه حسن الخلق كريم، رحيم، يحب الناس، ويؤثرهم، فما الذى أوجد فيه هذه الصفات النبيلة... إنه لا شئ سوى الإيمان بالله واليوم الآخر.

والعجيب أنك تجد كل واحد يعرف أين توجد السعادة ولكنه يبحث عنها فى أماكن أخرى غير التى يعرفها فيها. فما وجهت لشخص هذا

---

[1] (الكهف: ٨٢)

السؤال إلا أجابنى بدون تفكير السعادة فى الإيمان، ولما سألت أخى هذا السؤال، ماتوانى لحظات إلا أن قال: السعادة فى الإيمان والصبر، فوجدت عقلى شارداً فى هاتين الكلمتين حتى نطقت قائلاً: والله لقد أوجزت وأتممت.

نعم فقد أوجز بالإجابة عن السؤالين بكلام مختصر، وأتم الكلام لأن هاتين الكلمتين تشتملان على الحديث عن السعادة بكل جوانبه فالإيمان هو أصل السعادة، والصبر هو الوقود الذى يبقى الإيمان ويجعل القلب عامراً به، لأنك بدون الصبر لن تستطيع أن تقاوم شهواتك، ولن تستطيع أن تخالف هواك. ومن هنا تتعرض لمعصية الله عز وجل فالنفس البشرية بطبيعتها تتطلع إلى الأخس وإلى الأدنى وإلى الأحقر، ولن تستطيع مقاومتها إلا بالصبر، والصبر على المعصية من أعظم أنواع الصبر، فالصبر على البلاء قد يكون صبراً إجبارياً، فلو أنك فقدت عزيزاً لديك كأبيك أو أخيك أو غيرهما، تجد نفسك بعد أن تبكى وتسخط وتعمل ما لا يرضى الله تقول ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ وماذا يحدث لو لم تسخط؟ وماذا يحدث لو لم تصبر؟ تكون الإجابة لن يحدث أى شئ ولن يكون إلا ما أراد الله، ومن هنا يكون الصبر على البلاء أمراً إجبارياً، لأنك بعدم الصبر لا تستطيع أن ترد قضاء الله، فأمر الله نافذ لا محالة. أما الصبر على المعصية فهو أمر شاق، لا يستطيع القيام به إلا المؤمن بالله، المخلص له الدين، التقى، فمن يستطيع أن يغض بصره عن النساء الفاتنات العاريات فى الشارع وفى الجامعة وفى التلفاز وفى المنزهات، وفى العمل، واللاتى يتفنن فى إغراء الرجال سواء بالملابس أو الزينة أو الصوت الرقيق الناعم الذى يثير شهوات الرجال ويحرك غرائزهم ومن الذى يستطيع أن يقوم من مضجعه فى الشتاء البارد وجبينه يتفصد عرقاً تحت الغطاء ليصلى الفجر فى جماعة، ومن الذى يستطيع أن يترك حفلات السمر أو المسلسلات المثيرة ليحضر جلسة علم أو

ندوة يسمع فيها آية من كتاب الله. من يستطيع أن يكظم غيظه أو يملك نفسه عند الغضب..، إن هذه الأمور لا يقدر عليها إلا إنسان منَّ الله عليه بالصبر على معصية الله، كما منَّ عليه بالصبر على طاعته عز وجل، ولقد كافأه الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ (١) والمقصود بقوله (ما يلقاها) أى الجنة. وتذكر دائماً قوله تعالى: ﴿إنما يوف الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ (٢)

ولو رجعنا إلى سورة فصلت وقرأنا قوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدَّعون﴾ (٣) فلو تدبرنا معانيها لأطمأنت القلوب وارتاحت العقول، لأن الحق هو وليك وحليفك ليس فى الآخرة فقط وإنما فى الدنيا أيضاً.

وقد أعجبتنى جملة لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى يقول فيها: "من كان له أباً فلا يقلق ولا يخشى أى شئ فما بالك بمن له رب"، وقد نبهنا الله سبحانه وتعالى إلى ذلك مبيناً أن الله مع المؤمنين فى سلمهم وحروبهم فقال فى حديثه عن الحرب مع المشركين:

---

(1) (فصلت: ٣٥)
(2) (الزمر: ١٠)
(3) (فصلت: ٣٠-٣١)

﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾[1] هذا خير دليل على أن الله حليف المؤمنين فى حروبهم، وهو معهم فى سلمهم فيقول: "نحن أولياؤكم"، ولكل هذا ما وسعنى إلا أن أقول:

رأيت سعادتى وصلاح أمرى   تحقق بالإيمان والأعمال منى

ولكن يتضح من قوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ أن هناك شرطان لكى يكون الله حليفك فى الدنيا والآخرة وهما: أن تقول ربى الله وأن تستقيم، ولذا لما جاء أحد الصحابة إلى النبى ﷺ وقال له: يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: "قل آمنت بالله ثم استقم"[2]... فلابد أولاً أن أقول آمنت بالله بقلبى وليس بلسانى وأن أعلم يقيناً أن الله ربى حقاً وهو خالقى وخالق الأكوان... وكل هذا لا يتحقق إلا بالتدبر فى نفسى وفيما حولى من سماء وأرض وبحار وأنهار وحيوان ونبات، وأتفكر فى الله وكيف خلق كل هذا بقدرته... ومن هنا أعترف بأن الله هو ربى حقاً وهو القادر على كل شئ، ولذا فهو سبحانه يقول: ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾[3].

فالعلم بما خلق الله فى الكون وقدراته العجيبة تجعلنا نكون على يقين بأنه الله هو الحق وأن ما أنزله فى القرآن حق وأن رسوله حق... ولذا قال الحق: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[4]، وقد خص العلماء بالخشية

---

(1) (النساء: ١٠٤)
(2) رواه مسلم.
(3) فصلت ٥٣
(4) فاطر: ٢٨

لأنهم وهم يبحثون فى مخلوقات الله فى الأرض ـــ يرون أسراراً ودقة خلق وإبداع تكوين وكل ذلك يجعلهم أول الساجدين لله وأول العابدين له سبحانه... ولذا فضل الله العلماء فقـال: ﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ وفضلهم النبى ﷺ فقال: "فضل العالم على العابد كفضل القمـر على سائر الكواكب" وفى رواية "كفضلى على أدناكم"[١].

ويبقى شرط آخر لكى يكون الله معك وهو الاستقامة لقوله تعـالى: ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك﴾ والاستقامة تكون كما قال النبى ﷺ: "مـا نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم..."[٢]، فننتهى عن كل ما نهانا عنه النبى ﷺ من ترك الصلاة والصيام وتضييع الزكاة وعقـوق الوالدين وسوء المعاملة والزنا وشرب الخمر... إلخ.

ونأتى بما امرنا به ﷺ من صلاة وخشوع وزكاة وصيام وإخـلاص وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وبر الوالدين وصلة الرحم والصدق وترك الغيبة والنميمة والتواضع وكظم الغيظ وحفظ اللسان والفرج وعدم حب الدنيا والانشغال بها والصبر والإحسان والعدل وترك الظلم وذكر الله والخوف من الله وحسن الخلق والأمانة والحياء من الله ومن الناس والتعـاون والاتحـاد وغض البصر... الخ.

كل هذه العناصر تدخل فى مضمون الاستقامة... وكلها تؤدى إلـى السعادة في الدنيا والآخرة.. وكل هذه العناصر يطول الحديث عنها... ولكن

---

(1) اقرأ فى آخر هذا الكتاب موضوع "يا أمة الإسلام".. وارجع إلى كتب الإعجـاز العلمـى فـى القـرآن للدكتور/ زغلول النجار، وفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وغيرهم من العلماء...

(2) متفق عليه.

دعني أيها القارئ الكريم أختار لك عنصرا واحدا لأتحدث معك فيه لحظ... قليلة وباختصار شديد، وهو: حسن الخلق؛ فقد يوجد من بيننا من يصلي ويصوم ويؤدى حق الله ولكنه سئ الخلق مع الجيران مع الناس مع الو... ومع الزوجة ومع الأولاد!!! فما قيمة العبادة إذن إذا لم تهذب النفوس وتحسّ... الأخلاق، فرسولنا الكريم ﷺ يقول: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" وقـ... أيضاً: "والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن" قيل من يا رسول الله؟ قـ...: "الذى لا يأمن جاره بوائقه" يعنى أذاه وظلمه.

وقد ذكر النبي ﷺ امرأة تصوم وتصلى وتتصدق غير أنها تـؤذى جيرانها، فقال ﷺ: "هى فى النار" ويقول ﷺ: "إن حسن الخلق ليذيب الخطـ... كما تذيب الشمس الجليد".. ولما سئل ﷺ: ما أكثر ما يلج به الناس فى الجنة؟ قال:"تقوى الله وحسن الخلق" فقيل له:"ما أكثر ما يلج به الناس النار؟ قـ...: "الأجوفان: الفم والفرج، وسوء الخلق".

كما أنك بحسن الخلق تبلغ أعلى منزلة فى أعين الناس وقلوبهم، و... أمر الحق تبارك وتعالى بحسن الخلق حتى ولو كان ذلك مع الأعداء وبين أ... حسن الخلق يجعل الإنسان الذى يكرهك يتحول إلى حبيب ويجعل العـ... صديق حميم فيقول الحق تبارك وتعالى وهو أصدق القـ...: ﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم﴾[1]، فإذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسـ... إلى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك.. وقد أتْبَعَ الله هذه الآية بقوله: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا﴾ أى وما يتقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صـ...

---

[1] فصلت: ٣٤

على ذلك فإنه يشق على النفوس ذلك ويصعب على الإنسان أن يتحمل إساءة الغير وأذى الآخرين، ويرد هذه الإساءة بإحسان، ثم قال تعالى: ﴿وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ أى ذو نصيب وافر من السعادة فى الدنيا والآخرة.. وقال ابن عباس: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة فإذا فعلوا ذلك عصمهم من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولى حميم.[١].

وأعلم أن الناس لا يعجبون بجمال الوجه ولا جمال الثياب وإنما يعجبون بجمال الأخلاق، فكم من أناس لهم نصيب كبير من المظاهر والملابس الغالية وجمال الوجه، ولا نصيب لهم فى حسن الخلق، لذلك لا يحبهم الناس، وتجدهم دائماً غرباء وسط أهلهم وأشقياء فى جو كله سعادة ومرح وسرور.. فالجمال لا يقاس بجمال الوجه أو اللباس وإنما يقاس بمقياس الدين والعقل والأدب والعلم:

ليس الجمال بأثواب تزيننا ⠀⠀⠀ إن الجمال جمال لعلم والأدب

وقيل أيضاً:

رأيت الجمال جمال الفعال ⠀⠀⠀ وأن القبيح قبيح الخصال

ولذا يقول الشيخ محمد الغزالى: وإنما يتوقع الأثر الطيب ممن تمتد العيون إلى شخصه فيروعها أدبه. ويسبيها نبله، وتقتبس ــ بالإعجاب المحض ــ من خلاله، وتمشى بالمحبة الخالصة فى آثاره[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير ٧/١١٦.

(2) محمد الغزالى: خلق المسلم ص١٤، دار الدعوة ٩٤. الطبعة الخمسة.

ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة فلقد كان ﷺ أحسن الناس أخلاقـــ حتى أن الذين عاشروه أحبوه إلى حد الهيام، ولم يبالوا أن تندق أعناقهم ولا يخدش له ظفر وقد أدى حسن خلقه إلى دخول الناس فى دين الله أفواجا وكان كل من يلى رسول الله ﷺ ويرى من نبل أخلاقه ما يذيب الجليد، يؤمن بـــه. ومن أجمل مواقفه التى تشيب لها الرؤس موقفه مع هذا الرجل الـــذى جـــاء ليقتله فقابله عمر بن الخطاب وقال له: إلى أين فقال: أريد أن أقتل محمـــداً، فأخذه عمر وربطه فى عمود المسجد حتى جاء رسول الله ﷺ وأخبره بـــذلك. فكان أول ما قال رسول الله ﷺ: هل أحضرتم له طعاماً فقالوا: لا يا رســـول الله.. فأمر ﷺ بفكه وأحضار الطعام له!!... عجباً لك يا رسول الله.. أراد أن يقتلك وتحضر له الطعام؟... ولكن ماذا تقول فى رجل خلقه القرآن، وهـــو القائل: "أدبنى ربى فأحسن تأديبى"

وبعد ذلك عرضَ النبى ﷺ الإسلام على الرجل، فرفض الرجـــل أن يسلم، فأمر النبى ﷺ أن يتركوه يمشى فخرج الرجل ولم يعلن إســـلامه أمـــام النبى ﷺ.. ولكن بعد لحظات عاد الرجل ووقف أمام النبى ﷺ وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فسأله النبى: لمـــاذا لـــم تســـلم عنـــدما عرضت عليك ذلك.. فقال الرجل: خشيت أن يقولوا أسلم خوفاً من محمد... ولكنه الآن أسلم حباً فى أخلاق محمد ﷺ وفى دين محمد ﷺ الذى يأمر بهـــذه الأخلاق الكريمة... الله الله يا رسول الله.

يا خير مخلوق وأفضل مرسل — وشفيع قوم أذنبوا وأساءوا
أنوارك العظمى إذا ما أشرقت — يوم القيامة فالورى سعداء

إنها أخلاق الإسلام التى جعلته ﷺ يحمل الحطب عن المرأة العجـــوز وأوصلها لها إلى المكان الذى تريده، فأرادت أن تكافئه على حسن أخلاقـــه.

فقالت له: إن هناك فتى يدَّعى النبوة اسمه محمد فأنصحك ألا تؤمن به، فقال لها النبىﷺ بكل أدب: أنا ذلك الفتى الذى يدعى محمد.. وكأن المرأة نزلت عليها صاعقة من السماء وأصيبت بالذهول، ولم تدرى ماذا تقول؛ فقالت له: ألنت أنت؟ قال لها: أنا أنا فقالت المرأة: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

والله ما خلـق الإله ولا برى	بشراً يرى كمحمد بين الورى
يا سيد العقلاء يا خير الورى	يا من أتيت إلى الحياة مبشراً
وبعثت بالقرآن فينــــا هادياً	وطلعت فى الأكوان بدراً نيراً

إنه النبى ﷺ يوم فتح مكة وبعدما أخذ المسلمون مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة وكان رجلاً كافراً وكان مفتاح الكعبة يحمله عثمان بالوراثة ورفض تسليمها إلى النبى ﷺ فلوى على بن أبى طالب عنقه وأخذها منه عنوة وسلمها لرسول الله ﷺ فأنزل الله قوله تعالى ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾[1] فنادى الحبيب ﷺ على علىّ وقال له: يا علىّ اذهب بالمفاتيح وسلمها إلى صاحبها، فإن الله أنزل فى ذلك قرآناً يتلى إلى يوم القيامة وتلى عليه الآية.. فقال على: سمعاً وطاعة يا رسول الله، وذهب بالمفاتيح وقدمها إلى عثمان، فتعجب عثمان وقال يا على آذيتنى ثم جئت بعد ذلك تصلح ما جرحت فقال له على: يا عثمان، لقد أنزل الله فى حقك قرآنا: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾فقال عثمان أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. نعم إنه رسول الله... إنها أخلاق خاتم الأنبياء والمرسلين.. وشفيع المذنبين.. رسول رب العالمين.

---

[1] النساء: ٥٨.

خُلقت مُبَرَّأً مــن كل عيب **كأنك قد خلقت كما تشـاء**

فأجمل منك لم ترقط عينى **وأفضل منك لم تلد النساء**

سيدى يا رسول الله

روحى بحبك فى الضياء تهيم **والشوق منى فى هواك عظيم**

والقلب مســرور بذكر محمد **فى ذكره نــور وفيــه سرور**

وقد تعلم الصحابة رضوان عليهم ــ من رسول الله ــ كيف تكــون المعاملة مع الناس، فهذا علىّ الذى أخذ المفاتيح من عثمان يوم فتح مكة لما وقف أمام خصم يهودى وكان القاضى عمر بن الخطاب.. ولما فتحت الجلسة نادى عمر على علىّ وقال تعالى يا أبا الحسن ونادى على اليهودى باسمه.. وبعد أن أصدر عمر حكمه وجد علياً حزيناً، فقال عمر يا علىّ مــالى أراك حزيناً.. فقال له على: يا عمر كنت أود أن تعدل بينى وبين خصمى، قال ألم أعدل بينكما يا علىّ؟ قال على: ما عدلت بيننا يا عمر، لأنك ناديتنى بكنيتى فقلت لى (يا أبا الحسن) وناديت على اليهودى باسمه.. فنظر اليهودى إليــه وقال: أيأمرك دينك بهذا يا على؟ قال نعم،فقال اليهودى: أشهد أن لا إلــه إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وأعود معك أخى القارئ إلى السعادة وقد تعمدت ذكر آراء الآخرين عن السعادة، ليس هذا إلا لأن مهمتى فى هذا الكتاب هو البحث عن السعادة، فلذا كان من واجبى أن أبحث عنها فى نظر الآخرين ليس فى نظرى فقــط لأن السعادة هى الأمل المنشود لكل البشر فى هذا الكون، فلا أحــد يرضــى لنفسه التعاسة والشقاء، فالكل يبحث عن السعادة.

ومن هنا تعرضت للكتب أقرأها لأقرأ فيها أفكار كُتَّابِها وتعرضــت للقرآن والحديث أتدبره لأُسلِّم فيهما بما أمر الله ورسوله، وتعرضت لنفســى

أسألها لأعرف طريق سعادتي، وتعرضت لمن حولي أتحدث معهم لأعرف كيف يسعدون، ثم فندت كل هذا في كتابي ليهتدي به الحائر، ويسعد به الشقي، ويرتاح من أجهد نفسه في البحث عن السعادة، فما كان الإجماع إلا على كلمة واحدة ألا وهي (الإيمان)،فقد أثبتت التجارب والأبحاث أن الدين يرتبط ارتباطاً كبيراً بالسعادة النفسية، ومن المفكرين المؤيدين لذلك "كارل يونج" عالم النفس السويسري الذي استخدم الدين في علاج كثير من مرضاه النفسيين؛ لأنه يرى أن انعدام الشعور الديني يسبب كثيراً من القلق والخوف من المستقبل والشعور بعدم الأمان والنزوع نحو النزعات المادية البحتة كما يؤدي إلى فقدان الشعور بمعنى ومغزى هذه الحياة ويؤدي ذلك إلى الشعور بالضياع.(١)

ومن هنا فإن كل واحد منا يعرف أن السعادة في الإيمان ولكنه يطلبها في غير موضعها، فيعود خائباً نادماً على ما ضاع من عمره بلا جدوى وتمر أيام عمره دون تحقيق ما يتمناه من سعادة وراحة بال، فلا يجد أمامه إلا قول الشاعر:

أين أيام لذتي وشبابي — أتراها تعود بعد الذهاب

ذاك عهد مضى وأبعد شئ — أن يرد الزمان عهد التصابي

لقد بحث الكثير من الناس عن السعادة في مواضع متفرقة؛ فجربوا أنواع المتع المادية والشهوات الحسية فما وجدوها، وربما زادتهم التجربة غماً على غمهم، ونكداً على نكدهم.

(١) د. عبد الرحمن العيسوى أستاذ علم النفس بجامعة الإسكندرية- علم النفس الحديث (دراسة في علم السلوك صـ ٢١٢) ط دار المعرفة الجامعية. وانظر أيضاً (الدين والعلم الحديث) بقلم إبراهيم محمد عبد الباقي من علماء الأزهر ـ المكتبة التجارية

فظنها البعض فى الغنى ورخاء العيش، والنعيم ولكنهم بعدما أغتنو ما وجدوها بل ربما زادتهم أموالهم قلقاً، وتعاسة. ولقد قرأت فى كتاب نشرته وزارة الأوقاف يسمى "بالإيمان والأخلاق تبنى الأمم" أنه جاء فى مجلة "روز اليوسف" مقالين بعنوان "أهل الجنة ليسوا سعداء"[١] ويعنـــى صـــاحب هـــذا التحقيق بأهل الجنة سكان السويد، فيقول أنهم يعيشون فى مستوى اقتصـــادى مرتفع ولا يخافون من فقر أو مرض أو عجز أو شيخوخة أو بطالـــة فـــإن الدولة تضمن لكل فرد يصيبه شئ من ذلك إعانات دورية كافية؛ فكل مواطن له معاش، وإعانة مرض، وإعانات مختلفة، وعلاجاً مجانياً، وإعانة أمومـــة للنساء بما فيها مصاريف الولادة، وإعانة إضافية لكل مولود، وتقدم قروضاً دراسية للطلبة، وقروضاً لتأثيث منازل العرسان ومع كل هذا يـــذكر أنهـــم يحيون حياة قلقة مضطربة كلها ضيق وتوتر، ويأس، وآلاماً نفسية، فيلجأون إلى الانتحار.

ألإلى هذا الحد وصل الشقاء، والتعاسة وعدم الرضا؟ أبرغم كل هـــذه الضمانات، وتوفير الأموال التى تجعلك آمناً لا تخاف فقراً ولا تخشى جوعاً وتلجا إلى الانتحار؟

فما سبب هذه التعاسة إذن؟ فلو قلنا قلة الأموال لما كانت حجة لنـــا. إذن فما هو السبب؟ لو قلنا قلة الأولاد لما كانت حجة، لأن كل إنسان يستطيع بإذن الله إنجاب عدد كبيراً من الأولاد، وإن كان البعض لا يستطيع ذلك فماذا عن الباقين. ولماذا ينتحرون.

أقولها كلمة لا رجعة فيها: أن سبب ذلك هو فقدان الإيمان والـــدليل على ذلك أن المؤمن لا يقتل نفسه، أما هؤلاء الذين ينتحرون دون أى دوافع مادية للإنتحار يفتقدون السعادة بفقدان الإيمان.

---

(١) يوسف القرضاوى: الإيمان والحياة، مكتبة وهبة ط٩/ ١٩٩٠م

فلا بالمال تجْتلبُ السعادة   ولا بالولد يسْعَدُ الإنسان.

بل قد يكون المال والأولاد احيانا هما سبب تعاسة الرجل وقد تكون الزوجة التي يظن أنها ستسعده سببا في شقائه وحربه

ولهذا أقول لمن يبحث عن السعادة ويظن أنه سيجدها في الأموال أقول: إن السعادة ليست في المال فلا ترهق نفسك، فقد وفرت عليك هذا الطريق فلتتركه وتبحث عن طريق آخر هو أنفع لك في الدارين فلا تشغل نفسك بجمع الأموال واكتنازها لتضمن السعادة فتنسى آخرتك فإن رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه يقول: "من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله، ولم يأته منها إلا ما قُدِّر له" وبعد كل هذا التعب والعناء ترجع إلى حيث كنت فتجد رب العزة عز وجل يقول وقوله الحق في حديثه القدسي: "عبدي خلقتك للعبادة فلا تلعب وقسمت لك رزقك فلا تتعب، إن قل فلا تحزن، وإن كثر فلا تفرح، وإن ترض بما قسمته لك أرحت بدنك وعقلك وكنت عندي محموداً، وإن لم ترض بما قسمته لك أتعبت بدنك وقلبك وكنت عندي مذموماً، وعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في الفلاء ثم لا يصيبك منها إلا ما كتبته لك"

إذن أنصحك ألا تتعب نفسك في هذا الطريق فهو طريق مسدود، وانظر إلى قصة هذه المرأة التي قال لها زوجها لأشقينك. فقالت له: لا تستطيع أن تشقيني، كما لا تملك أن تسعدني. فقال لها في غيظ: وكيف ذلك قالت لو كانت السعادة في مال لمنعتني المال، أو في حلي، فحرمتني، ولكنني أجد سعادتي في إيماني وإيماني في قلبي وقلبي لا سلطان لأحد عليه غير

ربى... وانظر إلى هذا المؤمن الذى يقول: "إننا نعيش فى سعادة لو علمها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف". وهى سعادة الإيمان.

ولقد أعجبتنى عبارة جميلة – فى الكتاب الذى ذكرته آنفاً ـ كلها سحر وبيان، فهى تقول: "لقد فجر الإيمان فى قلب الإنسان ينابيعاً للسعادة، لا يمكن أن تغيض ولا أن تتحقق السعادة بغيرها.. تلك هى ينابيع السكينة، والأمن، والأمل، والرضا والحب"،ولذا يقول المنفلوطى: "إن السعادة ينبوع يتفجر من القلب لا غيث يهطل من السماء، وإن النفس الكريمة الراضية البريئة من أدران الرذائل وأقذارها ومطامع الحياة وشهواتها سعيدة حيثما حلت وأننى وجدت، فى القصر وفى الكوخ، فى المدينة وفى القرية، فى الأنس وفى الوحشة، فى المجتمع وفى العزلة، بين القصور والدور، وبين الآكام والصخور، فمن أراد السعادة فلا يسأل عنها المال والنشب والفضة والذهب والقصور والبساتين، والأرواح والرياحين، بل يسأل عنها نفسه التى بين جنبيه، فهى ينبوع سعادته وهنائه إن شاء ومصدر شقائه وبلائه إن أراد" ولذا فاسمع وكن كما قال الشاعر:

كن رابط الجأش وارفع راية الأمل ... وسر إلى الله فى جد بلا هزل

وإن شعرت بنقص فيك تعرفه ... فغذ روحك بالقرآن واكتمل

وحارب النفس وامنعها هوايتها ... فالنفس تهوى الذى يدعو إلى الزلل

هذا والله هو غاية السعادة؟ فأسرع وأصلح ما بينك وبين ربك، وعد إلى رشدك واضمن سعادتك، واشترى جنتك.

سعادة الشباب

وإذا أدرت وجهى إلى الشباب قليلاً، فأقول لهم ما قال الحديث: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً" فإذا تحقق لك هذا واستطعت تنفيذه فتلك هى قمة السعادة والرخاء.

فإن مستقبل الإنسانية على أكف الشباب ومعلق على آمالهم وطموحاتهم، فإذا كنت شاباً قوياً نشيطاً - ولا أقصد قوة الجسد وإنما قوة العقل ـ فهذا هو الذى يجعل الحياة جديرة بالحب ويجعل الحياة مرغوب فيها؛ فهذا شباب المجتمع الجاهلى الذى كان ينفق كل وقته فى شرب الخمر والإنغماس فى الشهوات، فكان لابد أن يبدلهم الله ويأتى بشباب غيرهم، هم خير منهم، تقوم حياتهم على الإيمان بالله واليوم الآخر، الذى يدفعهم إلى العمل للدنيا والآخرة.

انظر أيها الشاب إلى هؤلاء الشباب الذين بذلوا أرواحهم فى سبيل الله، فهم يضربون أروع الأمثال فى الإيمان بالله فهذا جعفر ابن أبى طالب الذى حمل الراية فى مؤتة بعد زيد بن حارثة واستشهد فى المعركة ولكنه كان حزيناً لأنه ليس أول من يحمل الراية ويستشهد، وهذا البراء بن عازب الذى كانت أسمى أمانيه هى الشهادة فى سبيل الله وكان لا يترك غزوة ولا يتخلف عنها طلباً للشهادة حتى أطلق عليه (عاشق الموت)... وعلى ابن أبى طالب الشقيق الأصغر لجعفر وزوج فاطمة بنت النبى ﷺ، الذى نام فى فراش النبى ﷺ، ينتظر مع كل نبضة من نبضات قلبه سيفاً صارماً يقطع رقبته... ولكنه يضحى بنفسه من أجل القائد.. وما هذا إلا ثمرة الإيمان بالله وبرسول الله ﷺ.

فكن أيها الشاب كهؤلاء الشباب واتخذهم قدوة لك، وكن كما قال الشاعر:

أخاف أن أموت على فراشى وأرجو الموت تحت ذر العوالى

ولا أطالبك بالجهاد الذى شهده هؤلاء ــ وهو الخروج للحرب ودخول المعارك ــ وإنما اقصد أن تخرج للجهاد الذى قال عنه رسول الله ﷺ (الجهاد الأكبر) وهو جهاد النفس وقد حث الله سبحانه وتعالى عليه فى سورة النازعات فقال ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى﴾[1].

ولكن الحياة أيها الشاب ليست ــ كما أسلفنا القول ــ ديناً فقط أو دنيا فقط، وإنما هى الدين والدنيا معاً وإذا التقى الدين والدنيا معاً كان الإنسان فى قمة سعادته، أما من عاش فى عزلة عن الدنيا منقطعاً للعبادة قد لا يستطيع أن يصل إلى السعادة التى ينشدها، ومن انقطع للدنيا وأعطاها عقله وقلبه، فلن يزده ذلك إلا شقاءً وبؤساً، وعناءً، لذا فلابد من الجمع بين الدين والدنيا وألا يجمعهما إلا خير.

ما أجمل الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

ولا أريد بقولى هذا الشباب الذكور فقط ولكنى أوجه حديثى إلى الشباب من الجنسين ذكر وأنثى، لأن مرحلة الشباب تعتبر من أهم المراحل فى حياة الإنسان ففيها ينشط فكره، وتقوى عواطفه، وتتحرك غرائزه، ولذا فهى مرحلة خطيرة، وهى المرحلة الأولى والأساسية فى شقاء المرء أو سعادته فلو استغل هذه الفترة أحسن استغلال عاش سعيداً بقية حياته وأن استغلها فى اللعب واللهو أشقى نفسه ومن حوله.

---

[1] النازعات: آيه (٤٠ – ٤١)

ولهذا أريد أن أنبه على هؤلاء الشباب الذين لا هم لهم إلا الحب التافه الذى لا نفع فيه ولا يأتى إلا بضياع الوقت وفساد الأخلاق وجلب الشقاء، والقضاء على المستقبل.

كما أنبه على الشباب الذى أفنوا شبابهم فى التمتع بما فى الحياة من زنا وشرب خمر، وسهرات السمر وصداقة السوء، التى تودى بهم فى النهاية إلى هلاك أنفسهم وقهر آبائهم.

ولكن الشاب الصحيح العقل هو الذى يستغل وقته فى عمل جاد ومثمر سواء فى العمل أو فى المذاكرة أو فى غيرهما مما هو نافع ومفيد مثل لعب الرياضة ولكن بالقدر الذى لا يضيع الوقت منه، لأن الرياضة شئ هام للجسم والعقل، فقد اثبت علماء النفس أن الشئ الذى يؤثر فى جسم الإنسان يؤثر فى عقله أيضاً. كما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: "علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل"، وقال الإمام الغزالى:" ينبغى للطفل بعد الإنصراف من المكتب ان يلعب لعباً جميلاً، يستريح إليه من تعب العلم بحيث لا يتعب فى اللعب، فإنً منع الصبى من اللعب، وإرهاقه العسر فى التعليم يميت قلبه، ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأساً".

وإذا أردت أن أختصر لك الموضوع – أخى الشاب – قلت لك اقرأ قول الحق تبارك وتعالى ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾[1].

---

[1] (القصص٧٧)

إن الدين الإسلامى والالتزام بتعاليمه هو الشئ الوحيد القادر على ضمان السعادة للفرد والمجتمع فى حل مشكلاتهم، وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم، وكبح جماح الشهوة فى تلك الفترة الخطيرة فى حياة الإنسان وهى فترة الشباب، وبالذات شطرها الأول وهى المرحلة التى يقولون عنها مرحلة المراهقة وما بعد المراهقة بسنوات قليه أى ما بين الرابعة عشرة والحادية والعشرين.

فاعلم أن الدين الإسلامى دين قوة وتقدم وليس دين ضعف وتخلف، فمن التزم بتعاليمه، نجا وسعد ومن خالفه غرق فى شهواته ومتاعبه وأشقى نفسه حياً وميتاً.

ولنرجع إلى الوراء – قرابة أربعة عشر قرناً من الزمان – ولننظر رسول الله ﷺ وصحابته وكيف كانت حياتهم، إنهم كانوا لا يجدون سعادتهم إلا مع كتاب الله وسنة رسوله، ولذا فتح الله بهم البلاد وجعلهم سادة العالم، ورعاة الأمم بعد أن كانوا رعاة الغنم فهم أناس كرهوا العيش على الأرض عبيداً، فاتبعوا تعاليم الإسلام السمحة التى قادتهم إلى أعلى منازل القوة والسعادة والرخاء، ولذا قامت على اكتافهم الأمة، وكانوا خيرأمة أخرجت للناس.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

فلقد أثبت التاريخ والواقع أن العرب لا يمكنهم الارتقاء إلا بالإسلام وقد أثبت ابن خلدون هذه الحقيقة حين قال بأن العرب حين يرتبطون بالإسلام فإنهم يصيرون ملوك الدنيا، وصناع الحضارة، وسياسة الملك، وحين ينفصلون عن الإسلام ينحدرون إلى مستوى البداوة والانحطاط.(١)

---

(١) الوعى الإسلامى العدد (٤٢٤) مارس ٢٠٠١م.

ولذا قال وزير الدفاع الإسرائيلى (موشى ديان) لشاب مسلم: سيأتى يوم نخرج فيه من أرضكم.. إذا قام فيكم شعب يعتز بتراثه ويحترم دينه ويقدر قيمه الحضارية.[١]

فتأكدوا ـ معشر الشباب ـ أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما يصلح به أولها، كما أن الأمة الإسلامية لن تسود العالم كما كانت على عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين إلا إذا رجع المسلمون إلى دينهم، وعادوا إلى قوتهم الحقيقية التى اكتسبها الصحابة من رسول الله ﷺ وتمرنوا عليها طويلاً، وهى الرياضة الروحية التى تكمن فى الإيمان الصادق والصبر ومحاسبة النفس ومخالفة الهوى وهذه القوة مطلوبة حتى نسود العالم مرة أخرى، ولنقف على قمم الجبال ونقول أيها العالم انظر إلى إيماننا وديننا رفعنا إلى أعلى الأعالى فالحقوا بنا تسعدوا..ولكن إذا أردنا استعادة قوتنا ومجدنا فلابد من وقفة مع أنفسنا، وإعادة غرس قيم الدين الحنيف فى قلوبنا ـ نحن الشباب ـ ذكوراً وإناثاً. ولكن كيف يتحقق ذلك والشباب ضائع والفتيات لا تتفوقن إلا فى الملابس الخليعة وصبغ وجوههن بالماكياجات، وتتسابقن فى إفساد الشباب.

ولكن الأمر الأشد قهراً وحزناً أنك تمر بالجامعات التى هى منبع الحضارة والتى تخرج الأجيال العلماء وحملة اللواء، فنجد بناتاً لا حياء عندهن، فتفتخر الفتاة منهن كلما وجدت نفسها أشد جذباً للشباب وأشد إغراءاً وليس القليل منهن هكذا بل أغلبهن ولا تجد المنقبات منهن أو المحجبات إلا قليل. والأدهى من هذا هو الاختلاط بين الجنسين بلا مراعاة لدين ولا عرف، فيمر عليهم قول الحق تبارك وتعالى:

---

[١] عودة الحجاب ٣١/٢، لمحمد المقدم، ط دار الصفوة.

﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾[١]، وهذه الآية قد ذكرها العلماء من أدلة تحريم الإختلاط. ولكنهم لم يبدوها أى اهتمام وكأنهم لم يسمعوها.. كما يمر عليهم الأستاذ الذى يلقى عليهم المحاضرات ويجد نفسه أمام شباب يسمعون ولا يتدبرون ما يسمعون، فيجد إختلاطاً لا هوادة فيه، فقد تتلاحم أنفاسهما أو يستنشق كل منهما زفير الآخر، وتجده واضعاً يده على كتفها وكأنه قد تزوجها ويمر الأستاذ على هذا المنظر ولا حياة لمن تنادى.

تسمع لو ناديت حيا ولا حياة لمن تنادى
فإن كانت الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

أما الأكثر حرقاً للأعصاب أنك تجد الفتاة واقفة بين مجموعة من الشباب عارية الشعر والتى مرتدية (الميكروجيب) المشقوق إلى أعلى الركبة، ثم تطلق ضحكاتها الرقيقة الخليعة لتدوى فى شوارع الجامعة، ولا يهمها فى ذلك تدمير الكثير من الشباب من ضعاف الإيمان ومرضى الهوى، وعبيد الشهوة. فوا أسفاه على زماننا.. ويرحم الله زماناً كانت المرأة المسلمة لا تخرج إلا ثلاث مرات: مرة من رحم أمها إلى الدنيا، ومرة من بيت أبيها إلى بيت زوجها، ومرة محمولة على الأعناق.

ما للمنازل أصبحت لا أهلها أهلى ولا جيرانها جيرانى

إن ما نراه اليوم فى مجتمعنا الإسلامى، لا يمت إلى الإسلام بأدنى صلة، وهذا هو سر الشقاء فلا تجد شاباً إلا وشغله الشاغل هو السعادة، فإذا سألته عن مكانها تسمع كلاماً غريباً. فيقول أحدهم أريد أن أكون متعلما حتى أتزوج أى امراة جميلة، فلا ترفضنى مهما كانت: ويقول آخر أريد أن أكون

---

[١] (الأحزاب: ٥٣)

غنياً حتى تتصارع البنات على. وعندما سالت ثالثاً عن محل سعادته فأجابنى قائلاً "أنا أكون فى قمة السعادة لما أكون مع الجروب بتاعى"، فتوقعت أن هذا الجروب مجموعة شباب يقف معهم يتبادلون أطراف الحديث فى موضوعات الدراسة، ففرحت به،... فلما سألته ومين هم دول؟ فأجابنى قائلاً: منى وسلوى وريهام... فقلت له: هى المجموعة بتاعتك ما فيهاش شباب؟ فقال لى: لا يا زميلى أنا ما بتعاملش معاهم. فقلت له خيب الله ظنك كما خيبت ظنى فيك.. وهؤلاء الشباب يؤكدون قول القس زويمر عن الشباب الإسلامى فيقول: إنه لا يصرف همه إلا فى الشهوات فإن تعلم فللشهوات وإن تبوأ المراكز العالية فللشهوات ففى سبيل الشهوات يجود بكل شئ.[١]

بكيت على الشباب بدمع عينى ... فلم يغن البكاء ولا النحيب

فهل تعقد مقارنة بين هؤلاء الشباب وبين شباب صدر الإسلام. كلا والله فمن العيب والخطأ الفاحش أن أضع هؤلاء فى جدول فى مقابل هؤلاء لعقد مقارنة بينهما.

هم الرجال وعيب أن يقال ... لمن لم يكن فى زيهم رجل

وهذه فاطمة بنت رسول الله ﷺ التى سألها قائلاً: "يا فاطمة أى شئ خير للمرأة؟" قالت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل... فهل تضع هذه فى مقارنة مع فتاتنا التى تخرج من بيتها لتقابل رجل أجنبى بفخذيها ونهديها عارية بارزة.

---

[1] تربية الأولاد في الإسلام ٣٨/٢ط دارالسلام ٩٤،دكتور عبدالله علوان

فلقد أعطى الإسلام المرأة حقوقاً لم تنلها في الجاهلية؛ وكرمها وجعل لها كياناً فى المجتمع، وجعل لها دور بارزاً فيه، وكرمها وأعلى شأنها فبعد أن كانت المرأة مجرد سلعة تباع وتشترى للمتعة الجنسية فقط، أصبحت تنكح بعقد ومهر ولا تنكح إلا بموافقة منها، وكرمها وأعطاها كافة حقوقها التى كانت مهضومة فى الجاهلية. ولكن المرأة يظهر أن لا تريد أن تأخذ حقوقها فأعادت نفسها كما كانت سلعة تباع وتشترى ومنظراً جميلاً للنظرات التى تنضح شهوة ورغبة فيها؛ فلماذا تقبل المرأة على نفسها هذا بعد أن كرمها الله، وأخرجها من نطاق الحيوانية المطلقة.

قد يقول البعض أن ما أقوله دعوة إلى التخلف، فيقول كيف أكون فى مجتمع متحضر ولا أتحدث مع زميلتى فى الجامعة أو فى المدرسة أو أن تكون لى صديقاتى التى أجد معها لذة الأنس التى يجدها كل طرف بلقائه بالطرف الآخر. أو تقول الفتاة: كيف تكون صديقاتى تلبسن على الموضة وأنا أرتدى الجلباب الذى كان يرتديه النساء قبل عشرة قرون من الزمان.

ولكن الحقيقة التى لا شك فيها أن هذا هو عين التخلف فليست الحضارة بالاختلاط والتلذذ بالنظرات والهمسات بدعوى أن هذا يخلق الألفة والمحبة بين المجتمع، أو فى العرى والخلاعة وإنما الحضارة فى الإنتاج والعمل، واتباع القيم الدينية التى تحفظ لكل من الجنسين كرامته، فإنه ببعد كل منهما عن الآخر يشعر كل منهما بالتقدير والاحترام تجاهه، أما الاختلاط الطويل، يشعر كل منهما بهوان الأخر، وقلة شأنه وأنه شئ سهل المنال، ومن هنا تقل قيمته. وروى عن أبى أمامه عن رسول الله ﷺ:"إياك والخلوة بالنساء والذى نفسى بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما، ولأن

يزحم رجل خنزيراً متلطخاً بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبيه منكب امرأة لا تحل له".

ويحزنني أن الأعداء قد استطاعوا أن يخدعوا الشباب بحضارتهم الزائفة ويحققوا ما أرادوا... فالهدف الأسمى للغرب أن تنهار أخلاق الشباب والفتيات المسلمين فينجرفون في تيارات الشهوة والفساد فتهلك الأمة الإسلامية... ويدخلون بعد ذلك بلاد الإسلام بسهولة وبدون مقاومة من المسلمين... وبالفعل استطاعوا أن يحققوا بعض ما أرادوا... فيقول (القس زويمر) في مؤتمر المبشرين بالقدس: إنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله... وبالتالي جاء النشئ الإسلامي طبقاً لما أراد له الاستعمار، لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات، فإن تعلم فللشهوات وإذا أجمع المال فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شئ.[1]

لابد للشباب أن يفيق الآن مما هو غارق فيه من أوهام الحضارة الغربية، والتقليد الأعمى لمن هم في الأساس يقلدوننا فيما هو نافع ويتركون ما هو ضار، ونحن نقلدهم فيما هو ضار ونترك ما هو نافع... ولكن إذا عدنا إلى إسلامنا وما ورثناه عن أجدادنا العظماء من أيام الرسول ﷺ وصحابته لما احتجنا إلى تقليد الغرب والزحف وراءهم!!!

---

[1] تربية الأولاد في الإسلام ١/٥٣٨، لعبدالله ناصح علوان، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز نجدة، ط٩٤/٢٥، دار السلام.

مالى وللنجم يرعانى وأرعاه … أمسى كلانا يعانى الغمض جفناه
لى فيك يا ليل آهات أرددها … أواه لو أجدت المحزون أواه
لا تحسبنى محباً أشتكى وصبا … أهون بما فى سبيل الحب ألقاه
إننى تذكرت والذكرى مؤرقة … مجداً تليداً بأيدينا اضعناه
ويح العروبة كان الكون مسرحها … فأصبحت تتوارى فى زواياه
أنَّى اتجهت إلى الإسلام فى بلد … تجده كالطير مقصوص جناحاه
كم صرفتنا يد كنا نصرفها … وبات يحكمنا شعب ملكناه
سل المعالى عنا إننا عرب … شعارنا المجد يهوانا ونهواه
هى العروبة لفظ إن نطقت به … فالشرق والضاد والإسلام معناه[٢]
استرشد الغرب بالماضى فأرشده … ونحن كان لنا ماضٍ نسيناه
إنا مشينا وراء الغرب نقبس من … ضيائه فأصابتنا شظاياه
بالله سل خلف بحر الروم عن عرب … بالأمس كانوا هنا ما بالهم تاهو؟[٣]

---

[1] الوصب هو شدة الشوق إلى الحبيب.

[2] الضاد: اللغة العربية.

[3] الأبيات للشاعر محمود غنيم

سعادة طالب العلم

أما طالب العلم فتكمن سعادته في دراسته، وتبلغ ذروتها بالحصول على أعلى الدرجات ووصوله كل ما يتمناه، ومن هنا يجد نفسه يشعر بنوع من السعادة هى من أجمل أنواع السعادة، لأنه بالعلم يرتفع قدره أمام نفسه وأمام الله ورسوله وأمام الناس فيقول ﷺ: "فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب" وقال تعالى: ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ﴾[١]

والرسول ﷺ يحثنا على طلب العلم فى أحاديث كثيرة فيقول: "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"[٢] وهو ﷺ بذلك يجعل طلب العلم فريضة إسلامية يجب على كل مسلم أدائها. ويقول أيضا: "اطلبوا العلم ولو فى الصين" والمقصود بقوله "ولو فى الصين" أى ولو كان فى بلاد الكفر أو فى بلاد بعيدة، فإن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يبذلون راحتهم طلباً للعلم وكانوا يتحملون المشاق من أجل الحصول على معلومة أو معرفة، وكانوا يقومون برحلات يضربون فيها أكباد الإبل للحصول على نص حديث، أو تفسير آية من القرآن، فهذا عبدالله بن عباس — الذى قضى حياته فى طلب العلم وتعليمه للناس — يقول: "وجدت عامة حديث رسول الله ﷺ عند الأنصار، فإن كنت لآتى الرجل فأجده نائماً، لو شئت أن يوقظ لى لأوقظ، فأجلس على بابه تسفى على وجهى الريح — أى تسفى التراب على وجهى — حتى يستيقظ منى ما استيقظ، وأسأله عما أريد، ثم أنصرف".

---

[١] (المجادلة: ١١)

[2] صحيح الجامع.

ويقول الذهبى: أنه ما بلغنا أن شخصا جمع من العلم ما جمع ولا وصل من المدن ما وصل ولا سمع من المشايخ ما سمع من ابن منده، فقد روى عن أكثر من ألف وسبعمائة شيخ، وخرج من بلده وسنه عشرون عاما. ولم يعد إليها إلا وسنه خمسة وستون عاماً... وخمسة وأربعون عاماً قضاها كلها فى الترحال فى طلب العلم، ولما دخل بلده كان معه أربعون حملاً من أحمال الجمال كلها مكتوب فيها حديث رسول الله ﷺ.

ولذا فإن رسول الله ﷺ بين لنا قدر طالب العلم عند الله فى قوله ﷺ: "من خرج فى طلب العلم فهوى فى سبيل الله حتى يرجع"، لذا يجب على طالب العلم أن يقدر الرسالة التى يحملها، وأن تكون نيته أن يتعلم العلم لله وأن ينفع به البشرية، وليس لمجرد عرض دنيوى، لذا قال ﷺ: "من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يرح رائحة الجنة" رواه أبو داود.

وإنما من أسمى رسائل العلم هو النفع به فرسولنا ﷺ يقول: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"، فلتعلم أن العلم له فوائد كثيرة فى حياة الفرد والجماعة فكلما أزداد علمك ارتفع قدرك وحسنت أخلاقك، وتوسعت مداركك واستطعت التفريق بين الخطأ والصواب، ورسول الله ﷺ يوضح لنا هذه الفائدة بقوله: "لو كان جريج الراهب فقيهاً لعلم أن إجابته أمه أفضل من عبادة ربه"، فقد كان راهباً فى بنى إسرائيل يعبد الله تعالى فى صومعته، فجاءته أمه يوماً وهو قائم يصلى، فنادته: يا جريج، فلم يجبها، لاشتغاله بصلاته، فقالت: ابتلاك الله بالمومسات، تعنى الزوانى، وكانت امرأة فى تلك البلدة خرجت لحاجة لها، فأخذها راع، وزنا بها، فحملت، فلما وضعت حملها وعلم الملك أنه ابن زنا، فسألها من أين لك هذا الولد؟ قالت من جريج الراهب.

فبعث الملك أعوانه فنادوه فلم يجبهم لانشغاله بالصلاة، فهدموا صومعته وجعلوا في عنقه حبلاً وجاءوا به إلى الملك، فقال له الملك: إنك قد جعلت نفسك عابداً، ثم تهتك حرم الناس، وتتعاطى ما لا يحل لك. قال: أي شئ فعلت؟ قال: إنك زنيت بامرأة كذا، فقال لم أفعل، فلم يصدقوه، وحلف في ذلك فلم يصدقوه فقال: ردوني إلى أمي.

فردوه إلى أمه، فقال لها: يا أماه إنك دعوت الله عليّ، فاستجاب الله دعاءك فادعى الله أن يكشف عني بدعائك. فقالت: اللهم إن كان جريج إنما أخذته بدعوتي فاكشف عنه، فرجع جريج إلى الملك فقال، أين هذه المرأة، وأين الصبي، فجاءوا بالمرأة والصبي، فسألوها، فقالت: هذا هو الذي فعل بي، فوضع جريج يده على رأس الصبي، وقال بحق الذي خلقك أن تخبرني من أبوك؟ فتكلم الصبي بإذن الله وقال: إن أبي هو راعي الضأن. وكان هذا الصبي أحد الأربعة الذين تكلموا في المهد وهم (عيسى بن مريم، وصاحب الأخدود وصاحب جريج الراهب، وصاحب يوسف عليه السلام — الذي قال فيه ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وشهد شاهدٌ من أهلها﴾

ولكن بعد أن عرفنا فضل العلم يتبقى لنا أن نعرف جيداً أن الإسلام — ليس كما يقول البعض — يدعو إلى تعلم علوم الدين فقط؟ بل إنه يأمر الإنسان بطلب كل العلوم التي تنفع البشرية؟ فعلم الطب ينفع الناس في رفع الألم عنهم وإن كان الشفاء بيد الله ولكن لابد من الأخذ بالأسباب، وعلم الهندسة مثلاً يفيد الناس في بناء حضارتهم من مساكن عالية تحويهم وسيارات وطائرات تنقلهم. وغيرها من الأشياء التي تنفع البشر. كذا فإن الدين يأمرنا بتعلم جميع العلوم، أما عن علم الدين فهو كباقي العلوم الأخرى فهو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط على الآخرين فليس من الضروري أن يكون الفرد ملماً بجميع العلوم ولكن يكفي أن يتخصص في علم ينفع به

الناس ويتفقه فى باقى العلوم على قدر استطاعته، لأن التفقه فى العلوم المختلفة سواء كانت نظرية أو تطبيقية يفيد كثيراً فى ثقافة الفرد ونموها، ولا يمكن فصل ثقافة الفرد عن شخصيته، فبناء شخصيته مرتبط ببناء ثقافته. وهذا هو الذى دفع نخبه من أساتذة الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) إلى القول: "فقد يكون من الصعب فى الدراسات الأنثروبولوجية أن نفصل بين الثقافة وبين الشخصية، وذلك لأنه إذا كانت الثقافة هى الميراث الإجتماعى لكل ما صنعه الإنسان عبر الزمان والمكان فإن الشخصية تعتبر هى الوجه الآخر للثقافة"...ويقول الإمام بديع الزمان سعيد النورسى" "ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب فى الأولى والحيد والشبهات فى الثانية"

ولذا فإن المسلمين الأوائل منذ عهد الرسول ﷺ كانوا حريصين على تعلم العلوم واللغات وقد أرسل الرسول ﷺ زيد بن ثابت ليتعلم اللغة السريانية... وقد أثبت التاريخ أن علماء المسلمين هم الأوائل السابقون فى معظم العلوم وأن الحضارة الإسلامية هى صاحبة الفضل الأول فى المدينة الأوربية وقد أعترف الغرب بذلك[١]. ومن هؤلاء العلماء: أبو بكر الرازى الذى أدى للبشرية أجمل صنع وإحسان حين عكف على بحوثه الطبية محاولاً اكتشاف الدواء لكل مريض، ملبياً دعوة النبى ﷺ: "تداووا عباد الله، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له دواء غير داء واحد"... قيل ما هو يا رسول الله، قال: "الهرم"... ولقد وضع الرازى ٢٢٩ كتاباً فى الطب ترجمت جميعها إلى اللغات الأجنبية لتكون فى خدمة الطب الحديث.. وابن سيناء هو أول من

(1) انظر اعتراف الغرب بفضل الإسلام والحضارة الإسلامية فى هذا الكتاب فى موضوع السعادة بين الإسلام والعولمة

تحدث عن السرطان بلغة الطب، وابن النفيس مكتشف الدورة الدموية قبل أى طبيب فى العالم، وأول من قال إن المعدة تتأثر بالأضطرابات النفسية وهـو من آخر ما انتهى إليه الطب العصرى... وابن رشد الطبيب الفيلسـوف أول من كتب فى الصحة الغذائية عن معرفة بالأسرار العلمية التى لم يصل إليها غيره... وجابر بن حيان وما قدمه فى الكيمياء فى ثمانين كتابـاً معظمهـا مودع فى المكتبات الأجنبية... والعالم العربى عز الدين الجلدكى أول من نبه إلى خطر استنشاق الإنسان للغـازات والأبخـرة الناتجـة عـن التفـاعلات الكيماوية... وابن الهيثم الذى له الفضل الأول فى علوم الطبيعة والهندسـة عندما قال بخطأ نظرية أقليدس وغيره من الذين اعتقدوا بأن العـين ينبعـث منها الضوء، وقال بأن الضوء يخرج من المرئى ويقع على العين فيحـدث الإبصار.. وكمال الدين الفارس أول من درس قوس قزح وعلل سبب ظهوره فى السماء على شكل قوس أو قوسين متحـدى المركـز... وفـى النبـات والزراعة كان من بين علماء المسلمين الذين أفاضوا على الإنسانية بعلمهم، موفق الدين البغدادى وابن البيطار أول من اهتم بدراسة الحشائش التى تنبت فى الحقول وتضر بالمحاصيل... وفى الرياضة والفلك، كـان الخـوارزمى حجة، راح يرسم خرائط النجوم ويخطط ويضع أسس علم الجبـر... وفـى التاريخ والجغرافيا، كان ابن خلدون والشريف الأدريسى وابن بطوطه مـن أسباب اكتشافات كثيرة فى كل نواحى الأرض لم يكن يعلـم العـالم عنهـا شيئاً[1].

كل هؤلاء العلماء المسلمين دفعهم الدين الإسلامى وقول الرسول ﷺ: "اطلبوا العلم ولو فى الصين" إلى الخوض فى كل العلوم والمجالات... ولـذا كان لهؤلاء العلماء المسلمين ومن قبلهم ومن جاء بعدهم من علمائنا المسلمين

---

(1) ناصف سليم: طريق الشباب فى الإسلام ص١٩٣، المطبعة العربية. ط٢/١٩٦٨م.

فضلاً فى وضع حجر الأساس فى الحضارة الإسلامية التى كانت صاحبة الفضل على كل الحضارات فى العالم... والتى جعلت الغربيين يعترفون بفضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الأوربية حتى إن أحدهم يقول: "كان المسلمون فى القرون الوسطى متفردين فى العلم والفلسفة والفنون وقد نشروها أينما حلت أقدامهم وتسربت عنهم إلى أوربة؛ فكانوا لنهضتها وارتقائها".... ولذا يقول الكاتب العصرى "أناتول فرانس" فى كتاب "الحياة المزهزة" إن أشأم أيام التاريخ هو يوم معركة بوابية فى سنة ٧٣٢ حين تقهقرت العلوم والفنون والحضارة العربية أمام البربرية الفرنجية... فى هذا اليوم أوقف جيش شارلمان بقيادة شارل مارتيل زحف الجيش العربى، فتراجع واكتفى بالشواء فى أسبانيا... ولو تم النصر للجيش العربى فى هذا اليوم، لكان فى أوربا حضارة كالتى شهدتها أسبانيا[١].

كما أن الفتاه المسلمة متعلمة مثقفة واعية، فهذه عائشة رضى الله عنها، التى يقول عنها عروة بن الزبيررضى الله عنهما: "ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة رضى الله عنها". فالفتاه المسلمة ليست رجعية وإنما فتاه متحضرة منذ عهد رسول الله ﷺ.. فنجد الشفاء بنت عبد الله من المتعلمات المثقفات وقد ولاها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمور الحسبة فى السوق لعلمها وفهمها. وكانت الصحابية الجليلة أم الدرداء رضى الله عنها تعلم النساء فى المسجد الأموى بدمشق فكان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يجلس متخفياً وراء ستار ليسمع التفسير والفقه والحديث من أم الدرداء

(1) المصدر السابق.صـ١٩٦

ولابد أن تعلم الفتاة المسلمة التى هى أم المستقبل أن لها الدور الأول فى تربية الأولاد وخروج أجيال أقوياء فبدلا من أن تشغل نفسها بأمور تافهة تجعل من نفسها عقلاً مفكراً وقلباً نابضا ينبض بالأمل وحب الوطن والعمل من أجل عودة كرامة الإسلام والشرق ولتكن مثل تلك الطالبة الأزهرية — عندما طلب أستاذها أستاذ الجامعة من الطلاب أن يكتبوا أمنياتهم — فكتبت هذه الطالبة تقول: أتمنى أن أكون أماً وأنجب صلاح الدين... حقاً إنها الفتاة المصرية المسلمة صاحبة الآمال السامية، فلتتسلح الفتاة المسلمة بالعلم والإيمان لتكون زوجة صالحة وأماً مثالية ومربية أجيال ماهرة... ولذا فإن رسول الله ﷺ نبه إلى ضرورة تربية البنات وإعدادهن كى يكن أمهات صالحات فى المستقبل، فيقول ﷺ: "من كان له ثلاث بنات، فصبر على لأوائهن، وضرّائهن وسرّائهن أدخله الله الجنة برحمته إياهن" فقال رجل: يا رسول الله واثنان؟ قال ﷺ: "واثنان"، قال الرجل: وواحدة؟ قال ﷺ: "وواحدة"(١). وقال ﷺ: "من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وعلمها وأحسن تعليمها وأوسع عليها من نعم الله التى أوسع عليه، كانت له منعة وستراً من النار"(٢).

وعلى طالب العلم أن يجتهد فى دراسته، وأن يسلط كل الأضواء على هدفه فلا يشغل نفسه إلا بالدراسة، ولا يشغل نفسه بأمور تافهة كاللعب أو العشق الذى به يضيع الوقت ويضعف به الجسد ويغفل به القلب وينسى به العقل... وكل هذا ليس من صفات طالب العلم الماهر الناجح.

والأهم هنا هو أن يبتعد طالب العلم عن معصية الله لأن للمعصية كما يقول ابن القيم من الآثار المذمومة القبيحة المضرة بالقلب والبدن فى

---

(1) رواه الحاكم وصححه.

(2) رواه الطبرانى.

الدنيا والآخرة مالا يعلمه إلا الله فمنها: حرمان العلم، ووحشة القلب وقسوته، وتعسير الأمور أمامه، بغض الناس له الناتج عن بغض الله سبحانه وتعـــالى وحيرة لا يعرف سببها، وقلة البركة.

وقال ابن عباس: إن للحسنة ضياءً في الوجه ونوراً في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة ســواداً فـــي الوجه وظلمة في القلب ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق وبغضاً في قلوب الخلق. كما يورث صاحبها الهم والغم والشقاء[١].

ويكفيك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾[٢] أى اتقوا الله يرزقكم العلم والعقل والمعرفة، وقول الإمام الشافعي:

سألت وكيع عن سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال لي إن العـــلم نـــور ... ونور الله لا يُهـــدَى لعاص

كما أنصحك أيها الشاب عن تجربة شخصية بمخالفة الهوى واســمع قائلاً:

إنى ابتُليتُ بأربعٍ ما سُـــلِّطوا ... إلا لشـــدة شقـــوتى وعنـــائى
إبليس والدنيا ونفســـى والهوى ... كيف الخلاص وكلهم أعـــدائى
أرى الهوى تدعوا إليه خواطرى ... فى ظـــلمة الشهـــواء والآراء

ويقول أمير الشعراء:

والنفس كالطفل إن أهملته شب على ... حب الرضاع وإن تفطمـــه ينفطـــم
فاصــــرف هواها وحاذر أن تواليه ... إن الهوى ما تولى يصم أو يصـــم
وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محضاك النصـــح فاتهم

(1) السيد عسكر: آثار المعاصي والذنوب، دار البشير، ط٢/١٩٩٧م
(2) سورة البقرة، آيه ٢٨٢.

الحب والسعادة

إن الحب من أسمى معانى الحياة، ومن الأسماء التى تدق لها كل القلوب وتنتعش لها كل العقول، فهو شئ جميل يجعل الإنسان سعيداً منتشياً، وفيه يشعر المحب بقيمة نفسه.

وقد وضع الدكتور أوجست فوربل[١] تعريفاً للحب فى كتابه (المسألة الجنسية يقول فيه: الحب هو أن يشعر الرجل والمرأة بعد تقدير ناضج صحيح بجاذبية جنسية يربطهما توافق فى الطباع والأخلاق يدفعهما إلى الإشتراك فى حياة واحدة ويحفزهما إلى القيام بقسطهما من العمل الاجتماعى بادئين هذا العمل بالتعليم المتبادل وبتربية أبنائهما.

وكنت قد وضعت تعريفاً للحب يكاد يتشابه إلى حد ما مع تعريف فوربل: الحب هو تقارب فى الطباع بين رجل وامرأة تجعل كل منهما يقترب من الآخر ويحاول إرضائه وكسب إعجابه، يضاف إلى ذلك التجاذب الجنسى بينهما مما يدفعهما إلى الرغبة فى الاشتراك معاً فى حياة واحدة بكل مقوماتها.

ولله در الدكتور مصطفى محمود وهو يتحدث عن الحب، فيقول: الجنس بذاته لا يكفى أن يوثق الحب بين اثنين، لأن الحب أعمق وأشمل من لحظات الجسد.. لأنه تعارف داخلى بين نفسين ولونين من الطباع والعادات والأخلاق والمشاعر[٢].

---

[1] دكتور فى الطب والفلسفة والقانون، وأستاذ الأمراض العقلية (بسويسرا)

[2] دكتور مصطفى محمود: الأحلام ص٨٥ - ط٤ دار المعارف ١٩٩٢م.

ونجد مصلح محمد يعرض لعدة تعريفات للحب ثم يقول: كلها تدل على أن الحب هو انجذاب ـ سواء كان لعاطفة محضة أو تجاوب جنسى أو رغبة جنسية أو شئ فى جسد المرأة[١].

ويتضح من خلال هذه التعريفات الربط بين الحب والجنس وهذا واقع لا ريب فيه فالحياة الزوجية السعيدة لا يمكن أن تستمر بدون إشباع العاطفة الجنسية، بل إن الحب لم ينشأ بين الرجل والمرأة منذ أقدم العصور إلا بسبب العاطفة الجنسية ورغبة كل من الرجل والمرأة فى الاستمتاع بالآخر... ثم تطورت هذه الرغبة تدريجياً حتى أخذت عاطفة الحب شكلاً مستقلاً تماماً عن العاطفة الجنسية بالرغم من أن عاطفة الحب الأفلاطونى فرع من العاطفة الجنسية وهذا مما يجعل الحب مرتبطاً ارتباطاً قوياً بالجنس. ولذا يتوسع فرويد (عالم النفس) فى مفهوم الغريزة الجنسية فلم يقصرها على وظيفة التناسل أو التكاثر وإنما جعلها مصدر كل محبة وعطف وحنان كما أنها تشمل جميع مظاهر اللذة الحسية والعاطفية[٢].. وسأتحدث عن هذا الموضوع بالتفصيل فى هذا الكتاب فى موضوع السعادة الزوجية إن شاء الله.

ولكن المهم هنا: أى حب هذا الذى يجعل الإنسان سعيداً؟ فالحب: أنواع: حب الله ورسوله، وحب الناس، وحب الرجل للمرأة وحب المرأة للرجل.

وهذا النوع الأخير هو مدار حديثنا فى هذه الرسالة وهو ينقسم إلى قسمين: قسم محرم مرفوض، لا يأتى إلا بالتعاسة والشقاء. وقسم مقبول ومطلوب، وهو يجلب السعادة والسرور.

---

[1] مصلح محمد: الاختيار الجنسى والخلقى للزواج ص٥١، دار النشر هاتييه ١٩٩٣م.

[2] د. عبد الرحمن العيسوى: علم النفس الحديث ص٣٩

أما الحب المحرم فهو هذا الحب الذى يعرفه الشباب التافه والفتيات الضائعة، وهو هذا الحب الذى يعرفه الشباب فى الأماكن البعيدة عن عيون الأهالى، وللأسف هذا النوع له رواجه وشهرته فى هده الأيام... وهو من أنواع التقليد الغربى الذى لا يعرف الإسلام عنه شئ، وهو منه برئ.

وأنا أعلم أن الكثير من الشباب والفتيات سيفهمنى خطأ، فقد كنت مسافراً بالقطار ذات يوم، فجلست بجوارى طالبة جامعية، فقرأت عنوان كتبته بيدى واسمه (ماذا أفاد هذا العشق المحرم) فقالت لى: أتحرم الحب؟... كلا والله يا أختاه أنا لا أحرم الحب، أنا أدعو إلى الحب، بل إننى والله أحب الحب... ولكن ... أى حب؟ هل الحب الذى أمر الله به؟ أم الحب الذى أمر به الفجار؟

إن إسلامنا العظيم لم يمنع الحب ولم يحرمه، ولكنه وضع له ضوابط وجعل له شروطاً كلها فى صالح المرأة وحفظ كرامتها وشرفها. ومن أجل سعادة البشر، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[1]. وتأمل الألفاظ فى الآيه الكريمة، تجده سبحانه وتعالى يقول: ﴿أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ ولم يقل: معشوقات لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة. ومن هذه الآية يتضح لنا أن الحب الحلال هو الذى أمر الله به بين الزوجين، القائم على أسس دينية وأخلاقية لا فساد فيها، وهو الحب الذى أراد الله به حفظ النوع البشرى ليكون خليفة الله فى أرضه ولذا نجده ﷺ يقول: "لم نر للمتحابين مثل النكاح".(ابن ماجه).. وهذا يؤكده

[1] سورة الروم، آيه ٢١

العلاقة بين الحب والجنس فمعلوم أن الحب والجنس بينهما علاقة قوية كما أثبتنا فى التعريفات السابقة، كما أنه لا توجد علاقة جنسية إلا بين الرجل وزوجته، وهذا ما أثبته الرسول ﷺ فى الحديث السابق.

فإن الله سبحانه وتعالى لما أراد حفظ النسل البشرى، غرس فى الإنسان الشهوة حتى يكون لكل جنس رغبة فى الجنس الآخر، ثم أودع فيه الحب والميل إلى الجنس الآخر، وهذا ليس عبثاً، لأنه لو لم يكن الحب لما كان الزواج والترابط الأسرى، وبذلك تكون شهوة الإنسان كشهوة الحيوان. فيجامع الرجل المرأة ثم يتركها... ثم بعد أن تضع هذه المرأة طفلها إما أن تتركه يموت أو ترضعه حتى يكبر ثم تتركه يفسد ولا يتعلم قيماً، ولا ديناً، ولا عبادة. وهذا هو حال الحيوان. فأراد الله أن ينزه الإنسان ويكرمه عن باقى المخلوقات، فكان هذا الحب وهذا الزواج واحداً من الأشياء التى كرم بها الإنسان.

أما الحب الذى تسأل عنه (صاحبة القطار) فهو العشق الذى لا أصل له فى الشريعة الإسلامية، وهو ما نراه بين الشباب والفتيات، فى المنزهات وفى الطرقات، وعلى الشواطئ، وفى الجامعة يتسكعون ويتبادلون أطراف الحديث والهمسات واللمسات، والقبلات، فى أماكن بعيدة عن عيون الأهل. فهذا هو الحب الذى يعرض كل منهما للخطر فيعرض الشاب للمعصية التى تورثه الحزن والكآبه، كما يعرض الفتاه للمعصية أيضاً، أو إلى فقد أغلى ما تملكه وهو شرفها الذى تحيا به ومن أجله وفقد حياءها.

فقد تقول إحداهن أنا أخرج معه ولكنه لا يمسنى ولا يلمس شعرة من رأسى... أقول لها: أيتها الفتاة ما يدريك أنه يحبك أصلاً قد يكون يريد أن ينال منك متعة حقيرة، ثم يدعك تتألمين وتتجرعين كئوس العذاب... أتظنين أيتها الفتاه أن الشباب يرغبون فى الفتاة التى تترك نفسها لكل من يريد أن

يحب أو يتسلى بها ثم يتركها بعد أن ينال من عفتها وأنوثتها.... إنهـا فـى نظرنا ــ نحن الشباب ــ تافهة لا تصلح زوجة أو حتى صديقة، فهى عنـد هؤلاء الشباب لمجرد التسلية والمتعة العارضة... أما فى وقت الزواج فهـم يلقونها بقذارتها فى سلة المهملات، ويبحثون عن الفتاة العفيفة التى تصـون نفسها وكرامتها التى لا تختلط بالشباب ولا تعرف إلا بيتهـا ومدرسـتها أو جامعتها، فكونى حريصة، ولا تتركى قلبك وجسدك بين أيدى الـذئاب، ولا تغترى بهذا الكلام اللطيف المُذوّق والوعود الكاذبة، فلو كان يحبـك بحـق لدخل كما يقولون من الباب ويتقدم لأهلك ويخطبك منهم، ويجالسك أمـامهم، فاحفظى عفتك يحفظ الله كرامتك وكيانك... اللهم بلغت اللهم فاشهد.

ويوافقنى فى هذا الدكتور عبدالله عبد الحى من خلال حديثه فى ندوة مدرسة السلام الثانوية للبنات، حيث يقول: "إنما الفتاة التى تتعرف على شاب فى الشارع يتركها فى الشارع... لأنه لم يأخذها من جهة مصونة ولا مـن مكان كريم ولا من جهة مقبولة... فوصيتى إلى الطالبات وإلى كـل بنـت مسلمة ألا تخدع بما يسمى بالحب الآن، وألا تجرى وراء تيـارات الشـباب المراهقين... وإنما تلتزم بتعاليم الإسلام وتسلك مسلك الإسـلام فـى الأدب والعفة والحفظ والصيانة والله سيسوق إليها الزوج كما يسوق إليها الرزق فى مجال تجد فيه طهرها وسعادتها لـدنياها وآخرتهـا"... وتضـيف إحـدى المدرسات أن الفتاة قد تسير مع شاب يكون له مقاصد شهوانية من علاقتـه بها.. وبمجرد ــ ما ينالها ــ وقد تكون الفتاة غير مسـتعدة لـذلك ــ لكـن بطريقة ما استطاع أن يستدرجها ويحصل منها على ما يريد فلم تعد تـرى وجهه ولو رأته لا تسمع منه الكلام التى كانت تسمعه من قبل ولم تجـد إلا العبوس والتكشير أو الابتسامة الصفراء التى تدل على عدم حبه لهـا وقـد

يعرف شابا أن هذه الفتاة مؤدبة، ويراهن أصحابه على أن ينال منها.. ويبدأ في استدراجها ليثبت أنه كذا أو كذا... وعندها يبدأ في التخلي عنها..[١].

وهذه قصة حقيقية لفتاة جامعية تحكيها وعيناها تذرفان الدموع فتقول: طول عمري أتمنى أن أحب وأن أجد من يحبني ويقدر حبي له وسأمنحه كل حياتي ولكني لم أوفق في كل تجاربي العاطفية فكلما أحببت شاباً بعد أن يعترف لي بأنه يحبني وأنه لن يتخلى عني وسيتزوجني فأمنحه قلبي وكل حبي، وأسلم له نفسي فينال مني ما يريد من متعة وإشباع شهوته.. ثم أجده قد ابتعد عني فعندما أعاتبه على بعاده، يقول لي: يجب أن نفترق الآن حتى ننتهي من دراستنا، وإن لم يكن طالباً فيحتج بأني مازلت طالبة ويجب عليه أن يتركني حتى لا يشغلني عن دراستي... وقد يتزوج بعد ذلك من طالبة أخرى..

وبعد أن مررت بعدة تجارب من هذا النوع أردت أن أعزز جسدي.. فأجد الغضب والإلتواء، فأعود إلى ما كنت عليه من التساهل، فيحدث نفس ما حدث مع من قبله.. وليس هذا فحسب، بل إن تجاربها الحمقاء أفقدتها الثقة بكل من حولها، فهي تقول ودموعها تسيل على خديها:إن كل من حولي يطمعون في حتى أقرب الناس إلي.

والكثير من الشباب يكونون في بداية تجاربهم ليس لهم أغراض شهوانية ولكن الشاب لأنه أحبها من الشارع بعيداً عن انظار أهلها، فهو لذلك يفقد الثقة بها ويحاول بطريقة ما أن يوقعها في الفخ.

---

[١] مجلة اللواء الإسلامي العدد (١٩٨) ١٦/٢/١٩٨٤.

فتجد هذا الشاب يبدأ بمسك يدها أو بوضع يده علـى كتفهـا، فـإذا أنزلتها.. يقول لها: أتخافين منى؟ ألا تثقين بى؟ إذن أنت لا تحبينـى.. ثـم يتظاهر بالغضب، فتخضع تلك المسكينة الحمقاء لهذه الحيل الخبيثة، وتتركه يفعل ما يشاء حتى لا يغضب منها ويفارقها، ثم يبدأ هذا الـوحش بإثارتهـا تدريجياً حتى يأخذ منها ما يريد، وقد يسلبها شرفها... ثم بعد ذلـك يتركهـا غارقة فى بحار الأحزان والآلام والعار والفضائح.

وقد يتبع هذا الحب زواجاً عرفياً ثم بعد ذلك يتركها ويختفـى مـن حياتها. بعد أن خدعها بهذا الحب المزعوم... وتحمل الفتاة وتبدأ بطنها فـى الظهور... وتلقى الإهانة والإزدراء... ثم تلد طفلاً لا تستطيع نسبه لأبيه لأنه قد هرب، وقد تلجأ إلى المحاكم من أجل هذا، وتعذب أهلها وتتعس نفسها بقية حياتها...

إذن فماذا أفاد هذا الحب يا صاحبة القطار. إقرأى يا فتاة الجامعة... أنا لم أقل: الحب ولكنى قلت: العشق لأن الحب ليس محرمـاً... أيحللـه الله ونحرمه نحن؟

وكثيرون من الشباب وخاصة الإناث عاشوا فى الغرام، وأحبوا قبل الزواج... وكثيرون تعذبوا بهذا الحب، وظلوا عاكفين عليه... ثـم بعـد أن يحدث ما لا يرجى حدوثه، تجدهم يقولون: ليت أهل الحب ما عرفوا الحـب ولا دخلوه، فكم من حكايات للعاشقين كشفت لنا عن آلام وأحزان وحسرات.

ويذكر سلطان الخطيب فى (رسائله إلى الجنس اللطيف) قصة فتـاة تعيش فى حى من أرقى الأحياء المصرية.. يقول: وأسفل إحدى العمـارات يستيقظ السكان وينتبهون على صوت إرتطام جثه أسفل العمارة سقطت مـن

شرفة الدور الثالث... وبعد معاينة الجثة تبين أنها لطالبة ثانوى عمرهـا ١٧ سنه كانت بصحبة صديقها الطالب الذى وعدها بالزواج، واصطحبها معه لقضاء سهرة بشقة مفروشة مع مجموعة من أصدقائه من بعض الأثرياء وهناك ضاع كل شئ وفقدت أعز ما تملك، وطلبت منه أن يوفى بوعده بالزواج منها.. فرفض.. فألقت بنفسها من شرفة الطابق الثالث.. خوفاً من الفضيحة وأكتشاف أمرها عند أهلها.... فرحلت إلى الأبد ولقيت مصرعها فور سقوطها أسفل العمارة.

ويحكى عبد الله عبد الفتاح فى (أخطار تهدد البنات) خبر فى إحدى الصحف اليومية إنه وقع سائق ميكروباص فى غرام طالبة، التى أعتادت الركوب فى سيارته وخصص لها مكاناً إلى جواره فى المقعدين الأماميين، تكررت الحوارات والضحكات بينهما حتى سألها يوماً عن رأيها فى الزواج منه ووافقت الفتاة وطلبت منه زيارة أهلها، ذهب السائق إلى أسرة الطالبة تسبقه أحلامه فى الإرتباط بالحسناء الشابه لكن أسرتها رفضته بشدة لفقره وجهله، فخرج السائق وهو يضمر فى نفسه الإنتقام واتصل بها ذات يوم وأخبرها بخبر مزعج وهو وقوع حادث لأمها وأنه يحدثها من مكان الحادث. هرولت الفتاة إليه ففوجئت به يهددها بالسير معه وهو يضع مطواه فى جانبها، أدركت الفتاه أن السائق أنتهز هذه الفرصة لينفذ أمراً. أنطلق السائق بها وهناك دخل بالفتاة إلى شقة أخبرها أنها ستكون شقة زواجهما... لكن الفتاة صرخت بأعلى صوتها رافضة الزواج من خلف ظهر أسرتها أصر السائق على عدم الإستجابة لدموع ضحيته، وظل يغتصبها ٢١ يوماً حتى هربت منه وعادت إلى أسرتها بائسة نادمة على علاقتها بهذا الشاب، فأفاقت الفتاه بعدما وجدت دماء البكارة يسيل على فخذيها، فبماذا أفاد الحب خلف الجدران.

وقد قرأت في إحدى الصحف المصرية قصة فتاة من عائلة ثرية أحبت شاباً فاشلاً كان يتصل بها تليفونياً منتحلاً شخصية أحداً المشاهير، فأحبته الفتاة من قبل أن تقابله، ثم طلبت مقابلته، فاعتذر بحجة أنه مريض، وألحت الفتاة عليه، فاتفقا على أنه سيرسل إليها من يوصلها إليه، وقابلها في الموعد والمكان المحدد على أنه هو الشخص الذي أرسله إليها وذهب مع الفتاة إلى شقته، وهناك اكتشفت الفتاة الخطة التي رسمها عندما حاول الاعتداء عليها، وأرادت الهروب والفرار منه، فانقض عليها وقتلها[1].

وقصة أخرى يذكرها صلاح الدين السعيد في كتابه (عندما ينتحر العفاف) فيقول لقد دقت الساعة السادسة صباحاً في ذلك المنزل المكون من أب وأم وأولاد وبنات في عمر الزهور، فأخذ هذا الرجل أبنته التي تبلغ من العمر عشرين عاماً وأوصلها بسيارته إلى الجامعة وودعها ونزلت الفتاة على موعد مع الحبيب وأسرعت إليه، وأخذها في سيارته وخرجا من الجامعة إلى مكان بعيد في مدينة أخرى ودخلا المكان الذي أراده وبعد أن نال منها ما تمنى واكتفت غرائزه وأشبع شهوته منها، عاد معها وهو يسوق السيارة بسرعة عالية... وفي أثناء السير بسرعة أنفجر إطار السيارة وانقلبت عدة مرات... يقول: لقد صار شعرها الطويل المنساب على ظهرها كأنه سنابل تركت بغير حصاد، وهي تصرخ من الندم، ولسان حالها يقول: قتلك الله كما قتلتني.

نعم لقد قتلها، فقد سلبها أغلى ما تملك، فالموت أهون على الفتاة من ضياع شرفها وإنتهاك عرضها... فلقد ماتت هذه الفتاة وهي ما زالت على قيد الحياة... بل إن الموت كان أهون عليها من أن تحمل من الزنا... وتعود قائلة: يا ليتني مت قبل هذا أو يا ليتني لم أولد، فلقد ولدت للشقاء والتعاسة.

---

[1] (ح.٢٠٠٤/٨/١٢).

ولما جاء الأب إلى الجامعة ليأخذ ابنته أخبروه بأنها في المستشفى فلما ذهب إلى هناك، ووجد ابنته مستلقاه على سرير المرض وعلم بأنها كانت مع ذلك الشاب في سيارته فانقلبت بهما السيارة، فسقط على الأرض من هول الصدمة وشق ثوبه وصاح بأعلى صوته ليس للمرأة إلا بيتها ... ليس للمرأة إلا بيتها.. ليس للمرأة إلا بيتها.

وانتبهنا بعدما زال الرحيق وأفقنا ليتنا لا نُفيق

يقظة طاحت بأحلام الكرى وتولى الليل والليل صديق

ترى ما هو السبب فيما حدث لهذه الفتاة وأبيها وأمها وأسرتها، ولقد أصبحت مشوهة المنظر مهتوكة العرض، لا قيمة لها أمام نفسها، يتقاذفها الندم في مهب التعاسة والشقاء... إن السبب هو الإختلاط والحب الذي لا أصل له في الشريعة ولا تضبطه أي ضوابط، والتبرج الذي جعل هذا الشاب يطمع فيها، فلقد أغراه جمالها، وشعرها المنساب على ظهرها يتطاير كلما هفهفته الريح، وشفتاها المفروغتان بالإبتسامة في وجه الشباب، وجسدها العاري.. كل هذا جدير بأن يحرك شهوته، ويدفعه للإقتراب منها، والطمع في التلذذ والتمتع بها بأي طريقة كانت... ثم تصور معي الحال الذي أصبح عليه أسرة هذه الفتاه أو حال أهل هذا الشاب الذي مات جنباً من الزنا... فلتعتبر كل فتاة، وتستعفف، وترجع إلى دينها وتتمسك به.. وليعتبر كل شاب ويخشى الله، ويشغل وقته بشئ فيه منفعة.

وأنا لا أذكر قصص هؤلاء الفتيات ليكن محل شماتة أو احتقار وإنما ذكرت ذلك لكي تعتبر كل فتاة... أما عن هؤلاء المصابات فهن من البشر وكل ابن آدم خطاء ولكن: خير الخطائين التوابون... فنسأل الله أن يغفر لهن ويسعدهن في الدنيا والآخرة.

وانظر عافاك الله إلى مجنون ليلى الذى بلغ به العشق إلى درجة أفقدته وعيه، وجعلته هيناً على نفسه وعلى من حوله، لدرجة أنه كان يمر بالأماكن التى تمر بها ليلى ويقبل الحوائط والجدران التى مرت عليها فيقول:

أطوف على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدار
وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديار

بعد أن ماتت ليلى.. قال له رجل: ما اسمك؟ قال: ليلى... انظر إلى هذا العشق الأحمق الذى جعله لا يدرى بنفسه ومن حوله، وأهمل حياته، وساح فى الأرض كالمجنون (حتى أطلقوا عليه مجنون ليلى) فمن يرضى على نفسه أن يكون مهاناً بهذا الشكل... أترى أن حبه كان على أساس صحيح؟ كلا... فإنه لو كان كذلك لما قال فيها شعر يصف فيه جمالها، وقبلاتها وأحضانها... حتى أنه قال لزوجها:

بربك هل ضممت إليك ليلى قبيل الصبح أو قبلت فاها
وهل رفت عليك قرون ليلى رفيف الأقحوانة فى نداها[1]

فأجاب زوجها نعم: وكان أمام زوجها ناراً يصطلى بها[2] فأمسك قيس بالنار ولم يتركها حتى سقط لحم يده وخر مغشياً عليه!.. أى هوان هذا يا قيس؟ وأى ذل هذا يا قيس؟.. ومن أجل من؟... أى امرأة مهما كانت تستحق أن يهين الرجل نفسه لها هكذا يا قيس؟ لقد أتعست نفسك وفقدت كل شئ من حب ليلى حتى إنك أصبحت لا تعرف اتجاه القبلة فى الصلاة، بل إنك أصبحت تتوجه نحو ليلى فى صلاتك... أليس أنت القائل:

إذا صليت يممت نحوها بوجهى وإن كان المصلى ورائى

---

(1) رفت: مالت، قرون: ضفائرها (شعرها)
(2) يصطلى بها يستدفئ بها.

وليس قيس وحده هو الذى فقد دينه ودنياه من أجل المحبوبة بل هناك الكثير من الذين أتعسهم الحب ولم يبق لهم عقلاً ولا ديناً ولا دنيا فهذا جميل بثينة يقول:

يقولون جاهد يا جميل بغزوة وأى جهاد غيرهن أريد؟

فهم يقولون اخرج للجهاد يا جميل ولكن جميل يجيب بأنه لا يجاهد إلا فى سبيل بثينة وحبها فهو لا يملك الوقت الذى يدافع به على أرضه أو دينه لأنه مشغول بحب بثينة.

وليس هذا فقط ولكنه كان يصلى فيبكى فى صلاته ولكن لا يبكى خشوعاً وإنما كان يبكى عندما يتذكرها فى صلاته فيقول:

أصلى فأبكى فى الصلاة لذكرها لى الويل مما يكتب الملكان

أين هذا من غسّيل الملائكة حنظلة رضى الله عنه الذى قام من فراشه ليلة عرسه مجاهداً فى سبيل الله وهو جنب... فلما استشهد فى الحرب، رأى رسول الله ﷺ الماء يقطر من جسده فسأل زوجته، فقالت: دخل بى فأصبح وهو جنباً، فسمع منادى الجهاد فخرج وهو جنباً، فقال لها النبى ﷺ: أبشرى فوالذى نفسى بيده لقد غسلته الملائكة بماء المزن بين السماء والأرض.

وانظر إلى هذا التائه (العباس ابن الأحنف) الذى أحب امرأة جعلته مؤرقاً قلقاً تعيساً لا يذوق للنوم غمضاً فيقول:

إنك لا تعرفين ما الهم والـ غـم ولا تعلمين ما الأرق
أنا الذى لا تنام عينى إلا ترقا دموعى ما دام بى رتق

لقد كان هذا الرجل عزيزا فى قومه فأذله العشق حتى أنه لم يعد يرى النوم، بل أن عينه أصبحت لا تكف عن البكاء فهو يقول:

لا جـــزى الله دمع عينى خيراً   وجزى الله كل خير لسانى

نمَّ دمع عينى فليس يكتم شيئاً   ورأيت اللســـان ذا كتمـــان

كنت مثــــل الكتاب أخفاه طى   فاســـتدلوا عليه بالعنوان

وبعد كل هذا يظن أن خير الناس هم العاشقون التائهون فيقول:

وما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى   ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

أتظن يا عباس أن خير الرجال هم الذين يأرقون الليل ويلقون شفاههم على أقدام النساء يقبلونها؟ ويذلون أنفسهم أمام المعشوقات؟.. فلست وحدك يا عباس فهذا الأحمق يقول:

أتانى منك سبك لى فسبى   أليس جرى بفيك اسمى فحسبى

ومعنى البيت: وصلنى أنك تشتمينى، ولكنى سعيد بهذا فيكفينـــى أن اسمى يجرى على شفتيك ولو كان ذلك بالسب واللعن!.. إنها لو كانت أمـك لكنت ترد عليها السب والشتائم!!!

وهذه زليخاء التى بلغ بها من محبة يوسف عليه الســـلام أن ذهــب مالها وجمالها، وقيل أنها كان لها الكثير من الجواهر والقلائد، وقــد أنفقتهــا كلها فى محبة يوسف. وكل من قال: رأيت يوسف اليوم أعطته قلادة حتى لم يبق معها شئ، وكانت تسمى كل شئ باسم يوسف، وقد نسيت كل شئ سواه من فرط العشق...، فانظر إلى هذه المرأة التى كانت ملكة فى غايــة العــزة والأنفة فأنزلها عشقها إلى أن تحب فتاها الذى أشتراه زوجها بثمن بخس، فقد

نزلت من على عرش المملكة وخلعت ملابس الملكة وخلعت ثوب الكبرياء وأخذت تتمايل أمام فتاها وتتبختر، لتظهر له مظاهر الجمال في جسدها. ولكن يوسف لم يكن رجلاً كأى رجل ولم يكن رجلاً ممن يتبعون أهواءهم ويجرون وراء شهواتهم، وإنما كان من عظماء الرجال، فبالرغم من أن سيدته نزلت من على عرش مملكتها وعرش أنوثتها لتجلس تحت قدميه، إلا أنه لم يُغره ذلك. وإنما قال (معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى).

إن هؤلاء جميعهم قد أخطأوا فهم حقيقة الحب... فالحب لم يكن شيئاً جديداً ولم يكن من اختراع البشر وإنما فطرة فطر الله الناس عليها ليدوم به الإتصال بين الرجل والمرأة لإنجاب الأولاد وهنا يحفظ النسل والنوع البشرى... وقد جعله الله ليكون لقاء الرجل بالمرأة ليس لمجرد شهوة حيوانية حقيرة، وإنما لغرض عفيف ونزيه وطاهر وهو الإشتراك معاً في تربية الأولاد على القيم الأخلاقية الفاضلة فيكونوا بذلك عباداً مخلصين لله سبحانه وتعالى. والحب كما يقول الدكتور زكى مبارك فى (مدامع العشاق) "هو عاطفة عرفتها الأرواح منذ أقدم العهود، وما قيمة الدنيا إذا خلت من الحب، ولأى غرض يحيا الناس، إذا أصيبت أفئدتهم بالاعتلال فلم تحس ذلك الروح اللطيف، وهل ينصرف القلب عن الحب وهو فى عافية؟". ولكن الحق سبحانه وتعالى جعله بين الرجل وزوجته وليس بين العاشق ومعشوقته.

ودعنا من حكاية امرأة العزيز ومجنون ليلى ورميو وجوليت فهؤلاء إنما أخطأوا فهم الحب، وانظر الحب الحقيقى الذى جعل آدم أبو البشر عندما نزل إلى الأرض وظل يبحث على حواء فترة طويلة حتى وجدها لأنها زوجته.

ولقد أحب إبراهيم عليه السلام زوجته سارة حباً شديداً حتى أنه عاش معها ثمانين عاماً وهى لا تنجب، ولم يتزوج عليها حتى لا يؤذى مشاعرها، حتى طلبت منه أن يتزوج من (هاجر) حتى ينجب.

ورسول الله ﷺ عندما سأله عمرو بن العاص فى ملأ: من أحب الناس إليك يا رسول الله؟ قال: عائشه[1]... وهو ﷺ الذى أحب زوجته خديجة – رضى الله عنها – ولم يتزوج عليها حتى ماتت، حتى أنه قيل: جاءته امرأة من الصحابة بعد عام من موت خديجة لتقول له: يا رسول الله ألا تتزوج. فبكى ﷺ وقال: وهل بعد خديجة أحد... ولم يتزوج إلا بعد أن أمره الله بالزواج. وكيف لا وهى التى كانت تواسيه وتشد أزره وتقف بجانبه وتمسح بيدها آثار أذى المشركين.. ولذا فإنها لما ماتت ظلت عيناه الشريفتان تذرفان الدمع حتى جاء جبريل عليه السلام وقال له: يا رسول الله السلام يقرئك السلام ويقول لك لا تحزن فخديجة فى الجنة فى قصر من ذهب لا نصب فيه ولا تعب

ومن هنا ينبغى على كل شاب وكل فتاة أن يعرف حقيقة الحب، ويعلم أنه سبحانه لم يخلق الحب إلا لغرض جميل، فلا يستخدمه إلا بطريق جميل بعيداً عن الحرام... فالحب هو ما كان بين الرجل وزوجته.

فإن فى هذا الزمن للعجب العجاب.... أما تستحى هذه الفتاة وهى تقف مع هذا الشاب فى الطرقات والنزهات وقد أمرها الله بالاحتشام، أما تستحى هذه الفتاة وهى تكذب على أهلها وتقول إنى سأحضر محاضرة أو سأذهب إلى المدرسة أو سأزور صديقتى ثم تخرج لتقابل شاباً لا هم له إلا

---

[1] صحيح البخارى ومسلم

اللعب بعقول الفتيات وقلوبهن، وقد يكون له أكثر من صاحبة لا للحب ولكن للتسلية وتضييع الوقت ومتعة النظر والله أعلم بما يدور هناك فى عقلـــه... فلابد للفتاة أن تكون صادقة مع نفسها، وتقدر ثقة أهلها بها، فهـــم يتركوهـــا تخرج وحدها لأنهم يثقونَ بها... فاتقى الله وأصبرى يرزقك الله زوجاً يقدرك ويعرف قيمتك.

وأغرب شئ نراه فى الحب عند الشباب فيما يسمى بأحلام اليقظـــة، لأن أحلام اليقظة أكثر ما تكون عند الشباب فى الحب والتفكير فى الأمـــور التافهة التى لا فائدة منها إلا ضياع الوقت، فتجد بعض الشباب إن لـــم يجـــد صاحبة يحبها أو صاحباً تحبه فتلجأ إلى أحلام اليقظة فتجسد نفسها بطلة فى عالم خيالىٍّ لا فائدة منه إلا ضياع الوقت.... فهذه مغرمة بالممثل العـــالمى فلان، وهذه مغرمة بالنجم الفرنسى فلان... وهذا يحب المطربة الأمريكيـــة فلانه... ثم تجده يحلم بها ويضيع وقته، ولا حول ولا قوة إلا بالله... فهـــذه فتاة من الإسكندرية مدينة السحر والجمال والحضارة... تقول لى: إن ســـبب تأخرى فى الثانوية العامة أننى كنت أحب حماده هلال، وكنت دائماً أحلم به وأتخيل أنه زوجى وأعيش معه وأفتخر به... ربنا يقويكى.... وهـــذا شـــاب جامعى يقول: لم أحب فى حياتى إلا ملكة جمال روسيا لعـــام ١٩٩٩، ومـــا زلت لا أكف عن التفكير فيها... وأتخيل أنها زوجتى والناس كلهم يحسدوننى عليها... حلاوتك دانت مضيَّع.

ولكن ليس معنى هذا أن أحلام اليقظة كلها عيوب، فهى ليست كلهـــا شر، بل منها الخير الذى يكون متنفساً لبعض الهموم ومنها الشر الذى يصبح مرضاً خطيراً يجب الاستشفاء من دائه فالذى يستمر ساعات طويلة يسبح فى دنيا الأحلام مضيعاً كل وقته فيها ولا يريد أن يعيش فى دنيا الواقع هذا هـــو مريض بالوهم حقاً وهو فى حاجة إلى طبيب نفسى يعرف سر شقائه ويعمل

على إنقاده من وحدته العابسه وشرود تفكيره، أمــا الــدى يحلــم بالســعادة المنتظرة فى بعض أوقات يومه ويتخيل أن آماله قد تحققت حتى إذا قضــى أمراً فى هذا التفكير واستراح بعض الشئ رجع إلى واقعه ليندفع فــى تيــار العمل الجاد ليحقق تلك الأحلام، وأدرك ما كان يسبح فيه من أحــلام فهــذه بمثابة نزهة خلوية أو مشاهدة رواية سينمائية لا صلة بينها وبين واقعه فهذا الخير تثمره أحلام اليقظة وهى بذلك دواء لا داء.

فهناك فرق بين إنسان تائه لا يفيق من هذه الأحلام ولا يلتفت إلــى مستقبله المرهون بكفاحه وبين إنسان يحلم بمستقبل سعيد يكون فيه مرمــوق المكانة سعيد الحظ قد حقق ما يجيش فى صدره من أحلام، ثم يعــود إلــى يقظته فيعمل على أن يجد فى تحقيق مأربه وهنا تكون أحلام اليقظة راحــة نفسية فى الحاضر ومهمازاً دافعاً للرقى فى المستقبل.

على أن الواقع العملى يثبت أن كل ناجح فى عمله، ذائع الصيت بين قومه كانت له أحلام تغاديه وتراوحه منذ نشأته ومنذ إدراكه سبل التفوق، إذ كان يخلو إلى نفسه متمنياً أن يكون مثل هؤلاء الذين حققوا آمالهم ومتخــيلاً أنه سيكون أحدهم وقد يمتد به الخيال فيشهد ركباً يسير مــن خلفــه وإدارة عظيمة يقوم على شئونها فإذا صحا من سبحاته الحالمة كان كــل همــه أن يخطو خطوة فى سبيل غده الموعود فإذا كانت هذه الأحلام العاقلــة مفتاحــاً لنصر متوقع فإنها لا تكون عيباً بل هى ميزة... ولذا يقول الشــاعر الكبيــر على الجارم:

وأعيش فى دنيا الخيال لأننى   أحظى بها بالفائت المفقود

فهو يقول أنه إذا استراح إلى دنيا الخيال وسبح مع الأحلام في بعض أوقاته، فذلك تنفيس عن مشاعر طامحة لم يجد سبيلا إلى تحقيقها في عـالم الواقع فيعيش في دنيا الخيال يمد بها حبال الرجاء بل يتصور ما لم يكن كأنه كان وذلك لا يعد ضعفاً إنسانياً يؤاخذ بل إنه استجمام من فتـرات ضـائقة يعيشها الإنسان متألماً لخيبة رجاء أو بعاد مطمح ثم يعمل جاهداً على تقريب البعيد وتذليل العسير(١).

وأنت أيها الشاب لا يسعني إلا أن أقول لك كلمة واحدة: أشغل نفسك بما ينفعك وينفع أمتك حتى في أحلام اليقظة، ولا تملأ كل أحلامـك فتيـات ونساء بل نزه أحلامك عن الشهوات ونقها من الشوائب فقد قيل: طوبى لمن حسنت سريرته.... فأنت أحد أعمدة هذه الأمة... وأنا والله لا أنكر الحب فأنا لست مجنوناً لأنكر الحب... فيا شباب أحبوا ولكن ابقوا أقوياء فلا يغلبـنكم البعوض ولكن اغلبوا الأسود.

ومعلوم أن الحب هو أجمل ما في الشباب وأشهى شئ فيه... لذا فأنا لا أمنع هذه العاطفة الجميلة ولا أنكرها ولا أريد أن أحرم الشباب منها ولكن أقول لهم: أحبوا ولكن أبقوا رجالاً، فإن الرجل إذا أحب لم يبك ولـم يتـذلل ويأرق الليل ولم يلق شفتيه على قدمي امرأة... أحبوا ولكن أبقوا أفراداً مـن هذه البشرية التي هي الأمة لا يقطعكم الحب منها ويعيدكم إلى الحياة الفردية الوحشية، فتنكروا كل شئ، وتنسوا الدنيا، وتتجاهلوا الحيـاة إلا إذا أشـرقت عليها نظرة المرأة، وأضاءت في أرجائها كلمة منها... أحبوا ولا تقيموا الدنيا وتقعدوها، وتغرقوا الأرض بالدموع لأن الحبيبة المحترمة لـم تمـنح قبلـة

---

(١) عن جريدة صوت الأزهر العدد (٢٥٠) ٢٠٠٤/٧/٩ في مقال بعنوان (أحلام اليقظة) للدكتور محمد رجب البيومي)

وعدت بها ولم تصل وقد لوَّحت بالوصل، وتنظمون الأشعار فى هذه الكارثة، وتنشئون فيها الفصول، وتبكون وتستبكون، ثم تنامون آمنين مطمئنين، والنار من حولكم تأكل البلاد والعباد... أحبوا ولكن لا تكونوا تافهين وتجعلوها مصيبة لأن الحبيبة قد حولّت على آخر وتقولون: "حلم السنين ضاع.. كله ادَّمر كله اتكسَّر ما الذى تدمَّر وما الذى تكسر؟ ولماذا ضاع حلم السنين؟ لأن عشيقتك تخلت عنك قلبتها محزنة؟... يا شباب... أحبوا ولكن اسموا بعواطفكم عن مواطن شهواتكم، وأخرجوها من ذواتكم، وقفوها على أمتكم وبلادكم... تزوج ثم أحب زوجتك وأعطها قلبك وكل حياتك وأمنحها عاطفتك، فهذا حقها... وليس حباً كما يحب أصحابنا الغلابة أصحاب "عاشقا وغلبانا والنبى"... فما الذى يدفعك إلى الانتظار فى الأماكن المظلمة أو فى زوايا الطرقات تلتفت حولك وتلتقط أنفاسك تخاف أن يراك أحد... فما دمت خائفاً مما تفعل أو تستحى أن يراك أحد وأنت تفعله فأعلم أنه خطأ.. فلا تعمل فى السر ما تستحى منه فى العلانية... ولكن دعنى أسألك سؤال: هل تخشى أن يراك أحدُ وأنت تقف مع زوجتك؟!!

فالحب يا شباب هو المادة اللاصقة التى خلقها الله ليلصق به الرجل بالمرأة فيعيشان سوياً ويربيا الأبناء، فلا تكون شهوتهما شهوة كشهوة الحيوان يضعها الرجل فى المرأة ثم يخرج ليضعها فى امرأة أخرى.... فما أودع الله الحب فى قلب الإنسان إلا للجمع بين الرجل وزوجته فى الحلال، فلا يجب أن يستخدم ليجمع بينهما فى الحرام، وهذا غاية ما أريده[١].

---

[1] انظر المثل الأعلى للشباب للشيخ على الطنطاوى. دار المنار بجدة، دار البشير بطنطا.

السعادة الزوجية

إن السعادة الزوجية هى أول أهداف الزواج وهى لا تكمن – كما يظن البعض – فى العلاقة الجنسية – فقط – بين الرجل وزوجته، وتمتع كل منهما بالآخر، بل إنها أوسع وأشمل وأكبر من هذه العلاقة الجسدية والنفسية وإنما هى سعادة روحية، فتكتمل سعادة الزوجين بالحب بين الطرفين وقناعة كل منهما بالآخر والتفاعل بينهما.

كما أنه من أهم أهداف الزواج أيضاً هو الإنجاب، وهو عنصر من عناصر السعادة الزوجية ولكن قد ينقلب الأمر رأساً على عقب فيحول الأولاد السعادة إلى شقاء والحب إلى كراهية، وذلك بعدم تربيتهم على القيم الدينية والأخلاقية السليمة.

وقد وضع الإسلام أسساً عامة للسعادة إذا استوت هذه الأسس تم بها سعادة الدنيا والآخرة ومن أهمها:

١- **حسن الإختيار**: فيختار كل من الزوجين من يعلم أنه سيسعده ولكنك لا تستطيع أن تعلم أن هذا الإنسان سيسعدك إلا إذا توافرت فيه الشروط التى وضعها الدين الحنيف.

فبالنسبة لاختيار الرجل يقول الرسول ﷺ: "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك" والمقصود أن أول هذه الشروط التى يجب توافرها فى المرأة هو الدين، لأن المرأة بدينها تستطيع أن تسعد زوجها فهى تعرف حقوقه وواجباته، كما أنها تطيعه ابتغاء إرضاء ربها. وقال ﷺ: " لا تتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن .. ولا تتزوجوهن لما لهن فعسى مالهن أن يطغيهن .. ولكن تزوجوهن لدينهن ولأمةٌ سوداء ذات دين أفضل"

وقد أجاز الرسول ﷺ للخاطب أن ينظر إلى مخطوبته ولكن بشروط شرعية، وبوجود محرم، وألا يتلذذ بالنظر إليها، وهذا بالنسبة للوجه فقط.

أما بالنسبة لباقى المفاتن الجسدية والتى تحرك الشهوة بالنظر إليها مثل الثدى والردف وغيرها من المفاتن الحسية فإن كان الرجل يهمه هذه الأمور فلا بأس أن تطمئنه عليها أمه أو أخته من غير أن تصف له شيئاً منها.

أما عن اختيار المرأة لزوجها فيجب أن يكون الدين هو أول القائمة فرسولنا الكريم ﷺ يقول: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير"(١). ويقول الحسن البصرى: "زوج ابنتك ذا الدين فإنه إن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها".

٢- **التعاون:** فإن التعاون بين الرجل والمرأة وإحساس كل منهما بالمسئولية المشتركة يؤدى إلى التفاهم بينهما، وحسن تنشئة الأبناء، مما يسعد الزوجين ويقرب كل منهما من الآخر، ويزداد الحب، وتكتمل السعادة، والرسول ﷺ نبه إلى ذلك فقال: "والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده، وهى مسئولة عنهم".

٣- **طاعة الزوجة لزوجها** وخدمتها له فالرسول ﷺ يقول: "إذا صلت المرأة خمسها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أى أبواب الجنة شاءت"(٢). وقال ﷺ: "أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة"(٣) وقال: "لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد

---

(1) رواه الترمذى

(2) رواه أحمد والطبرانى فى (الأوسط) وابن حبان فى صحيحه.

(3) رواه الترمذى وحسنه والحاكم وصحح إسناده.

لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها". وقيل لرسول الله ﷺ: أى النســاء خير؟ فقال: "التى تسره إذا انظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفــه فــى نفسها وماله بما يكره"[١].

وهذه الزوجة التى تكون على هذه الشاكلة تعتبر هى تمــام السـعادة لزوجها، والسعادة أيضاً لنفسها فى الدنيا والآخرة فرسولنا الكريم ﷺ يقــول: "الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة" ويقول أيضاً: "أربع من السعادة: المرأة الصالحة والمسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنئ، وأربع من الشقاء: الجار السوء والمرأة السوء والمركب السوء والمسكن الضيق".

كما يجب على المرأة أن تستقبل زوجها بوجــه ضـحوك بشــوش وبمنظر جميل، ولا تستقبله بالشكوى والوجه العــابس والشــعر المنكــوش ورائحة المطبوخ.

وتضرب الصحابية الجليلة أم سليم أروع مثل للزوجه الصالحة فــى استقبال زوجها، فيروى أن أبا طلحه رضى الله عنه كان عنده ابن مــريض فلما خرج للعمل مات ولده، ولما عاد سأل أم سليم عن حاله فقالت له: هــو أسكن مما كان، وقدمت إليه الطعام حتى أكل، ثم أصاب منها ما أراد ــ أى تمتع بها ــ فلما فرغ قالت يا أبا طلحه... عارية أستعارها قوم وكانت عندهم ما قضى الله. وأن أهل العارية أرسلوا إلى عاريتهم فقبضــوها ... ألهــم أن يجزعوا؟ قال: لا. قالت: فإن ابنك قد فارق الدنيا قال فأين هو؟ قالت: ها هو ذا فى المخدع.

---

[١] رواه ابن ماجه والطبرانى فى الكبير.

فكشف عنه وقال: "إنا لله وإنا إليه راجعون"، فلما أصبح ذهب إلــى رسول الله ﷺ وحدثه بقول أم سليم فقال: "بارك الله لكما فى غابر ليلتكمـا"، فحملت، وقيل أنجبت له بعدها تسعة من الأولاد كلهم قرأوا القرآن.

وهذه زوجه شريح القاضى التى يقول عنها:-"من عشرين عاماً لم أر ما يغضبنى من أهلى"، ويقول شريح: "من أول ليلة دخلت علــى أمرأتــى، رأيت فيها حسناً فاتناً، وجمالاً نادراً، فتوضأت وصليت ركعتين شـكراً لله، فلما سلمت وجدتها تصلى بصلاتى وتسلم بسلامى. فلما خلا البيت قمت إليها ومددت يدى إليها فقالت: على رسلك يا أبا أمية، كما أنت، ثم قالت: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلى على محمد وآله إنى امرأة غريبــه لا علـم لــى بأخلاقك، فبين لى ما تحب فآتيه وما تكره فأتركه؟ وقالت: إنه كان فى قومك من تتزوجه من نسائكم وفى قومى من الرجال من هو كفء لى، ولكــن إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً، وقد ملكت فاصنع ما أمــرك بــه الله، إمســاك بمعروف، أو تسريح بإحسان، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولك.

فقال شريح: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلى على النبى وآله وأسلم وبعد: فإنك قلت كلاماً إن ثبت عليه يكن ذلك حظك وإن تدعيه يكــن حجـة عليك، أحب كذا وكذا وأكره كذا وكذا وما رأيت من حسنة فانشــريها ومــا رأيت من سيئة فاسترتيها.

فقالت: كيف محبتك لزيارة أهلى؟ فقال: ما أحب أن يملنى أصهارى فقالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذن له ومن تكره فأكره؟ قال: بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء.

وقال شريح: فبت معها بأنعم ليلة، وعشت معها لا أرى إلا ما أحب. فلما كان رأس الحول جئت من مجلس للقضاء فإذا بفلانة في البيت، قلت: من هي؟ قالوا: ختنك ـ أي أم زوجتك ـ فألتفتت إليّ، وسألتني: كيف رأيت زوجتك؟ قلت: خير زوجه، قالت: يا أبا أميه إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها في حالين: إذا ولدت غلاماً أو حظيت عند زوجها فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدللة. فأدّب ما شئت أن تؤدب وهذب ما شئت أن تهذب. يقول شريح: فمكثت معي عشرين عاماً لم أعقب عليها في شيء إلا مرة وكنت لها ظالماً.

ويقول ﷺ: "نساؤكم من أهل الجنة الودود التي إذا أوذيت أو آذت أتت زوجها حتى تضع يدها في كفه فتقول لا أذوق غمضاً حتى ترضى". وقال أيضاً: "اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما عبد آبق من مواليه حتى يرجع وامرأة عصت زوجها حتى ترجع". وأقبح امرأة قليلة الدين، قليلة الجمال، قليلة المال، قبيحة اللسان.

ويقول ﷺ: "أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها ـ خرجت أي خروج ولو لشراء شئ ـ تبعها كل شئ في السماء والأرض باللعنة متى تعود إلى بيتها"... وقد خرج أحد الصحابة متاجراً وقال لزوجته: أوصيك ألا تخرجني حتى أعود، وجاء أخوها بعد سفر زوجها، وقال لها: إن أباك مريض فلوجئت لتعوديه؟ قالت له: والله لا أخرج حتى تستأذن رسول الله، فذهب إلى الرسول ﷺ وعرض عليه الأمر فقال له الحبيب المصطفى ﷺ: أخبر أختك بأن طاعتها لزوجها خير من عيادتها لأبيها، وبعد يوم مات أبوها فجاء أخوها وقال لها: إن أباك قد مات، فلوجئت لتشيع جنازته؟ فقالت

الزوجة الوفية الأمينة: لا حتى تسأل رسول الله فقال له الرسول ﷺ: طاعتها لزوجها خير لها من تشييع جنازة أبيها.

وكان الرسول ﷺ يستطيع أن يأذن لها، لكنه يرى أن هذا من حق زوجها فقط، وهو لايريد أن يتعدى على حقوق الآخرين. ورجع زوجها من سفره فأخبرته بما جرى، فذهب إلى رسول الله ﷺ فقال له ﷺ: "أخبر زوجتك بأن الله قد غفر لأبيها إكراماً لطاعتها لك"

وهذه سيدة فاضلة.. زفت بنتها إلى زوجها.. وليلة الزفاف أوصتها بوصية تسجل بمداد الذهب على صفحات من نور، قالت لها: يا ابنتى كونى لزوجك أمة يكن لك عبداً، وكونى له أرضاً يكن لك سماء، واحفظى له خصالاً عشراً.. يكن له بها ذخراً.

أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فتفقدى موضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فتفقدى أوقات طعامه ومنامه، فإن شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس لماله وحسن الرعاية لخدمه وعياله.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصى له أمراً ولا تفشى له سراً، إنك أن عصيت أمره أوغرت صدره وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره... وإياك والفرح بين يديه إذا كان مغموماً، وإياك أن تغتمى بين يديه إذا كان فرحاناً..

وأعلمى أن زينة الزينة الوضوء.

واحذرى أيتها الزوجة الجفاف مع زوجك بحجة أنك أصبحت متعودة عليه وهو متعود عليك، فإن المعاملة الجافة قد تجعل الزوج ينصرف عن زوجته إلى غيرها، لأنه إذا دخل البيت وجد الجفاف فى المعاملة والقسوة واختلاق المشاكل على أتفه الأسباب وإذا خرج من البيت وجد عذوبة ورقة الكلام ولطف المعاملة والطاعة العمياء دون المعاندة أو التمسك بالرأى... كل هذا جدير بأن يجعل الرجل ينظر إلى الخارج مهما كانت زوجته جميلة... وقد قامت ميلا ساندرز الأمريكية باستطلاع للرأى على نحو ألف سيدة تتراوح أعمارهن الزوجية بين ثلاثة أعوام، وعشرين عاماً على الزواج، فتوصلت بعد هذا البحث والاستطلاع إلى أن معظم حالات انحراف الأزواج تأتى نتيجة لجفاف معاملة زوجاتهم[١].

٤- **إحسان الرجل إلى زوجته** فمن حقها عليه ألا يشتد عليها وأن يأخذها بالرفق واللين كما قال الحق تبارك وتعالى ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾[٢]

كما قال ﷺ: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله" وأن يكون حليماً معها، صابراً عليها وأن يعاونها فى شئون بيتها وقت فراغه. ولذلك قال ﷺ: "لا يفرك[٣] مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً، رضى منها خلقاً آخر[٤]"

فالمرأة كما يقول على الطهطاوى ضعيفة حنونه عاطفية لا تحتاج منك إلى رفع الأصوات وإبراز العضلات، فإنها مسكينة محتاجة إليك دائماً

[1] العشرة الطيبة للشيخ محمد حسين ط المدائن ٩٧ – ويمكن الرجوع إلى قاموس المرأة الطبى. أ/محمد رفعت

[2] سورة النساء الآية ١٩

[3] لا يفرك: يعنى لا يبغض.

[4] رواه مسلم.

وتحتاج إلى الحنان والرأفة والإبتسامة والحب الصادق تحتاج إلى التوجيه السليم والنصح القويم، تحتاج الدعوة بالحكمة واللين والأسلوب الصحيح، فهى أم أولادك ومربيتهم.

ولقد جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشكو له سوء معاملة زوجته. فلما جلس فى مجلس أمير المؤمنين وجد عمر غضباناً من زوجته فقام الرجل دون أن يتكلم فنادى عليه أمير المؤمنين أيها الرجل فيما جئتنا؟ فقال: جئت لأشكو إليك سوء معاملة زوجتى فرأيتك تشكو مما أشكو منه. فقال عمر رضى الله عنه: يا أخى إن زوجتى طاهية طعامى وغاسلة ثيابى وقاضية حاجاتى ومرضعة أولادى فإذا أساءت مرة فليس لنا أن نذكر سيئاتها وننسى حسناتها واعلم يا أخا الإسلام أن بيننا وبينهما يومين إما أن نموت فنستريح منها أو تموت هى فتستريح منا. فخرج الرجل مسروراً بعد أن دخل حزيناً.

وقد تزوج أحد الصالحين بامرأة سيئة الخلق عكرت عليه حياته وجعلت نهاره ليلاً فقال له أحد أصدقائه: طلقها. فقال: أخشى أن أطلقها فيبتلى بها غيرى فتؤذيه ومعاذ الله أن أكون سبباً فى أذى العباد فقيل له فماذا أنت فاعل؟ فقال: أصبر عليها مصداقاً لقوله ﷺ : "أيما رجل صبر على سوء خلق زوجته أعطاه الله مثلما أعطى أيوب على بلائه وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثلما أعطى آسية زوج فرعون".

وأعلم أن للكلمة الطيبة أثر بالغ على النفوس مهما كان الإنسان عنيداً.. ولذا لما أرسل الله سبحانه وتعالى موسى وهارون إلى فرعون قال لهم: (فقولا له قولاً ليناً) مع أنه معلوم أن فرعون كان جباراً فى الأرض وظالماً ومعانداً، ولكن الحق سبحانه لأنه يعلم أثر الكلمة الطيبة على النفس

فأمرهم باللين مع فرعون... وكذلك قال لحبيبه محمد ﷺ: "ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك"... فالكلمة الطيبة غذاء للروح، وشفاء لأمراض النفس، ولها تأثير قد يغير حياة إنسان أو أمة!!

فالكلمة الطيبة عند الزوجة أكثر من الجواهر والثياب الفاخرة التي يشتريها لها زوجها فهي تملأ حياتها سعادة وفرحاً وابتهاجاً وانطلاقاً... ولذا يجب على الرجل أن يعتبر زوجته طفلته التي يدللها ويرضيها ولو كان ذلك على حساب نفسه... فالمرأة تحتاج من الرجل الرعاية والعطف والحنان والاحتضان، فهي تشعر دائماً بحاجة إلى الرجل، وتحتاج إلى حضنه الدافئ، ونظراته الوديعة وابتساماته التي تملأ حياتها سعادة وقلبها حباً له، وكل هذا يجعلها تبذل كل ما في جهدها لإسعاده وإرضائه... والحق سبحانه وتعالى يبين لنا أثر الكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة حتى ولو كان ذلك مع العدو، فيقول تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾.. فالعدو يتحول إلى صديق حميم بسبب الكلمة الطيبة ودفع السيئة بالحسنة.

٥- **الزينة:** فيجب على كل من الزوجين أن يتزين للآخر فإن أول شيء يجعل قلب الرجل يتعلق بالمرأة بمجرد النظر إليها وإن لم يكلمها هو جمالها، والمرأة الواعية الذكية هي التي تنسى زوجها إغراءات الشارع وتحول هذه التحديات لمصلحتها ويصبح كل ما يلفت نظر زوجها ويثيره إعداداً وإشعالاً لعواطفه التي تنصب وتنتهي لديها هي.

وأضاف على الطهطاوي أن الزوجة الناجحة هي التي تعرف رغبات زوجها وما يثيره مثل الألوان التي يفضلها والملابس الداخلية والخارجية التي يحبها، وأنواع الزينة... ومن أخطاء الزوجات إهمال الملابس والزينة في البيت بحيث يطالعن أزواجهن عند عودتهم من أعمالهم برائحة المطبخ والشعر المنكوش أو المعصوب بإهمال، لذلك لا تندهش عندما تجد زوجة جميلة يهملها زوجها وينظر إلى غيرها بينما تجد زوجة قليلة الحظ من الجمال ومع ذلك تمتلك قلب زوجها وعواطفه... إن المرأة هي المسئولة وحدها، فالمرأة الذكية هي التي تعرف كيف تكسب قلب زوجها، وأن تكون دائماً زوجة جديدة في حياته، فالكلمة الحلوة زينة، والبسمة المشرقة جمال، والرائحة الطيبة بهجة والفستان الأنيق واللمسات اللطيفة للشعر والإختيار الموفق لبعض الحلي البسيط المنسجم، كل ذلك تكسب به قلب زوجها.

وكما أنه من حق الرجل على المرأة أن تتزين لزوجها فإن من حقها أيضاً أن يتزين لها، فإن رسول الله ﷺ كان يتزين لأهله ويتعطر ويمشط شعره ويسوك أسنانه ويرتدي اللباس النظيف وهذا عبد الله بن عباس حبر الأمة كان يتزين لأهله أمام المرآه فإذا سألوه قال: إني أتزين لأهلي، فالله تعالى يقول في كتابه: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾.

٦- **المعاملة الحسنة لأهل الزوجين:** فيجب على كل منهما معاملة أهل الآخر معاملة حسنة وخاصة المرأة لأنها تعيش بينهم ولكي تكسب قلب زوجها وحبه يجب عليها أن تعامل أهله معاملة حسنة وخاصة أم الزوج لأنها صاحبة الفضل العظيم في إهدائها هذا الزوج الذي تحبه وتسعد بعشرته وتفخر به، وبهذا يحبك زوجك ويصونك ويحفظك في عينيه.

كما أن الزوجة التى تحترم أم زوجها وتعينه وتدفعه على طاعة أمه وبرها كان ذلك سبب فى سعادتها وسعادة زوجها، على عكس المرأة التـــى تجلب الشقاء لنفسها ولزوجها بعقوقها حماتها والتى تجعل زوجها يهين أمـــه ويعقّها بسبب زوجته، فإن هذا يبدل السـعادة شـقاء وتعاسـة، لأن عقـوق الوالدين ذنب عظيم والذنوب تذهب بالسعادة وتأتى بالشقاء، وقال ﷺ فى ذلك: "إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء" من هـذه الخصـال "إذا أطاع الرجل زوجته وعقّ أمه، وبرّ صديقه وجفا أباه".

٧- **ألا تحمل الزوجه زوجها مالا يطيق** كأن تطلب منـه مـا لـيس فـى أستطاعته إحضاره لها وأن تعينه على متاعب الحياة، حتى لا تدفعه بكثرة مطالبها إلى معصية الله. وقال ﷺ: "لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغنى عنه".

وروى الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال: قـال عمـر بـن الخطاب: النساء ثلاثة: هينة عفيفة مسلمة، تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها. وأخرى وعاء للولد، وثالثة غُلّ قَمِلُ يليقه الله فى عنق من يشاء من عباده. والمقصود بالمرأة الثالثة هى المرأة التى أبتلاه الله بها فهـى كالحبل فى عنق الرجل يخنقه ولا يستطيع الـتخلص منـه...والحقيقـة إن الحديث عن هذا العنصر يذكرنى بمقولة تقول: وراء كل امرأة أنيقة رجـل مفلس...!!!

وجدير بالذكر أن الرجل يجب عليه ألا يحرم زوجته مـن أى شـئ تريده مادام فى استطاعته ولا يبخل عليها ولكن بالمعروف ولا يكون مسرفاً فالله سبحانه وتعالى نهى عن ذلك فقال: "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً" وقال: "لينفق ذو سعة من سعته ومن

قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً" وقال ﷺ: "أفضل الدنانير دينار ينفقه الرجل على عياله" والزوجة من العيال فليس المقصود بالعيال هم الأولاد فقط وإنما العيال هم كل من يعولهم الرجل من الزوجه والأم والأب والأولاد والعبيد والإخوة فكل الذين يرعاهم الرجل فهم عياله.

٨- **احذر أن تطيل الغياب على زوجتك** فإنه كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله يسير ليلاً فسمع امرأة تقول:

لقد طال الليل وأسود جانبه وأرقنى أن لا حبيباً لى أداعبه

فوالله لولا الله نخشى عواقبه لحرك من هذا السرير جوانبه

فذهب إلى حفصة أبنته (أم المؤمنين) وقال لها يا حفصه: كم شهراً تستطيع المرأة أن تستغنى عن زوجها؟ فاستحت حفصة من أبيها. فقال: يا حفصة أنت بنتى وأمى فأنت أم المؤمنين جميعاً زوجة رسول الله ﷺ، يا حفصة أجيبى. فأشارت حفصة بأصابعها الأربعة واستحت أن تنطق بلسانها وبعد ذلك قالت له: إقرأ قوله تعالى: "للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر". ولما علم أمير المؤمنين أن زوج هذه المرأة جندى يقاتل على الجبهة فأصدر أمراً لقواته بأن الجندى يجب ألا يغيب فى الجبهة أكثر من أربعة أشهر.

٩- **العلاقة الجنسية** كما يجب على الزوجة أن تطيع زوجها فى نفسها فإن الرغبة الجنسية من أقوى الشهوات البشرية، والتى قد تدفع الزوج إلى معصية الله، فيطرق الشقاء عش الزوجية لأن المعصية تجلب الهم والغم وتولد الشقاء والتعاسة، ولذا فإن رسول الله ﷺ يقول: "ما من إمرأة يطلب منها زوجها حاجة فتأبى فيبيت وهو عليها غضبان إلا باتت الملائكة تلعنها حتى تصبح".

وقال ﷺ: "إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته، وإن كانت على التنور"[1] وقد ذكر صاحب كتاب الأغانى قصة تدل على وجوب مسارعة الزوجة لتلبية حاجة زوجها، وهى قصة امرأة تقول: كنت عند عائشة بنت طلحة، فقيل قد جاء عمر بن عبيد، تعني زوجها. قالت المرأة: فتنحيت ودخل، فكنت أسمع كلامها ومداعبتها لمدة.. وسمعت العجائب من الأصوات... فلما خرج قلت لها: أنت فى شرفك وموضعك تفعلين هذا؟! فقالت: إنا نستجيب لهذه الفحول بكل ما نقدر عليه وبكل ما يحركهم. فما الذى أنكرت؟! قلت أحب أن يكون ذلك ليلاً! قالت: أن يكون ليلاً هذا أعظم منه. ولكنه حين يرانى تتحرك شهوته، فيمد يده إلىّ فأطاوعه فيكون ما ترين... وهذه المرأة مثالاً للمرأة التى تلبى رغبة زوجها الجنسية، فإن لم تطاوعه. فكيف ترى أن يضع هذا الرجل شهوته؟.

كما يجب على الزوج أيضاً أن يلبى رغباتها الجنسية فلا يهجرها بلا سبب حتى ولو كان ذلك من أجل الإنقطاع للعبادة، فلابد له من القيام بحق زوجته فى الجماع ولا يجوز له هجرها إلا إذا كانت عاصية لزوجها، فيهجرها تأديباً كما يقول الله تعالى: "واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن"[2] أى أن التأديب يكون بالوعظ أولاً فإن لم يجدى فالهجر فى الفراش فإن لم يجدى فبالضرب، ولكن ليس ضرباً كما يضرب العبد وإنما ضرب زوج لزوجته وحبيب لحبيبته وشريكته فى حياته فيقول ﷺ: "واضربوهن ضرباً غير مبرح" أى ضرباً غير مؤذ لمجرد التأديب لا للعقاب وإنزال العذاب بها، فلا يعاملها معاملة العبيد بالضرب والإهانة.

---

(1) صحيح النسائى والترمذى. والتنور معناه: الفرن

(2) سورة النساء، آيه ٣٤

ولابد أن يكون هناك توافق جنسى بين الرجل وزوجته حتى لا تمل الزوجة وقد تكره زوجها.. ولست أقول أن التفاهم الجنسى أهم عناصر الحياة الزوجية السعيدة ولكنه من أهمها .. وحول محوره تدور نسبة كبيرة من علاقات الزوج بالزوجة كما أن هناك الكثير من حوادث الطلاق أساسها المباشر أو غير المباشر هو انعدام التوافق الجنسى، أو تضعضع الحياة الزوجية لأسباب جنسية.. وقد قام الكاتب (دايل كارتيجى) بعمل العديد من الأبحاث فى العلاقات الزوجية وأسباب فشلها، فذكر أن السبب الأول والأهم هو سوء التوافق الجنسى بين الأزواج... وهو ينقل عن الدكتور/ هاملتون وشريكه كينيث ماكجوان، ما ذكراه فى كتابهما (ما خطأ الزواج) حيث يقولان: "إن عدم التوافق الجنسى يجثم دائماً فى قرارة كل زواج فاشل، فإن المشكلات الأخرى التى تلابس الزواج يمكن أن يغضى عنها الزوجان[١] لو أن التوافق الجنسى استتب بينهما"

وقال لى أحد أصدقائى: حكى لى أحد أقاربى أنه لا يعيش سعيداً مع زوجته وبينهما خلافات كبيرة ويقفون على الطلاق ويقول: بالرغم من أننى أحبها وهى تحبنى وأنها مطيعة وطيبة. يقول صديقى فسألته عن علاقته الجنسية معها فقال: هى أصبحت عندى عادة وليست شهوة، فمعلوم أننى فى يوم كذا سأجامعها، فاحتضنها ثم أبدأ فى الممارسة فينزل مائى بسرعة فانام وأتركها.. فلاحظت أنها أحياناً تنفر منى وتضيق بذلك ذرعاً وترفضنى فيحدث الخلافات..

ويذكر مصلح محمد فى كتابه (الاختيار الجنسى والخلقى للزواج) قصة مشابهة يحكيها على لسان صاحبها الذى يقول: عند النوم أضم زوجتى

---

(1) أى لا يلتفتان إليها.

على صدرى فإذا رأيت منها قبولاً ضممتها بشدة ورفع كل منا الملابس عن موضع عورته ونحن تحت الغطاء ويتم الجماع فى أقل فترة زمنيـــة.. وقـــد سبب ذلك له مشاكل كثيرة بعد ذلك، فقد أصبحت زوجته تنفر منه.. وتغضب بكثرة عند أهلها لأتفه الأسباب مما جعل حياتهما مهددة بالإنفصال بالرغم من وجود أطفال بينهما.

ويذكر صاحب (تحفة العروس) أن شرطياً عثر على زوجـــة شـــابه تزنى، وكان لها زوج جميل فاستغرب الشرطى فلما سألها قالت: إن زوجها لا يعرف فخذها، فكان دأبه جماعها دون مداعبة مكتفياً بقضاء شهوته وكفى!

ولذا تشكو الكثير من الفتيات من سرعة قذف أزواجهن وهذا يســـبب الضيق والملل للمرأة ـــ وقد ذكر هذا فى أحد أعداد مجلة (طبيبك).

ولذا فإن هناك حديث رواه أنس بن مالك رضى الله عنه يقـــول: "لا يقع أحدكم على أهله كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول: القبلة والكـــلام" .. ومن هنا جاءت إشارة النبى ﷺ عند قوله لجابر رضى الله عنه: "هلا بكـــراً تلاعبك وتلاعبها.." [١] وفى هذا الحديث إشارة إلى ضرورة مداعبة المرأة قبل الجماع. وخاصة فى ليلة الزفاف لذا أكتفى بمقولة (لبلـــزاك): "لا تبـــدأ حياتك باغتصاب"[٢]، فلا تبدأ الليلة بالاتصال الجنسى، ولكن تبـــدأ بـــالحوار والحديث عن الحب ووصف جمالها وملاطفتها ومداعبتها وإثارتها تـــدريجياً حتى يتم الإتصال... وفى هذا يروى الإمام الفقيه ابن حزم فى كتابه (طـــوق الحمامة) أنه كان ببغداد رجل رأى فتاة فأحبها وتزوجها، فلما كانـــت ليلـــة

---

[1] حديث صحيح.

[2] وقد ذكره صاحب (تاج العروس).

الزفاف استعجل أمره، فرأت الفتاة كبر عضوه، فنفرت منه، وأبت الرجوع إليه حتى الموت.

ولكى يتمتع الزوجان بالاتحاد الجنسى، لابد من المداعبة أو الملاعبة أولاً، فإهمال الملاعبة يضايق المرأة ويثير اشمئزازها ويؤذيها إيذاءً بدنياً ونفسياً.. فالملاعبة فن غزير اللذات، ولذاته لا تقل عن لذات الجماع.. ولذا يقول أحد علماء النفس الإخصائيين:"واعلم أنه لا يكفى أن يستهوى الرجل زوجته ويستعطفها حتى تذعن له مرة واحدة فقط حين يتزوجها، بل يجب أن يلاطفها ويستهويها عند كل وصال، لأن كل وصال يمثل زواجاً جديداً" .

ومن هنا يأتى كلام العلاَّمة ابن القيم فى كتابه (روضة المحبين) فى خلال حديثه عن قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها﴾[١] وقول الرسول ﷺ: "وفى بضع أحدكم صدقة" قالوا: يا رسول الله: أيأتى أحدنا شهوته ويكون له منها أجر؟ قال: "أرأيتم لو وضعها فى حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها فى حلال كان له أجر[٢]، فيقول ابن القيم: "وقد حض النبى ﷺ على استعمال هذا الدواء (الجماع) ورغَّب فيه وعلق عليه الأجر وجعله صدقة لفاعله، ففى هذا كمال اللذة، وكمال الإحسان إلى الحبيبة، وحصول الأجر، وثواب الصدقة، وفرح النفس وذهاب أفكارها الرديئة عنها، وخفة الروح، وذهاب كثافتها وغلظتها، وخفة الجسم، واعتدال المزاج، وجلب الصحة، ودفع المواد الرديئة، ويكمل ابن القيم كلامه فى هذا الصدد فيقول: "ولا تكتمل اللذة حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسطه من اللذة، فتتلذذ العين بالنظر إلى المحبوب، والأذن بسماع

---

(1) سورة الروم آية ٢١.

(2) رواه مسلم.

كلامه، والأنف يشم رائحته، والفم بتقبيله، واليد بلمسه، فإن فقد من ذلك شيئاً لم تزل النفس متطلعة إليه، فلا تسكن كل السكون، لذلك تسمى المرأة سكناً في قوله تعالى ﴿لتسكنوا إليها﴾ وذلك لسكون النفس بها"

وقال بعض الناصحين الخبيرين: إن من أقبح العجز والجهل أن يجامع الرجل زوجته قبل أن يحدثها ويؤانسها ويداعبها وليحذر من أن يقضي حاجته منها قبل أن تقضي حاجتها منه!!... ولذا قال الإمام الغزالي في (الإحياء): "إذا قضى الرجل وطره من الإنزال أن يسهل المرأة حتى تقضي وطرها فإن إنزالها قد يتأخر عنه. فالقعود عنه إذ ذاك إيذاءٌ لها... والتوافق في وقت الإنزال ألذ للمرأة ليشتغل الرجل بنفسه عنها، فإنها ربما تستحي منه". ولذا قال ﷺ: "ثلاث من العجز في الرجل" ومنها "أن يقارب الرجل زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها ويقضي حاجته منها قبل أن تقضي حاجتها منه"[١].

ولذا جاء في كتاب (الجامع للأصول في أحاديث الرسول) أنه لما علم رسول الله ﷺ أن جابراً تزوج ثيباً قال له: "مالك وللعذارى ولعابها" أي الأبكار وملاعبتها أو لعابها وهو الريق إشارة إلى المداعبة

وبهذه المداعبات يتأخر قذف الرجل وبلوغ المرأة أقصى لذتها... وبذلك يكون الرجل قد أغلق باباً من أبواب المشكلات التي تنشأ بين الزوجين والناتجة عن عدم التكافؤ الجنسي.. وقد أشار سبحانه وتعالى إلى تلك

---

[١] رواه الديلمي في كتابه مسند الفردوس ورواه أبو يعلى في مسنده بلفظ: "إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها فإذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها"، انظر كتاب العشرة الطيبة ١٤/٢ لمحمد حسين

المداعبات والملاطفات وتغيير طرق الجماع وذلك في قوله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾[١] قال ابن عباس: "قائمة وقاعدة ومقبلة ومدبرة فى أقبالهن لا تعدو ذلك إلى غيره ... ولما كرهت امرأة من زوجها أن يأتيها مجبية[٢] ومستقبلة ــ أو مستلقية على ظهرها ــ فقال ﷺ: "لا بأس إذا كان فى صمام واحد"[٣] وهناك معلومات كثيرة لمن أراد أن يعرفها تلاشياً للمتاعب ولا مجال للكلام عنها هنا لذا أنصح بقراءة كتاب "تحفة العروس" لكل من أقدم على الزواج وأيضاً كتاب (العشرة الطيبة) للشيخ محمد حسين.

ومن أهم ما أختم به كلامى فى هذا الصدد ما رواه ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال: "لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتى أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا. فإنه إن يقدر بينهما ولد فى ذلك لم يضره الشيطان أبداً"[٤].

---

(1) سورة البقرة، آيه ٢٢٣.

(2) يقال جبى أكب على وجهه ساجداً أو وضع يديه على ركبتيه راكعاً.

(3) تفسير ابن كثير ١/٣٣٠، وفيه توضيح أكثر.

(4) صحيح البخارى.

الحجاب والسعادة

إن الحجاب من أهم الأوامر التى أمر الله بها ومن المعلوم أن تنفيذ أوامر الله طاعة لله والطاعة أول طريق السعادة وبدايته.

أما التبرج فهو معصية لله ولرسوله والمعصية كما ذكرنا فى أول الكتاب توجب التعاسة والشقاء فى الدنيا والآخرة، فالحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾[١]

وقال ﷺ: "كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى" فقالوا: يا رسول الله من يأبى؟ قال: "من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى"[٢] ومعلوم أن الحق تبارك وتعالى نهى عن التبرج فى قوله: ﴿ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾[٣]. ونهى عنه الرسول ﷺ أيضاً فى قوله "أبايعك على أن لا تشركى بالله ولا تسرقى ولا تزنى ولا تقتلى ولدك ولا تأتى ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا تنوحى ولا تبرجى تبرج الجاهلية الأولى"[٤] وآيات وأحاديث أخرى كثيرة فى النهى عن التبرج مما يدل على أن التبرج معصية لله ورسوله ولذا فالمرأة المتبرجة قد أبت أن تدخل الجنة... فلماذا أيتها الأخت المسلمة ترفضين دخول الجنة لهذا السبب التافه لأنك تريدين زينة

---

(1) الأحزاب: (٣٦)

(2) (حديث صحيح: أخرجه البخارى والحاكم وأحمد)

(3) (الأحزاب: ٣٣)

(4) (حديث حسن: أخرجه أحمد والطبرى فى تفسيره)

زائلة منتهية بمجرد أنقضاء عمرك العمر قصير ومتاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى.

ولابد أن تعلم الفتاة أن الحجاب من أهم العبادات ويقول فضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوى: الحجاب فريضه إسلاميه ومنكرها خارج عن الدين[١]، فالفتاة إذا تحجبت فهى بذلك تمنع الشباب عن معصية خطيرة وهى النظر فالنظرة لها تأثير خطير على سعادة الشباب كما أن لها تأثير عليه فى الآخرة، ولن أتحدث أيضاً عن كيفية شقاء النظرة للشباب لأننى سأتحدث عنها فيما يأتى ـ إن شاء الله ـ ولكن الموضوع الذى نتحدث عنه الآن هو موضوع الحجاب وكيف يسعد المرأة أو الفتاة؟

وقد حث الله سبحانه وتعالى المرأة على الحجاب فى مواضع كثيرة ومعلوم أن الله سبحانه وتعالى لا يخلق شئ إلا لحكمة ولم يأمر بشئ إلا وفيه الصلاح والسعادة للبشرية، ولأن المرأة كل شئ فيها يفتن الرجل، ففى شعرها فتنة وفى عينيها فتنة، وفى شفتاها فتنة وفى جمال وجهها فتنة وفى جسدها فتنة، وفى صوتها الرقيق فتنة، فأمرها الله سبحانه وتعالى ألا تظهر من جسدها إلا الوجه والكفين ـ وبدون وضع الزينة على وجهها ـ وألا ترتدى ثياباً مشقوقة من أسفل أو قصيرة فتظهر رجلها لأن ذلك يحرك غرائز الرجل ويثير شهوته، وأن لا تخضع بالقول وتتحدث بصوت رقيق فيه ميوعه وخلاعه؛ لأن ذلك يهيج أعصاب الرجال، وخاصة أصحاب القلوب المريضة وأن يكون الحديث مع الرجال بالمعروف فى حدود المصلحة ليس فيه هزل ولا دعابة، كما نهاها عن الإختلاط بالرجال فى الأماكن المزدحمة بملابس ضيقة يظهر معالم الجسد التى تفتن الرجل كالثدى والعجز وغيرهما، وبين

---

(١) مجلة صوت الأزهر العدد (٢٣٠) بتاريخ ٢٠/٢/٢٠٠٤م، وانظر فى هذا المعنى (الفتاوى) لفضيلة الشيخ/ محمد متولى الشعراوى ص٢٥٧، إعداد الدكتور/ السيد الجميلى.

أن المرأة يجب أن تبقى فى بيتها ما لم يكن هناك ضرورة لخروجها، وقد جمع الله سبحانه وتعالى كل هذا فى قوله تعالى:

﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ [(١)] وقال أيضاً: ﴿ والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ﴾ [٢] وقال: ﴿ يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ [(٣)]. وقال أيضاً:

﴿ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً ﴾ [(٤)].

والرسول ﷺ لم يترك هذا الأمر لخطورته بل أكد عليه فى أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ عندما أمر بإخراج النساء ليشهدن صلاة العيد قلن يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب فقال ﷺ: "لتلبسها أختها من جلبابها".

---

(1) سورة النور، آيه ٣١

(2) سورة النور، آيه ٦٠ .

(3) سورة الأحزاب ، آيه ٥٩

(4) سورة الأحزاب: آية٣٢

وقال ﷺ ــ أيضاً ــ: "إذا كان لإحداكن مكاتب وكان عنده ما يؤدى فلتحتجب منه" ويدل هذا الحديث على أن المرأة يجوز لها كشف وجهها لعبدها مادام فى ملكها وإذا خرج من ملكها فيجب أن تحتجب عنه لأنه صار أجنبياً. وعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان الركبان يمرون بنا ونحن مُحرِمات مع الرسول ﷺ فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها من رأسها. فإذا جاوزنا كشفناه. واعلمى أيتها الفتاة أن كشف الجسد زوال للحياء وزوال الحياء نقص فى الإيمان ونقص الإيمان يجلب الشقاء والتعاسة ويحُيل السعادة.

كما أن كشف أجزاء من الجسد يفتن الرجال وخاصة إذا كانت جميلة قد يجعل الرجل يقترب منها ويحاول الحديث إليها فتقبل ذلك فيتعلق قلب كل منهما بالآخر، وقد يؤدى ذلك إلى حدوث من الشر ما لايمكن دفعه، وقد يأتى من جراء ذلك ندم لا يمكن الخلاص منه مدى الحياه. فلابد أن تعلم الفتاة أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق.

وقد تقول فتاة لن أرتدى الحجاب ولن أجعل الشباب يقتربون منى فأقول لها إنك بذلك لن تنجى من الشقاء فإنك أولاً لن تفلتى من المعاكسات والكلام الذى يخدش الحياء من الشباب التافه كما أنك تفسدين أخلاق الشباب الذين هم عماد الأمة، كما أنك تشقين نفسك بمعصية الله ومخالفة أمره، وتتحملين ذنوب كل شاب ينظر إليك، فإن كان كل شاب ينظر إليك يحمل سيئة فإنك تحملين ذنوباً بعدد السيئات التى يحملها كل الشباب الذين ينظرون إليك.فكل شئ يحرك الغريزة فهو حرام حتى وضع العطر فإن رسول الله ﷺ يقول: "إذا استعطرت المرأة ــ أى وضعت العطر على جسمها ــ ثم بعد

ذلك مرت على القوم فشموا رائحتها فهى زانية. وكل عين تنظر زانيـــة"(١).

بل إن أبا هريرة رضى الله عنه كان ذاهباً إلى المسجد ليصلى.. فوجد امرأة ذاهبة إلى المسجد فشم ريحها... فقال لها: يا أمة الله.. أتضعين العطر؟ قالت نعم. قال: وإلى أين تذهبين؟ قالت: إلى المسجد قال لها: عودى إلـــى بيتــك واغتسلى غسلك للجنابة.. اعتبر خروجها بعطرها كأنها جنباً.

والتبرج دليل على قلة الحياء وقلة الحياء ضعف فى الإيمان وضعف الإيمان تعاسة وشقاء فى الدنيا والآخرة فالرسول ﷺ يقول: "الإيمــان بضــع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريــق والحياء شعبة من الإيمان"(٢)، فإذا كانت إماطة الأذى عن الطريــق تعتبــر شعبة من الإيمان، فأيهما أشد أذى، الحجر الملقى فى الطريق أم المرأة التى تسير فتفتن الرجال وتفسد القلوب وتحرك الغرائز وتنشر الفاحشة فى الــذين آمنوا؟ فكيف تسمحين لنفسك أن تكونى سبباً فى تحريك شهوة حــرام عنــد شاب مسلم أو رجل مؤمن؟ ... كيف تصرفيه عن ذكر الله وطريق الله حتى ولو لدقائق معدودة.. فما الفرق بينك وبين الشيطان الذى يحاول فعــل ذلــك فيسخرك أنت لتكونى أداته وشبكته التى يصطاد بها.. كيف تسمحى لنفســك أن تكونى الفخ الذى يضعه الشيطان للإيقاع بعباد الله؟ ما أتعسك إذا رضيت لنفسك أن تكونى سلعة شهية لعيون جائعة وغرائز ملتهبة لا تعرف حلالاً ولا تتقى حراماً فاحذرى يا أختاه يوماً يجعل الولدان شيباً، يوم يفر المــرء مــن أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه.

---

(١) (رواه أبو داود فى سننه...)

(٢) (حديث صحيح: أخرجه مسلم، وأو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه)

ويقول فضيلة الشيخ محمد الغزالى: "من المشكلات المضنية للبشر أن الغريزة الجنسية تولد وتتحرك وتقوى فى سن اليفاعة، اى حوالى الخامسة عشرة من العمر، قبل اكتمال القدرة العقلية. وإستطاعة النهوض بأعباء الزواج ورعاية الأسرة ومعاملة الصاحب الآخر بعدالة وشرف ثم يقول بعد ذلك: إن الحجاب المشروع وغض البصر وإخفاء الزينات والمباعدة بين أنفاس الرجال وأنفاس النساء فى أى إختلاط فوضوى. وملء أوقات الفراغ بضروب الجهاد العلمى والاجتماعى والعسكرى ـ عند الحاجة ـ كل ذلك يؤتى ثماراً طيبة فى بناء المجتمع على الفضيلة". وتقول السيدة سهير رمزى بأن أجيالاً كثيرة ومتعاقبة تضيع فى الطريق بسبب خروج المرأة عن الحدود التى وضعها الله لها فى حياتها والناظر الواعى فى أحوال مجتمعنا، يجد أن فساداً كبيراً فى مجتمعاتنا من جرائم وشرور تكون بسبب تهتك المرأة وانحرافها.

ويورد مجدى كامل تصريحات الفنانات المعتزلات وحديثهن عن الحجاب والذى يدل على أن سعادة المرأة فى إرتدائه ونوردها فما يلى:

فتقول الفنانه المعتزلة شمس البارودى: أنها رغم وجود أسباب كثيرة للسعادة إلا أنها طوال مشوارها الفنى كانت تعانى داخلها من قلق وخوف أخذ يتحول إلى شئ مرعب يشقى عيشتها، وأنها كانت تعجب بالفتاة التى ترتدى الحجاب وتحس بأنها تتمنى تمثيل أدواراً بالحجاب. وظل الأمر كذلك حتى قرأت قصيدة دينية فوجدت نوراً ربانياً يملأ قلبها. وبدأت تشعر بأن البعد عن طريق الله هو سبب شقائها والعذاب الذى يختلط بسعادتها، ثم أرتدت الحجاب.

وتقول الفنانة شاديه: كنت قبل إرتداء الحجاب أشعر بالوحدة رغم آلاف المعجبين الذين يحيطون بى...وتقول الفنانة نسرين: وبعد ارتداء الحجاب أنها أصبحت هادئة تشعر بالسكينة بعد أن كانت عصبية تثور وتنفعل لأتفه الأسباب...وتقول الراقصة المعتزلة سحر حمدى أنها كانت تشعر بالشقاء وعذاب النفس وشقاء الروح حتى ارتدت الحجاب فسكن قلبها وامتلأت حياتها بالسعادة والسرور.

وقد ذكر الأستاذ مجدى كامل حكايات الكثير من الفنانات المعتزلات وكيف تبدلت حياتهن من الشقاء والتعاسة والحزن إلى السعادة والرضا والطمأنينة، ومن القلق إلى السكينة ومنهن هناء ثروت ونسرين وهاله الصافى وشهيره ونورا وعفاف شعيب وفريده سيف النصر وسحر حمدى ومديحة كامل وسهير رمزى وسوسن بدر...الخ

وأقول للفتاة التى لا ترتدى الحجاب إنك لن تشعرين بالسعادة أبداً حتى يمتلئ قلبك بالإيمان وترتدين الحجاب وبدون إرتداء الحجاب ستظلين قلقة، متوترة، حزينة، عصبية، تشعرين دائماً بأن شئ ينقصك ولا تعرفين ما هذا الشئ، وتشعرين بأن الحزن والألم واليأس يملأ قلبك ولا تعرفين سببه، ومهما كانت الحالة الاجتماعية أو المادية فستبقين حزينة بائسة لا تشعرين بالسعادة أبداً.

ولن تكونى أحسن حالاً من هؤلاء الفنانات اللاتى كن فى وسطٍ فنى ملئ باللهو واللعب والكثير من الأشياء التى تجعل الإنسان سعيداً ومع هذا لم تذكر واحدة منهن أنها كانت سعيدة فى هذا الوسط الفنى، ولكن السعادة لم تدخل قلوبهن الا بعد ارتداء الحجاب والالتزام بأوامر الخالق...فمن يرد الله

أن يهديه يشرح صدره للهدى.. وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ولكن الله يهدى من يشاء.

والدليل على ان ارتداء الحجاب والالتزام بأوامر الخالق هو أول أسباب سعادة المرأة وسعادة زوجها وأولادها أيضاً، وهو مثال من الواقع اكتفى بذكره وهو قول زوج إحدى المذيعات التائبات، حيث يقول: بعد ارتداء زوجتى للحجاب كنت أتوهم أنها ستتحول إلى زوجة معقدة ومتزمتة ومتجهمة، لهذا كنت أتخوف كثيراً من قرار ارتدائها الحجاب ولكن فوجئت واقعياً بعكس ذلك تماماً فقد تحولت إلى إنسانة أكثر رقة وتسامحاً ووجدت اهتمامها يتزايد بى كزوج وبيتها وأبنائنا ولما سألتها عن سر ذلك التغير، قالت: قرأت القرآن ودرسته وعرفت حقوقي وواجباتى كأم وكربة بيت. **ويقول الزوج: واليوم أنا أكثر منها تمسكاً بقرار توبتها وارتدائها الحجاب، إذ** أنها تستيقظ كل يوم فى الرابعة صباحاً، قبل صلاة الفجر وقبل ذلك كانت لا تستيقظ إلا فى الواحدة بعد الظهر، كما أنها تحثنى وأبناءها على اداء الصلوات وتحفظهم القرآن وأحكام الدين، وكل ما أقوله: إننى أدعو الله لها أن تستمر فى هذا الطريق وأحمد الله الذى هداها إليه وأدعوه أن يحفظها من كل شيطان رجيم.

أما المرأة المتبرجة فلا تنجو من الشقاء بل إنها قد تتعرض للإغتصاب من ضعاف النفوس وعبيد الشهوة، فيقول الدكتور محمد أنور حلمى[1] " وهناك دوافع أخرى من البيئة المحيطة بمرتكبى هذه الجرائم (يقصد جرائم الاغتصاب) منها ملابس النساء التى تجسم المرأة بطريقة

---

[1] د/ محمد أنور حلمى أخصائى ورئيس قسم الطب النفسى وأمراض المخ والأعصاب بمستشفى السويس العام وعضو الجمعية المصرية للطب النفسى.

مثيرة وتكشف معظم مفاتنها.... ونتذكر أن جميع حالات الاغتصاب حدثت لمن ترتدى ملابس مثيرة ـ ضيقة أو قصيرة مثلاً ـ فلم نسمع قط عن محجبة وقعت ضحية في هذه الجريمة.."[١] فيذكر صاحب تحفة العروس أن شاباً قروياً خرج ليلاً من السينما بصحبة زوجته المتبرجة وهو مفتخر بها أمام الناس فاستأجر سيارة لنقلهما إلى قريته وفى الطريق لعب الشيطان في عقل سائق السيارة بسبب مشاهدة المرأة المتبرجة فتظاهر بعطل في السيارة فنزل لإصلاحها وأخيراً طلب من الزوج لينزل لدفع السيارة قليلاً من الخلف وأخذ هو يقودها فطار بالمرأة وبقى زوجها على الأرض يستغيث، ولا من مغيث فظن شراً ولا تسأل عن الخبر ﴿وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم كانوا يظلمون﴾ وإن لم يحدث فهى تعصى ربها، فتشقى في دنياها وأخراها. وثمة أضرار أخرى تصيب المرأة بسبب تبرجها فهو قد يسبب العقم، فهذا طالب يدرس في بلغاريا، وقد تزوج هناك بطبيبة بلغارية، فيقول: إنها أصبحت عقيمة بسبب إرتداء (المنيجوب) الذى أدى إلى الإضرار برحمها نتيجة البرد، فما كان منها إلا أن كتبت في النهى عن ارتداء (المنيجوب) وأخذت تحذر بنات جنسها من هذا الزى (الموضه).

وكما رأينا هذا الرجل الأحمق الذى أراد أن يثقب السفينة حتى لا يؤذى من فوقه إذا أراد الماء فهو بخرقه السفينة لا يريد أن يهلكهم. كذلك المرأة المتبرجة قد لا تكون تقصد إيذاء أحد ولكنها بحمقها لا تدرى أنها بتبرجها هى وغيرها يساهمون في هلاك الأمة التى تقوم على سواعد الشباب.

---

[١] جاء هذا في مقال للسيد شرارة في جريدة الأقاليم في عدد (يناير ٢٠٠٤)

ولتعلمي أيتها الفتاة الجميلة أنك بتبرجك تشقين ويشقى معك الكثير من الشباب، وقد تحدثت مع الكثير من الشباب في ضوء موضوع السعادة، وكان هناك سؤال ثابت لكل من أتحدث معهم وهو أنني كلما سألت شاباً ما هو أكثر شئ يشقيك؟ فتكون إجابتهم واحدة وهي أن يقول لي أكثر شيء يشقيني ويحزنني الذنوب فأقول له وما أكثر ذنب تعمله فيقول بعضهم إن أكثر ذنوبي هو النظر إلى المرأة العارية في كل مكان، ويقول البعض الآخر إنني ليس لي ذنوبٌ إلا النظرة إلى النساء. ولقد سألت أحد الخريجيين ما هو أكثر ما يشقيك؟ فقال لي: إن الهم في الدنيا كثير وأكثره يكون من النساء فأنشدته قول الشاعر:

من فتنة النسوان كم يعصى الفتى	**أمر الإله بطاعة الشيطان**
واللص لولاهن لم يك بائعاً	**للروح منه بأبخس الأثمان**
قابيل لولاهن لم يقتل أخاه	**ولا رضى بالذل والعصيان**
وبهن صار لآدم مع يوسف	**قصة كما جاء في القرآن**
ومجنون ليلى جن في حب النسا	**كل الأذى يأتي من النسوان**
وترى البلا منهن يأتي والوفا	**منهن لا يأتي مدى الأزمان**
كن ما أستطعت من النساء بمعزل	**إن النساء حبائل الشيطان**[1]

ولكن هذا الحكم ليس حكماً عاماً على كل النساء فهناك الكثير من الفتيات الجامعيات المتعلمات المثقفات ومع ذلك فهن متدينات وملتزمات لا تغريهن الإغراءات والفتن، ولم تخدعهن الحضارة الزائفة التي تنادي بخلع الحجاب وعدم التمسك بالدين بدعوى أن الإسلام يقيد الحريات ويكبت الطاقات ولا يجاري العصر، ولكن هذا كله لا أساس له من الصحة، وليسألوا نساء الغرب وكيف انُ الحرية أهلكتهم وأتعستهم، حتى علموا أن الدين

---

[1] حبائل الشيطان: مصايد الشيطان.

الإسلامى هو دين السعادة وهو دين الحرية المنضبطة.. وأصبحوا يستغيثون بأمة الإسلام فقد أنتشر الزنا وانتشرت الأمراض الجنسية وانعدمت الأخلاق فنادوا أغيثونا يا أمة الإسلام!!!

أما الفتيات اللاتى انخدعن بالموضات الخليعة وجـرين وراء تلـك الإغراءات، فمن سوء حظهن أنهن أصبحن هن جنود إبليس استخدمهن فـى إفساد الرجال وهؤلاء هن اللائى ينطبق عليهن الأبيات السـابقة، وينطبـق عليهن قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما سمع امرأة تقول لرجل:

إن النساء رياحين خلقن لكم وكلكم يشتهى شم الرياحين

فقال لها عمر:

إن النساء شياطين خلقن لنا ونعوذ بالله من شر الشياطين

ولذا أناشد كل فتاه جميلة رقيقة طيبة القلب مخلصة لوطنها العزيـز مصر الغالية وأمها الوفية محبة لأبناء وطنها المخلصون الذين يبذلون أقصى جهد لديهم للإرتقاء بوطنهم. أناشد هذه الفتاة وأقول لها ارحمى أمـة تهلـك وتغرق وأنت لا تزالين تدوسين على رأسها فى الماء حتى لا تقوم لها قائمة.

واعلمى أيتها الفتاة أن الدعوة إلى تحرير المرأة من الحجاب ليس من الإسلام وإنما هو من أعداء الإسلام الذين أرادوا أن يهلكوا الأمة الإسلامية، وقد علموا أن أسرع شئ يهلكهم هو المرأة فدخلوا من هذا الباب فإن الرسول ﷺ قال: ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء ويقـول: "إن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء"، ولذا أقول لك إحذرى أن تصغى إلى ما يقولون من أن الحجاب ليس من الحضارة أو أنـه لا ترتـدى الحجـاب إلا

القبيحة لتخفى عن الناس قبحها، فهل تظنين أنهم سعداء فى بلادهم، كلا والله إنهم أشقياء، أشقاهم الله ببعدهم عنه وكفرهم به.

واعلمى أنهم يحقدون علينا ولا يريدوننا هكذا وإنما يريدون أن نكون مثلهم، وفى بروتوكولات حكماء صهيون يقولون: يجب أن نعمل حتى تنهار الأخلاق[١]..، ولن يتم هذا إلا بالمرأة... لأنها القلب النابض وعقل الأمة... ففى صلاح المرأة صلاح المجتمع.. وفى فسادها فساد المجتمع.... ولذا يقول أحد أقطاب المستعمرين: "كأس وغانية تفعلان فى تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع فأغرقوها فى حب المادة والشهوات.. ويقول (جلادستون) رئيس وزراء انكلترا لن تستقيم حالة الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ويغطى به القرآن[٢]. فلهذا يحرص الإعلام الغربى على تصدير كل فاسد ومشين ومفسد وضار بالمرأة.. وما أدل على ذلك فى عصر الفضائيات من وجود قناه خاصة بالموضة والأزياء الحديثة تسمى قناة "فاشون" يعرض فيها أحدث الموديلات النسائية وأحدث الصيحات فى خطوط الموضة التى تصلنا من بلاد الكفر... ومن هنا يكون فساد أخلاق المرأة... ومن ثم فساد أخلاق الأمة ثم بعد ذلك الضياع والهلاك:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ويقول محمد طلعت حرب فى كتابه (المرأة والحجاب): "إن رفع الحجاب والاختلاط كلاهما أمنية تتمناها أوربا من قديم الزمان، لغاية فى النفس يدركها من وقف على مقاصد بالعالم الإسلامى... إنه لم يبق حائل يحول دون هدم المجتمع الإسلامى فى الشرق لا فى مصر وحدها إلا أن

---

(١) عودة الحجاب ق٢/٢١ لمحمد إسماعيل المقدم، دار الصفوة.

(٢) عودة الحجاب ١/٩٩.

يطرأ على المرأة المسلمة التحويل بل الفساد الذى عم النساء في الغرب وبات ينذر بالخطر".

فإفساد المرأة وتعريتها ليس هو الهدف الحقيقى لهؤلاء الحاقدين، فالمراة لا تهمهم فى شئ وإنما هى وسيلة لإفساد الرجال الذين ينجرفون بذلك فى تيار الشهوة فتضعف الأمة العربية والإسلامية ثم يدخلون بعد ذلك بلاد الإسلام ويطأون رؤس الرجال ويتخذون النساء جوارى للإستمتاع ووضع نطفهم القذرة فى بطونهن الطاهرة، وهذا ما حدث فى الإمبراطورية الرومانية، حيث كان الرومان فى قمة المجد والقوة فى حين كانت المرأة لا تخرج من بيتها، ولما خرجت المراة للعمل وخلعت ملابس العفة والحياء وكشفت عن جسدها وأصبحت ترتاد المنتديات سقط الرجل قتيل الشهوة والعشق فضعفت الدولة وانهارت وانتصر عليها أبطال الإسلام الذين حافظوا على عفة نسائهم فى ذلك الوقت كما حافظوا على قوة إيمانهم... ولذا كانت دعوة الغرب إلى تحرير المرأة وخروجها للعمل وخلع الحجاب لنبقى تابعين لهم سائرين خلفهم وهذا ما يريده لنا أعداء الإسلام الجبناء[1]... ولكن إن كان الغرب قد استطاع أن يحقق مأربه فلابد أن نفيق قبل يأتى اليوم الذى نرى فيه أمهاتنا وأخواتنا وبناتنا تجردن من ثيابهن ويهتك أعراضهن أمام أعيننا ولا نستطيع إنقاذهن...وهذا جزء من رسالة أرسلتها امرأة مسلمة من سجن أبو غريب إلى المسلمين تقول فيه: ماذا أصف لكم ما نلاقى من العذاب، والضرب المبرح حتى نحفظ لكم العرض وتصون الأمانة؟ ...إننا نعانى عندما ننظر إلى اليهود وهم يريقون الخمر أمامنا ويهتكون أعراضكم كالحيوانات المفترسة...أيها الشرفاء كم مرة تموتون؟ ...أعراضنا هتكت،

[1] مصطفى محمود: على حافة الانتحار ص٦٧، دار المعارف ١٩٩٢م.

وملابسنا تمزقت، وبطوننا جاعت، ودموعنا جارية، ولكن من ينصرنا؟! ...
اتقوا الله فى أرحامكم فقد امتلأت البطون من أولاد الزنا...[١]

لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ إن كان فى القلب إيمان وإحسان

فلابد أن تعود المرأة إلى دينها وحجابها وبيتها، فهى لها دور فى بيتها لا يقل عن دور الرجل فى عمله بل يزيد على دور الرجل "ألا وهو تربية الأولاد، فإذا كان الشباب هم عماد الأمة وحملة اللواء وعلى أكتافهم تبنى الأمم، فإن الفتاة هى الأم التى ربت هؤلاء الشباب، فإذا أحسنت التربية أخرجت أجيالاً ورجالاً أقوياء يحفظونها ويحفظون بلادها بإذن الله من كيد الأعداء... ولابد أن تدرك المرأة وأن تعى جيداً أن فكرة خلع الحجاب مؤامرة مدبرة لهدم الإسلام.. وأن تعرف جيداً من أين كانت تلك الفكرة السافلة ومتى بدأت؟.... فقد بدأت الفكرة منذ أن بدأ الغرب فى اختلاق قضية للمرأة المسلمة مثل قضايا المرأة الغربية فمعلوم أن المرأة الغربية كانت مهانة من قبل الرجل، حيث كانت تعمل مع الرجل فى نفس المصنع ونفس الفترة الزمنية ثم تتقاضى نصف أجر الرجل ومن هنا نشأت قضية المرأة وتخلصها من ظلم الرجل المستبد أما المرأة المسلمة فكانت مصونة محترمة.

فالمرأة الغربية حقاً مظلومة، فهى بنت تتقاذفها أيدى الذئاب البشرية أو زوجة كادحة لا تأوى إلى بيتها إلا كالة مرهقة لتشارك الرجل حتى فى دفع أقساط السيارة والبيت وإلا فلا قيمة لها، وأُمَّاً يقذفها أولادها بالنهاية فى إحدى دور الرعاية الإجتماعية... أما المرأة المسلمة، وهى بنت مصونة يحافظ عليها الرجل كجزء من حياته، أو وهى زوجة مكفولة بواسطة زوجها

---

(١) نشرت هذه الرسالة بمجلة المجتمع الكويتية عدد (١٦٠٥)، انظر الطوفان قادم (الله .. أو ... الدمار)، المجدى الهلالى، دار الدعوة ط ٢٠٠٤/١م

حتى ولو ملكت من المال ما ملكت، وهى أم وجدة تتحول إلى ملكة فى كيان أولادها وأحفادها.

إن المرأة الغربية مظلومة ومبتذلة حقاً، إنها تستحق أن يرفـع لهـا قضية تدافع بها الرجل الذى يبتزها وذلك من أجل إنصـافها.. أمـا المـرأة المسلمة فوضعها فى مجتمعنا لا يمكن أن تحلم به تلك المرأة الغربية سـواء كانت بنتاً أو زوجة أو أماً.... فما هى قضيتها إذن؟.. ولكـنْ مـع الأسـف الشديد استطاع هؤلاء الجبناء اختلاق قضية للمرأة المسلمة وهى قضية خلع الحجاب وخروجها للعمل مثل المرأة الغربية وتبنى القضية فريق من النسوة على رأسهن هدى شعراوى وصفية زغلول، وفريق من الرجال على رأسهم قاسم أمين وغيره ولكن الحقيقة أن هذه القضية ليست قضية المرأة وحدها بل هى قضية الأمة الإسلامية كلها، بجميع رجالها ونسائها وأطفالها وحكامهـا وعلمائها وكل فرد فيها، لأن الرجل لم يكن هو الذى فـرض علـى المـرأة الحجاب لتثور المرأة ضده مطالبة بأخذ حقها منه ومطالبة بالسـفور وخلـع الحصن الذى يحميها. وإنما الذى فرض الحجاب على المـرأة هـو خالقهـا وفرضه عليها منذ عهد الرسول ﷺ والتزمت به المرأة فى أفضـل القـرون لقول ﷺ: "خير القرون قرنى" وذلك لإيمانهن بأن أمـر الله لا خيـار فيـه: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾[1].

وتبدأ القضية منذ أن سافرت هدى شعراوى بنت محمد باشا سـلطان إلى فرنسا وسافرت محجبة. ولكنها عادت سافرة وكان أبوها يسـتقبلها فـى

[1] الأحزاب: ٣٦

ميناء الإسكندرية ومعه مجموعة من أصدقائه، فلما نزلت من الباخرة سافرة أحمر وجهه خجلاً وغضباً وأشاح بوجهه عنها وانصـرف دون ان يحييها ولكن ذلك لم يردعها عن صنيعها ولم يردها عن غيها الذى عادت به من فرنسا وعندما قامت ثورة ١٩١٩م وملأت المظاهرات الشوارع المصرية تهتف ضد الإنجليز... وفى وسط المظاهرات الجادة وسقوط الشهداء المصريين برصاص الإنجليز، قامت مظاهرة النسوة وعلى رأسها صفية زغلول وتجمع النسوة أمام ثكنات قصر النيل وهتفت ضد الاحتلال، ثم بتدبير سابق ودون مقدمات ظاهرة، خلعن الحجاب وألقين به فى الأرض وسكبن عليه البترول وأشعلن فيه النار!!.. وتحررت المرأة!!!

أضحك أم أبكي؟!.. ما هى علاقة المظاهرة القائمة للاحتجاج على وجود الاحتلال بخلع الحجاب وإشعال النار فيه؟ هل الإنجليز هم الذين فرضوا الحجاب على المرأة المصرية المسلمة من باب العسف والظلم فجاءت لتتحرر من ظلمهم وتلقى الحجاب فى وجههم تحدياً ونكاية بهم؟.... وعلى أية حال فقد ظهرت القضية التى يجب أن تسمى (قضية السفور) وليس قضية (تحرير المرأة) بتدبير من أعداء الإسلام لهدم الإسلام... ثم أخذت القضية تتطور تدريجياً ويتطور معها السفور إلى أن وصلت المرأة على الحال الذى نراه الآن[١] ولقد تعمدت ذكر بداية قضية خلع الحجاب حتى تكون المرأة والفتاة المسلمة على وعى بأن الذين نادوا بتحرير المرأة وخلع الحجاب لم يريدوا إعادة حقوقها وإنما أرادوا زيادة ظلمها وظلم المجتمع الإسلامى... ولتعلم من أين كانت البداية.. ومن الذين ابتدعوا تلك القضية؟ هل هو مجتمعها الذى يحبها ويخاف عليها؟ أم الأعداء الذين يريدون قتلها وهدم مجتمعها.

---

(١) أنظر تسلسل القضية فى كتاب قضية تحرير المرأة لمحمد قطب، دار الوطن ١٤١٠/١هـ.

وعلى المرأة الأم التى تخاف على بناتها الفساد والضياع وأن تكون قدوة لهم فى الأخلاق والملابس، لأن طبيعياً أن تقلد الفتاة أمها... وإذا كانت الأم فاسدة... فسيكون بناتها أشد فساداً وإنحلالاً:

إذا كان رب البيت بالدف ضارب فشيمة أهل البيت الرقص والطرب

ويقول آخر:

ليس النبت ينبت في الجنان كمثل النبت ينبت فى الفلاة
وهل يرتجى لأطفــال كمال إذا ارتضعن ثدى الناقصات

ولكن المؤسف هو أن ترى الأم والأهل هم الذين يمنعون بناتهم من ارتداء الحجاب بحجة أن التى ترتدى الحجاب لن تتزوج أو أن التى ترتــدى الحجاب هى القبيحة لتخفى قبحها.... مع أن الرجل يكون إعجابــه بالفتــاة الجميلة المحجبة أكثر بكثير من إعجابه بالفتاة الجميلة العاريــة... كمــا أن المحجبات يكون الطلب عليهن فى الزواج أكثر من غيرهن... وقد يصاحب الشاب الكثير من الفتيات السافرات العاريات ولكن إذا أراد أن يتزوج يبحث عن الفتاة المتدينة لأنه يعلم أنها هى التى ستسعده[1]... ولذا فإن الكثير مــن الشباب والرجال المتزوجون ينصحون بالزواج من بنات الريف لأنهن تربين فى بيئة لها عادات وتقاليد ملتزمة تجعل الفتاة تجمع بــين الجمــال والرقــة والأنوثة والحياء والأدب والأخلاق الفاضلة وعدم التبرج والميوعة والانحلال مما يجعلهن أكثر تحملاً لمتاعب الحياة وأكثر إسعاداً لأزواجهــن بوقــوفهن بجانب أزواجهن... ويؤسفنى أن أقرأ فى مجلة جامعة الإسكندرية قصة فتاة تريد أن ترتدى الحجاب وأهلها يمنعونها من ارتداء الحجاب ولمــا أصــرت على ارتداء الحجاب منعوها من الذهاب إلى الجامعة فاضطرت إلى ارتــداء الملابس الخليعة أثناء خروجها من البيت وتأخذ حجابها فى حقيبتها حتى إذا ابتعدت عن البيت قليلاً ترتدى الحجاب.

---

[1] بديع الزمان سعيد النورسي: مرشد أخوات الآخرة، ترجمة إحسان قاسم الصــالحي، ســوزلر للنشــر ط٢٠٠٤/٤.

وقصة أخرى لشاب خطب فتاة وكتب الكتاب وقبل أن يدخل بها قال لها: أريد ألا تتزينى إلا فى بيتك أما إذا خرجت من البيت فلابد أن تسترى شعرك، وجسمك، وقبل أن تجيب الفتاة صاحت أمها وأقسمت أن ابنتها لا تضع الغطاء على رأسها إلا بعد أن تبلغ من العمر ستين عاماً.. وهو نفس الكلام الذى قاله المشركون لرسول الله ﷺ: إن كنت تريدنا أن نؤمن بك فاتركنا حتى نبلغ أرذل العمر وعندئذ نؤمن بك، فنزل قوله تعالى ﴿ ومن نعمره ننكسه فى الخلق ﴾ أى من يعش طويلاً يعود إلى عادة الطفولة، يضعف الجسم وتتساقط الأسنان وتضعف العين والظهر ينحنى، يضحك عند رؤية الحلوى، ويحزن إذا منع الحلوى... فمن ينظر إليها إذن بعد ستين عاماً سواء ارتدت الحجاب أم لا؟!!

وقد تقول فتاة أنا أريد إرتداء الحجاب ولكن كل الفتيات من حولى يلبسون هكذا، فكيف أكون أنا وحدى من بين زميلاتى أرتدى الحجاب وأقول لها: هل سيكونون معك عند السؤال أمام الله أم ستكونين وحدك... ثم أين عقلك وشخصيتك إذا كنت تفعلين ما يفعلون، فقد نهى ﷺ المسلم أن يكون هكذا تابعاً لغيره بدون تفكير فى صحة الأمر وخطأه فيقول ﷺ: "لا يكن أحدكم إمَّعة يقول أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا تجنبوا إساءتهم" فالرسول ﷺ يشبهها هنا بالنعجة التى تسير فى قطيع من الأغنام.. وتسير أينما يسيرون. وإذا كان الرسول ﷺ شبه الفتاه التى تقلد غيرها بالنعجة مع العلم بأن الأغنام هى أضل وأغبى أنواع الحيوانات... فكيف تقبلين على نفسك هذا وقد خلقك الله إنسانة وكرمك على كثير ممن خلق... ثم إنه يجب عليك أن تبتعدى عن هذه الفتيات السوء فإن قربهم أعدى من الجرب

واحذر مصاحبة اللئيم فإنه　　يعدى كما يعدى الصحيحَ الأجربُ

فكم من فتاة تحطمت وانتكست، وتبلد حسها، ووهنت مشاعرها بسبب الرفقة السيئة، وكم من فتاة تهدمت حياتها وانسلخت من دينها وأخلاقها وحياتها وأصبحت منبوذة من المجتمع بسبب قرينات السوء، وكم من فتاة نست ربها وعقت والديها وأخذت تنغمس في الملذات والشهوات مع رفقة هم شياطين الإنس، وكم من فتاة تعرت، وأصبح التبرج عندها ديناً وأضاعت الصلاة ولم تعرف للآخرة طريقاً ولا لطاعة ربها ونبيها سبيلاً وكانت كما قال الحق ﴿أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾ بسبب رفقة السوء... وهذه قصة ضحية من ضحايا الرفقة السيئة فتقول هذه الطالبة: لي صديقة دعتني يوماً إلى منزلها وفي غرفتها الخاصة وبعد أن تحادثنا كثيراً عن المدرسة وعن الثياب ثم عن أسماء بعض الروايات الماجنة، رأيت صديقتي قفزت فجأة وأخرجت من بين ثنايا الثياب شريط فيديو، ثم أحكمت باب الغرفة، وسألتني هل شاهدتي فيلماً جنسياً من قبل؟ ذهلت لسؤالها المفاجئ، ثم لم تنتظر مني الإجابة، بل وضعت الشريط وأدارت الجهاز، فاستدرت أنا وأعطيتها ظهري وطلبت منها فتح الباب لأنصرف، قلت لها: هذا ليس من أخلاقي ولا أخلاقك، ما الذي حدث لك؟ فلم تجبني، و قامت فوضعت يدها على كتفي وأدارت وجهي وهي تقول: افتحي عينيك لقطة واحدة فقط، هيا افتحي عينيك أرجوك، وفتحت عيني وليتني لم أفعل، شاهدت أمراً مهولاً رهيباً وشعرت كأن جمراً ملتهباً دخل من رأسي إلى عيني، وشعرت بقبضة في صدري، فصرت لا أنام الليل، وأخذني الهم والحزن والسهر، فهذا المشهد ليس من سلوكي ولا أخلاقي ولا تفكيري... إنها قرينة السوء زينت لي هذا الفعل الدنئ الحقير. أصبح هذا المشهد أمامي في الصلاة، في الفصل، وفي كل مكان، إنني مصابة بمرض نفسي يكاد يقتلني[1].

---

[1] عقبات في طريق الأخوات، لعصام بن محمد الشريف، دار الإيمان، عن قرناء السوء دمروا حياتي-

وشاب يقول كنت طالباً ماهراً، متفوقاً، فاقترب منى بعض أصدقاء السوء ، وأخذونى معهم إلى طرق الهلاك وأخذوا يعرضون على المجلات الخليعة والصور الماجنة والأفلام الجنسية وما كنت أعرف شيئاً عن كل هذا.. وأنا الآن أصبحت أشترى المجلات الخليعة وشرائط الفيديو وأدمن العادة السرية ولا أستطيع التخلص من كل هذا حتى ضعفت صحتى وقل ذكائى ولم أعد أثق بنفسى وضعفت شخصيتى والحزن والقلق يطاردنى فى كل وقت وفى كل مكان... ولم يتوقف الخطر عند هذا الحد، بل لقد اختلطت بالعاهرات والمومسات وانقلبت حياتى إلى جحيم لا أطيق العيش فيه، وأصبحت يائساً من الحياة وخائفاً من الموت... هذا بالرغم من أن عائلتى عائلة طيبة أكثرهم يحفظ كتاب الله...

وعبدالله بن عمر لم يشرب الخمر وهو ابن أمير المؤمنين إلا بسبب الرفقة السيئة... وهل كان على أبى طالب ــ عند الوفاة ــ أضر من قرناء السوء؟ ولذا يقول ﷺ: "مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك ــ أى يعطيك ــ وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً منتنة"[1] وهذا قول الحق: ﴿يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾[2].

وقال أحدهم:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى
إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

- لنوال بنت عبدالله.

[1] رواه أبو داود والترمذى

[2] سورة الفرقان، أيه ٢٨، ٢٩.

وهذا البيت الأخير يقدم لك أختى المسلمة ــ نصيحة غالية وهو يجب أن تصاحبى الفتيات الصالحات ليصلحوا من شأنك ولا تصاحبى الفتيات الرديئات المتبرجات حتى لا تصبحين رديئة مثلهن، واعلمى يا نقية القلب أنهن ملعونات، فإنه ﷺ يقول: "سيكون فى آخر أمتى نساء كاسيات عاريات، على رؤوسهن كأسنمة البخت ــ أى الجمال ــ العنوهن فإنهن ملعونات" (١)....وقد قرن الرسول ﷺ التبرج بالكبائر فقال لامرأة تبايعه، "أبايعك على أن لا تشركى بالله، ولا تسرقى ولا تزنى، ولا تقتلى ولدك، ولا تأتى ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك، ولا تنوحى، ولا تتبرجى تبرج الجاهلية الأولى"(٢). وهذا دليل على تحريم التبرج وعلى أن المتبرجة ملعونة مطرودة من رحمة الله لأن التبرج فيه فتنة للرجال وفساد للأخلاق ومن هنا يكون هلاك الأمم ولذا يحرم على المرأة أن تكشف عن شعرها أو صدرها أو رجلها كما نرى الآن فى الطرقات بل إن الفتاة قد تكشف عن سرتها وثدييها وذراعيها وركبتها...

أختى المسلمة إذا كان النبى ﷺ قد لعن المتشبهات من النساء بالرجال فكيف بالمتشبهات بالحيوان فى إظهار العورة(٣) مع أن الله قد كرمها عن الحيوان بأن خلقها إنساناً وخلق اللباس لبنى آدم لستر عوراتهم، أما الحيوان فلم يخلق له لباسا لستر العورة وهذا فى قوله تعالى ﴿يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾(٤). ومعنى الآية أن الله خلق الملابس للإنسان لستر عورته

---

(1) أخرجه الطبرانى فى المعجم الصغير وصححه الألبانى فى الحجاب.

(2) رواه أحمد فى مسنده.

(3) انظر (عودة الحجاب ١٣٩/٣) بعنوان التبرج حيوانية وتخلف وانحطاط.

(4) الأعراف آية: ٢٦.

وليوارى بها سوأته، وأنزل الريش للتجمل أمام الناس.. ثم يقول ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾ أى فمن اتقى الله وارتدى الملابس التى تستر عورته خشية من الله فذلك خير له فى الدنيا والآخرة، والخطاب هنا للرجل والمرأة على السواء[1]. ولذا لما سئل الإمام مالك رضى الله عنه عن ارتداء النساء للثياب الضيقة فقال: إن كانت لا تشف فإنها تصف أى تلتصق بالجلد... وقال أيضاً: ما يعجبنى ذلك لأن المرأة إذا شدت عليها هذه الثياب ظهر عجزها ــ أى أن يلتصق بجسدها فيبرز مفاتنها وقد يكون شفافاً فيظهر جسدها[2].

وتأكدى أن الحجاب أولاً هو خير لك قبل أن يكون لغيرك وإن لم يكن فى الدنيا فهو خير فى الآخرة.... ويقول د/ حسان حتحوت: "وقد قرأت لطالبة يهوديه فى إحدى جامعات لوس أنجلوس أنها كانت تتعرض للمعاكسات السمجة والتحرش القبيح عند ناصية يجتمع لديها شباب من الأغرار الذين لا أخلاق لهم، تحركت فيها دواعى الحركات النسائية التى تنكر على الرجال ظنهم أنهم خير من النساء وأقوى، واتخذت إجراءاً توسمت أنه يمحو الفوارق بينهما، فحلقت شعرها، ولكن النتيجة لم تتغير، وأخيراً خطر ببالها أن تضع غطاء رأس كالذى ترتديه الطالبات المسلمات، ومرت بنفس المكان، فما حاول أحد أن يتعرض لها ومرت بكل احترام".

وعلق عادل فتحى على هذا فى نصائحه إلى الفتاة فى سن المراهقة فقال: "وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن الحجاب هو رسالة لكل شاب، أن هذه الفتاة التى ترتديه وهى متحشمة مؤدبة ليست من أهل الهوى، إنه رمز العفة، أما التى لا ترتديه فهى على الأقل تدعو الغير إلى أن ينظر إليها، ولسان حالها يقول: ألا ترون هذا الجمال؟!.

---

(1) تفسير بن كثير ٢٤٦/٣
(2) د. صبرى عبد الرؤف الأستاذ بجامعة الأزهر زينة المرأة المسلمة (دراسة فقهية مقارنة)

واعلمى أيتها الفتاة المتبرجة أنك ما دام أن جسدك هان عليك وتركتيه عارياً هكذا فلن يقبله أحد ممن يريد أن يتزوج... فمن هانت عليه نفسه فهو على الناس أهون، أما التى عز عليها جسدها فهى عزيزة عند غيرها...، ثم أتظنين أيتها الفتاة أن الرجال العظماء يرغبون فى الزواج من صاحبة هذا الجسد العارى الذى نالت منه كل الأعين الزائغة؟... فإنه لا يرغب القبيح إلا القبيح:

إذا سقط الذباب على طعام ... رفعت يدى ونفسى تشتهيه
وتجتنب الأسود ورود ماء ... إذا كان الكلاب ولغن فيه
وما ألذ الجيف تحت ألسنة الكلاب

وبالرغم من أن الأنثى هى أجمل شئ فى حياة الرجل... إلا أنها ليست أى أنثى... فليست هى الأنثى التى تضع المساحيق على وجهها وتحلق شعرها وتظهر ثديها وفخذها لكل غاد ورائح وتحتك بالرجال... وإنما الأنثى التى يعشقها الرجال... هى التى تتحلى بكل أخلاق الأنوثة الحيية الرقيقة، الخجولة، المحتشمة الوقور، البعيدة عن الأنظار الجائعة باختلاطها وجسدها العارى ووقاحتها وبجاحتها. فاعلمى أن من أجمل صفات الأنثى هو الحياء، وأقبح امرأة هى المرأة الجريئة فهى امرأة يبغضها الرجال، فكونى وقور خجول... وكل هذا ليس كلاماً من صنعى وإنما هو قول الرسول ﷺ، إذ يقول: "الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة" وقال أيضاً " حبب إلى الطيب والنساء[١] وجعلت قرة عينى فى الصلاة" وقال تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث﴾[٢].

---

[١] حبب إليه (ص) العطف عليهن لضعفهن، وإلا كان تزوج الكثير من الكواعب والأبكار.
[2] آل عمران : ١٤.

وثمة أمر خطير وهو إرتداء البنطلون، فيذكر العلماء أن تشبه المرأة بالرجل فى اللباس والعادات وغيرها يعمل على زيادة هرمونات الذكورة عند المرأة وتصبح طبائعها تشبه طبائع الرجال، فتغدوا كالرجل، ويصبح عندها نوع من النفور من الرجال، وتميل إلى الشذوذ، وهذا ما حدث بالفعل فى بلاد الغرب، وقد حذر كثير من علمائهم من نشوء ما يسمى "بالجنس الثالث" الذى هو المرأة المترجلة فهى ليست بمرأة فى طبائعها وخصائصها النفسية والاجتماعية ولكنها تشبه إلى حد كبير الرجل فى تلك الأمور... فمن من الرجال يقبل الزواج من أمرأة بجسدها وعقلها فقط ولا تقترب من الأنوثة فى طبائعها وأخلاقها؟... ولعل كل هذا هو الذى جعل أحاديث كثيرة تحرم إرتداء المرأة للبنطلون فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: "لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل"[١] وحديث آخر: "ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المتشبهة بالرجال والديوث"[٢] وثالث يقول: "أخرجوا المخنثين من بيوتكم"[٣].

وقد اختلف الفقهاء فى حكم ارتداء البنطلون والتشبه بالرجال فذهب فقهاء الحنفية والمالكية وقول للشافعية والحنابلة إلى حرمة تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء... وذهب الشافعية فى قول وجماعة من الحنابلة إلى كراهة تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال... والرأى الراجح هو القول بحرمة تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال لأن التشبه يؤدى إلى الفتنة ويجعل الإنسان لا يميز بين المرأة والرجل وقد جعل الله سبحانه وتعالى لكل منهما طبيعة خاصة ينفرد بها عن الآخر[٤].

---

(1) رواه أبو داود والنسائى والحاكم وابن ماجه.

(2) رواه أحمد بسند صحيح.

(3) رواه البخارى.

(4) زينة المرأة المسلمة (دراسة فقهية مقارنة) د. صبرى عبد الرؤوف.

ثم أريد أن أقول للفتاة المتبرجة، إذا كنت تظنين أن هذا من الحضارة فهذا خطأ لأن هذا التبرج يرجع بك إلى أيام الجاهلية، أيام كانت المـــرأة لا وظيفة لها إلا متعة الرجال، ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾[1] وأنت بهذا تتدنين بهذا الجمال إلى الحيوانيه فإن الله تعالى خلق الملائكة بعقـل وبـدون شهوة والحيوانات بشهوة والإنسان بعقل وشهوة فإذا كان هم الإنســان هــو الشهوة فقط فقد نزل بنفسه إلى درجة الحيوان.

وإذا كنت تظنين أن هذا التبرج زيادة فى جمالك فقد اخطأت فى فهم المعنى الحقيقى للجمال، فالله سبحانه وتعالى ما خلق فتاة إلا ولها من الجمال نصيب، يراه الرجال ويقنعون به، وكل رجل له فى المرأة التى يريدها أشياء فمن يهمه جمال العيون لا يشغله أن تكون الجبهة عريضـــة، ولا يهمــه أن يكون الأنف ضخماً قبيحاً، والمشغولون بالبشرة السمراء أو البيضاء لا يهمهم غير ذلك، والمريدون للشعر الأصفر، فلا يهمهم إذا كانــت المــرأة قبيحــة وشعرها أصفر أو انها ضعيفة الجسد، وقد يحب الرجل امرأة ويتزوجها لأنه معجب بشفتها السفلى مثلاً، ويؤكد هذا ما قله الإمام الفقيه ابن حــزم "ولقـد شاهدت كثيراً من الناس لا يتهمون فى تمييزهم، ولا يخاف عليهم سقوط فى معرفتهم، ولا اختلال بحسن اختيارهم، ولا تقصير فى حدسهم، وقد وصــفوا أحباباً لهم فى بعض صفاتهم بما ليس بمستحسن عند الناس ولا يرضى فــى الجمال، فصارت هجيراهم (دأبهم) وعرضه لأهوائهم، ومنتهى استحسانهم"[2] فلا تقلقى أيتها الفتاة واعلمى أن جمالك الطبيعى وتدينك هما اللذان سيرزقك الله بهما الشاب الصالح المناسب الذى يسعدك فى حياتك ويعينك على طاعة الله.

---

[1] سورة الأحزاب. ايه ٣٣

[2] طوق الحمامة ص ٤٠، لابن حزم الأندلسى، تحقيق طه عبد الروف سعد ، ط١ دار الحرم ٢٠٠٢.

فلا تنظرى إلى تلك الفتاة التى تبرجت ووضعت المساحيق على وجهها ورسمت عينيها وُشفتيها... كل هذا من أجل الرجل... من أجل أن ينظر إليها نظرة حرام ويعجب بها... ويحمل كل منهما وزراً على تلك النظرة.. ولتعلم تلك الفتاة أن جمال الوجه هناك من هو أجمل منها فيه، وأن جمال العيون واتساعها فإن عيون البقرة أكثر إتساعاً، وعذوبة الصوت فإن صوت الطيور أعذب منه، ورشاقة الحركة فإن مشية الغزلان أحسن خفة ووثبة النمور أشد رشاقة، وأن تناسق الأعضاء فى الجسد فإن أجساد الخيل أكثر تناسقاً وانسياباً ونعومة.

وكل هذا لا يحتاجه الرجل إلا لشئ واحد وهو إشباع غرائزه وفض شهوته والتمتع بهذا الجمال وهذا الجسد متعة جنسية، أى إنك تتزينين وتظهرين جمالك للرجال وتغضبين ربك وأنت تعلمين أن الرجل لا يحتاج هذا كله إلا لوضع أحقر شهوة فى الحياة الدنيا... والحق أن المرأة — أى امرأة — تحب أن تكون جذابة ملفتة لأنظار الرجال[١]، مما يدفعها إلى وضع الزينة على وجهها ومحاولة إظهار مواضع الفتنة فى جسدها والتى لم يعتاد الرجل على رؤيتها فى الحالة العامة سواء كان ذلك بارتداء الملابس الضيقة أو القصيرة أو المشقوقة... ويدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد عن النبى ﷺ أنه ذكر نسوة ثلاثة من بنى إسرائيل، امرأتان طويلتان تعرفان وامرأة قصيرة لا تعرف، فاتخذت رجلين من خشب وصاغت خاتماً فحشته من أطيب المسك، وجعلت له غلقاً، فإذا مرت بالملأ أو بالمجلس قالت به ففتحته ففاح ريحه وبذلك يلتفت الرجال إليها وهكذا تحايلت المرأة لتلفت نظر الرجال إليها.

---

(١) المعنى فى (دراسات فى الصحة النفسية) أ.د. عادل عبدالله ص٩٦.

ولا مانع أن تكون المرأة جميلة، فتتزينين لزوجها كما أن الرجل يتزين لزوجته ولكن الأصل فى الجمال ليس جمال الوجه والجسد فقط، وإنما جمال الفتاة يكون على ثلاثة مراتب وهى:

المرتبة الأولى: وهى أعلى الدرجات وأسماها والتى تبلغ عندها المرأة أقصى درجات الجمال أن تكون المرأة حسناء ذات دين وخلق وفكر وثقافة، أى عندما يجتمع فيها حسن المنظر ورجاحة العقل وجمال الروح، وحسن الدين.

المرتبة الثانية: أن تكون المرأة ذات دين، وخلق، وفكر وثقافة، ولاحظ لها من جمال الصورة.

المرتبة الثالثة: أن تكون المرأة ذات دين وخلق ولاحظ لها من العقل والصورة.

فاختارى لنفسك من أى فريق تريدين، مع الوضع فى الإعتبار أن الرجل عندما يبحث عن المرأة التى ستكون زوجة له فإنما يبحث أولاً عن الدين ثم العقل والجمال لا غير ذلك.

غض البصر وسعادة الشباب

واعلم أيها الشاب وأيتها الفتاة أن غض البصر من أعلى وأرفع الأشياء التى تسعد الإنسان وأنها إذا أطلقت باتباع الهوى أفسدت عليه حياته وأتعسته.

واعلمى أيتها الفتاة أن غض البصر ليس للشباب فقط، وإنما هو للجنسين على السواء، فقد يظن البعض أن الشاب يتأثر بالنظرة والفتاة لا تتأثر ولكن الشباب وإن كانوا أكثر تأثراً فإن الفتاة، إذا تأثرت بالنظرة فى الرجل فإن هذا خطراً كبيراً عليها، لأن ذلك قد يفسد عقلها وخلقها وحياءها، وصحتها بل قد يؤدى إلى ما هو أخطر عليها وعلى عائلتها.

فإن المرأة إذا أدامت النظر إلى الرجل وإلى ذراعيه المفتولتين وإلى صدره المرتفع وإلى صوته الخشن وإلى مواضع عورته فإن ذلك قد يسبب لها شقاء لا تبرأ منه طيلة حياتها بل ويلاحقها بعد مماتها، وقد أمر الله سبحانه وتعالى المرأة بغض بصرها فقال: "وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن"[١]. فهو سبحانه وتعالى لم يأمر الرجال فقط. بل أستوى فى ذلك الرجل والمرأة على السواء، وقد روى أن أم سلمة كانت عند رسول الله هى وميمونة فدخل عبد الله بن أم مكتوم وهو رجل أعمى فقال النبى ﷺ: "احتجبا منه" فقالتا: يا رسول الله أليس أعمى ولا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال ﷺ: "أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه" وهذا دليل على أن نظر المرأة إلى الرجل مثله مثل نظرة الرجل إلى المرأة تماماً، وقد قالت السيدة

---

[١] سورة النور، آيه ٣١.

فاطمة ما يدل على ذلك عندما سألها رسول الله ﷺ: "يا فاطمة أى شئ خير للمرأة؟ فقالت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل.

وكما أن الله سبحانه وتعالى أمر المرأة أن تستر عورتها وجسدها عن الرجل حتى لا تفتنه فقد أمر الرجل أيضاً بذلك فى قوله تعالى: "قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم"[١] فقال بعض المفسرين معنى قوله تعالى "ويحفظوا فروجهم" أى يحفظوه من الزنا. وأضاف آخرون معناه أن يحفظوا فروجهم عن أنظار الرجال والنساء. كأن يمشى فى الشارع يرتدى لباساً ضيقاً يوضح معالم عورته، فهذا يؤذى المرأة إذا نظرت إليه ويفتنها، مما يسبب لها عواقب وخيمة ــ سيئة ــ قد تشقيها ومن حولها.

ورؤية المرأة للرجال فى الحالة العامة أمر جائز لا شئ فيه، وقد ثبت فى الصحيحين رؤية السيدة عائشه رضى الله عنها للحبشة وهم يلعبون بالحراب فى المسجد يوم العيد، لكن الشارع الحكيم حظر على المرأة أن تنظر إلى الرجل نظرة شهوة، لأن النظرة الحرام مقدمة من مقدمات الزنا فشرع تحريمها سداً للذريعة... وللأسف تجد من يتغنى بصاحبة العيون الجريئة، ولا يدرى أن العيون الجريئة عيون وقحة لأنها فقدت أعز خصائص الأنوثة وهو الحياء.[٢].

ولما كان غض البصر من صفات الحور العين، حيث وصفها الحق سبحانه وتعالى بقوله: ﴿قاصرات الطرف﴾ أى لا يمتد أبصارهن إلى غير أزواجهن، ومعلوم أن الحور العين هى أثمن ما فى الجنة وأعز وأغلى شئ

(1) سورة النور، آيه ٣٠.

(2) انظر ٣٥ نصيحة للفتاة فى سن المراهقة.. عادل فتحى عبد الله، دار الإيمان ٩٩.

فيها فلا تفاس بالفواكه ولا بالشراب ولا بأى شئ فى الجنة، ومن هنا كانت المرأة التى تغض طرفها قد أخذت صفة من صفات الحور العين.. صفة من صفات أعز ما فى الجنة، ولذا فإن المرأة الحيية التى تغض بصرها ولا تقلب بصرها فى عيون الرجال.. هذه المرأة هى المرأة التى تنال إعجاب كل الرجال وتقديرهم واحترامهم، وهى عندهم عزيزة غالية، وعند الزواج فهى أول من يفكر فيها الرجل ويتمنى أن تكون هى زوجته.

وعلى أية حال فإن فتنة الرجل للمرأة أقل بكثير من فتنة المرأة للرجل وقد نبه رسول الله ﷺ إلى هذا فقال: "ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء"[١] فكل الفتن التى تحيط بالرجل فى حياته أهون بكثير من فتنة المرأة. لذلك فإن الله سبحانه وتعالى أول ما ذكر من الشهوات ذكر النساء وذلك فى قوله تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾[٢]. وقال ﷺ أيضاً: "إن الدنيا حلوه خضره وإن الله مستخلفكم فيها فينظر ماذا تفعلون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء".[٣]

وقد بينا فيما سبق كيف أن التبرج يكون له أثر بالغ على الشباب وعلى الفتيات وكيف أن ذلك يسبب لكلا الطرفين تعاسة وشقاءً بالغاً. ولذا

---

(1) البخارى ومسلم.

(2) سورة آل عمران، آيه ١٤.

(3) رواه مسلم.

فإن عدم رؤية كل منهما الآخر كان أفضل كثيراً فهو سبحانه وتعالى يقول: ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾[١].

ولذا أقول للشاب الذى أراد أن يبتعد عن هذا الشقاء: يجب ألا تنظر إلى النساء المتبرجات اللاتى لا يستمعن إلى نصح ولا يفهمن كلام فإن النظرة سهم مسموم من سهام إبليس يستحوذ به على قلب العبد ويدفعه إلى المعصية فقد قرن الله سبحانه وتعالى بين حفظ الفرج وغض البصر فقال ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾[٢] وقال: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾[٣] لأن النظرة هى أول طريق الزنا. وجعل الأمر بغض البصر مقدماً على حفظ الفرج لما بينهما من علاقة كعلاقة المقدمة بالنتيجة.

ولذلك يقول القائل:

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة بلغت من قلب صاحبها كمبلغ السهم بين القوس والوتر
والعبد ما دام ذا عين يقلبها فى أعين الغيد موقوف على الخطر[٤]
يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

ويقول آخر لمن ينظر إلى المرأة:

رأيت الذى لا على كله أنت قادر ولا عن بعضه أنت صابر

---

[1] سورة الأحزاب، آيه ٥٣.
[2] سورة النور، آيه ٣٠
[3] سورة النور: آية ٣١.
[4] الغيد: جمع غيداء وهى المرأة الجميلة.

فهو لا يصبر على هذا الجمال وهذا الجسد ومع ذلك لا يقدر على الاستمتاع بها، ولذا فهو يشعر بحقارة نفسه وعجزه وضعفه، فإذا غض بصره شعر بقوة وعزة فى نفسه وراحة وطمأنينة وسكينة، ولكن الأسف الشديد على الشاب الذى ينظر إلى النساء السافرات فى ذهابه وفى إيابه فهو كما يقول الشاعر:

كعصفورة فى يد طفل يحوطها حياض الردى والطفل يلهو ويلعب

فهى تظهر جسدها لذلك الشاب ولا تدرى بما يعانيه من شقاء، وعذاب ضمير وإحساس بحقارة نفسه... فهى مثل الطفل الذى يلعب بالعصفورة ولا يشعر بالآلام التى تعانيها تلك العصفورة.

ويجب على الشاب الذى سيطر الشيطان على قلبه، والشهوة على عقله أن يضع فى اعتباره عدة أشياء:

الأول: أن الله سبحانه وتعالى يراقبه ويراه فإن يسترق النظرات على أجساد العاريات ويخشى أن يراه الناس فلابد أن يعلم أن خالق الناس مطلع عليه ويراه وهو القائل: "يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور". وقال تعالى أيضاً: ﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً﴾[1].

الثانى: أن النظرة تورث الإنسان ذلاً وإنكساراً وتجعله يشعر بحقارة نفسه وهوانها، كما تورث القلب حزناً وغماً لا يعرف لها سبباً.

الثالث: أن الرجل إذا تحكم فى شهوته أرتفعت منزلته إلى منزلة الملائكة وإذا تحكمت شهوته فيه كان أضل من الحيوان، فقد ذكر الفخر الرازى فى

---

[1] سورة النساء، آيه ١٠٨

(مفاتيح الغيب) فى تفسير قوله تعالى: "فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج" فقال أنه قد ثبت فى العلوم العقلية أن الإنسان فيه قوى أربع: قوة شهوانية بهيمية، وقوة غضبية سبعية، وقوة وهمية شيطانيه، وقوة عقلية ملكية... فقوله "فلا رفث" إشارة إلى قهر القوة الشهوانية. وقوله ولا فسوق إشارة إلى قهر القوة الغضبية التى توجب التمرد والغضب، وقوله: "ولا جدال" إشارة إلى قهر القوة الوهمية التى تحمل الإنسان على الجدال فى ذات الله وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه وهى الباعثة للإنسان على منازعة الناس ومجاراتهم والمخاصمة معهم فى كل شئ، فلما كان منشأ الشر محصوراً فى هذه الأمور الثلاثة لا جرم قال: "فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج" فمن قصد معرفة الله ومحبته والإطلاع على نور جلاله والإنخراط فى سلك الخواص من عباده فلا يكون فى هذه الأمور، أى أن القوة الشهوانية (الحيوانية) أحد ثلاثة قوى هى أساس الشر والجرائم فى هذا الوجود.

الرابع: أن يعلم جيداً أنه إذا ترك النظرة لوجه الله أبدله الله حلاوة فى قلبه إلى يوم يلقاه، وأسعده فى دنياه وأخراه. وأما إذا لم يغض بصره عما حرم الله أورثه الله ذلا فى دنياه وعذبه فى أخراه.

وكم ذى معاص نال منهن لذة ... ومات فخلاها وذاق الدواهيا
تصرم لذات المعاصى وتنقضى ... وتبقى تباعات المعاصى كما هيا
فواسو أنا والله راء وسامع ... لعبد بعين الله يغشى المعاصيا

الخامس: أن يعلم كل إنسان نبيلُ عفيفُ نزيهُ عزيز فى نفسه أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الشهوة الجنسية إلا لأغراض نزيهة فلابد أن يستخدمها إستخداماً نزيهاً وأن ينقيها من الحقارات والدنايا وأما الأسباب التى خلق الله من أجلها هذه الشهوة فقد ذكرها الإمام الغزالى فى (إحياء علوم الدين وهى):

أولها: أن يدرك الإنسان لذته فيقيس به لذات الآخرة، فإن لذات الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد، كما أن النار وآلامها أعظم آلام الجسد، والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركه، فإن مالا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق.

ثانيها: بقاء النسل ودوام الوجود، لأن الله سبحانه وتعالى لما أراد دوام النسل وهذا النسل لا يدوم إلا عن طريق التكاثر، فكان لابد أن يكون التكاثر شيئاً محبوباً حتى يدوم النسل، فكان لابد أن يضمه إلى الشهوات ويجعل فيه لذة، فكما أن الإنسان لابد له أن يأكل حتى يعيش لعبادة الله فكان لابد من وجود شهوة الطعام، حتى لا يترك الناس الطعام فيموتون، كذلك شهوة الفرج هكذا لدوام النسل حتى لا يترك الناس النكاح والتكاثر.

واعلم أن أعظم الشهوات هى شهوة النساء، لذا فإن الله قدمها على بقية الشهوات فقال: "زين للناس حب الشهوات" فبدأ بها أولاً ثم أكمل بقية الشهوات فإن لم تضبط وتقهر وترد إلى حد الإعتدال كان فيها من الآفات ما يهلك الدنيا والدين ويجلب التعاسة والشقاء فى الدارين.

وقد قيل فى تأويل قوله تعالى: "ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به" معناه شدة الغلمة، عن ابن عباس فى قوله تعالى: "ومن شر غاسق إذا وقب" قال: قيام الذكر. وقد قيل: إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله[١]. ويقول الإمام أبو حنيفة: "يضيع العلم بين أفخاذ النساء".

---

[١] للغزالى: إحياء علوم الدين: ، ١٤٣/٣ ، بتحقيق الشحات الطحان، عبدالله المنشاوى، ط. أولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م. مكتبة الإيمان بالمنصورة.

وعلى أية حال فإن العاقل لابد أن يعلم جيداً أن الله أعزنا بالإسلام والعقل، فلا يجب أن نذل أنفسنا بالشهوات ونصبح عبيداً لها.

وقد قيل فى ذلك:

صاحب الشهوة عبد فإذا غلب الشهوة أصبح ملكاً

فمثله كمثل الذباب الذى قال من الذى يوصلنى إلى العسل وله درهمان فلما سقط فى العسل قال من يخرجنى من العسل وله أربعة دراهم.

فالله سبحانه وتعالى ارتقى بالإنسان روحياً وعقلياً واجتماعياً، فبعد أن كان مسخراً لعوامل الطبيعة تتقاذفه كما تهوى نبه إلى أنها مسخرة لخدمته ومنفعته ودعاه لأن يعمل فيها عقله، وبعد أن كانت الشهوة محركاً كبيراً وقوياً للإنسان جعلها بعد الإسلام فى خدمته وطوع إرادته، فكلما وجد فيها ما يمتعه ويرضى ربه أستخدمها وإلا فلا.

__السادس:__ إن النظرة إن لم تقود إلى الزنا فإلى العادة السرية وهى لها أضرار كثيرة منها:

(أ) الجسدية: ضعف البصر، ضعف عضو التناسل، آلام الظهر، رعشة الأطراف والأعصاب، تصيب الرئتين بالالتهاب الرئوى الذى يؤدى غالباً إلى الإصابة بالسل الرئوى يجعل المنى رقيقاً بعد أن كان ثخيناً وهذا يؤدى إلى إنجاب أطفال ضعاف، ضعف الذكاء، ضعف الجسد ووهنه فقد ذهبوا بتحليل المادة المنوية فى معامل التحليل وجدوا هذا الماء يتكون من عنصرين: فيتامين (أ) وعنصر الفسفور. فيتامين (أ) هو الذى يقى قرنية العين من الجفاف، والفسفور يدخل فى تكوين العظام ومد المخ بالغذاء اللازم له، فإذا نزل هذا الماء فإن الساقين ستصيران فارغتين من المخ فلا يستطيع الشاب أن يمشى طويلاً، وكذلك يصبح

العينان خاليتين من فيتامينات (أ) فتجـف القرنيـة فتصـاب العـين بالضعف فتعجز عن رؤية الأشياء...ولذا فإن الرسول ﷺ كان إذا عـاد من السفر مع أصحابه بعد الغياب عن الزوجات يقول لأصـحابه: "إذا عدتم إلى بيوتكم فالكيس الكيس (يعنى استعملوا العقـل) فـى غشـيان النساء" لا تسرفوا فى الجماع "فإن المنى مخ ساقيك ونور عينيك"... إنها نصيحة غالية من ناصح أمين...، وغير ذلك الكثير من الأضرار. فقـد يضعف انتصاب الذكر بعد الزواج مما يضايق المرأة ويجعلهـا تكـره الرجل وهو ما يسمى (بالعنة) وهو عدم القدرة على الجماع، وقد يسبب سرعة الإنزال مما يجعلها تمل منه فتنشأ المشاكل التى تؤدى حتماً إلى الطلاق. .

(ب) النفسية: الصراع النفسى الناتج عن الإحساس بالذنب، القلق العصـبى، عدم الثقة بالنفس والرغبة فى العزلة والانطـواء والـذهول والنسـيان والكسل و ضعف الإرادة، كما أنها تصير إدماناً كـالخمر والحشـيش والأفيون كما يضعف من المتعة بعد الزواج لأن ضغط اليد أقوى مـن ضغط الفرج على الذكر ولذلك تجد بعض المتـزوجين الـذين كـانوا ينكحون أيديهم قبل الزواج ينكحون أيديهم أيضاً بعد الزواج، وذلك لأن ضغط فرج زوجته لا يكفى لمتعته لتعوده على ضغط يده الشديد.

(جـ) الدينية:

فكم ضاعت بسبب هذه العادة من صـلوات، لصـعوبة الاغتسـال والتكاسل عنه خصوصاً أيام البرد، وكم فسد من أيام صوم مـن رمضـان بسبب مزاولة هذه العادة[١].

---

[١] وذكرها محمد المنجد فى (العادة السيئة)

أما عن حكم العادة السرية فإنها حرام شرعاً لقوله تعالى:
﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾[1] فقد حدد الموضعان اللذان توضع فيهما الشهوة وهو الزوجة أو ملك اليمين، فمن طلب موضعاً غيرهما فقد أعتدى على حدود الله. وقد استدل الإمام الشافعي ومن وافقه على تحريم الاستمناء بهذه الآية، واستأنسوا بحديث أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: "سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العالمين ويدخلهم النار فى أول الداخلين إلا أن يتوبوا ومن تاب تاب الله عليه: الناكح يده، والفاعل والمفعول به، ومدمن الخمر، والضارب والديه حتى يستغيثا، والمؤذى جيرانه حتى يلعنوه، والناكح حليلة جاره"[2] أى زوجة جاره.

وقد استدل بعض المالكية على تحريم الاستمناء بقول النبى ﷺ:
"يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء"... فأمر النبى ﷺ من لم يقدر على مؤن الزواج بالصيام لكسر ثورة الشهوة ولم يأمر بشئ آخر؛ فلو كان الاستمناء مباحاً لأرشد إليه النبى ﷺ ؛ فهو أيسر للشباب وأسهل عليهم من شدة الصوم، ولكنه لم يرشد إلى غير الصوم لعدم جواز سواه.

أما ما ذهب إليه بعض الحنفية وبعض الحنابلة من إباحة الاستمناء فهو مردود بما صح عن النبى ﷺ من أنه لعن ناكح يده، ولما للاستمناء من أضرار جسدية ونفسية ودينية وعقلية تحدثنا عنها...

---

(1) سورة المؤمنون: آيه ٥-٧

(2) رواه الحسن بن عرفة بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه.

ويقاس على الصوم أيضا التداوى بالأدوية التى تقلل الشهوة وتسكن ثورتها، ويحرم من ذلك الأدوية المانعة للشهوة؛ لأن منعها حرام ويتنافى مع الفطرة[١].

وتأتى الحرمة أيضاً من قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾، وبما أن الاستمناء يلقى بصاحبه إلى الهلاك صحياً ونفسياً وعقلياً ودينيــاً... إذن فهو حرام... ودليل آخر على حرمة الاستمناء، وهو قول الرســول ﷺ: "لا ضرر ولا ضرار".

وكذا يجب على الإنسان العاقل أن يكون سيداً لشهوته ومحركاً لهــا، ولا يكون عبداً لها ومتحركاً بأمرها. ويجب أن يبتعد عن كــل مــا يثيرهــا وينعشها مثل:

١- النظر إلى المرأة، والكلام الجميل الرقيق الصادر منها وهو أســاس العلاج لأن المسألة فى أولها، فالوقاية خير من العلاج لأن النظــرة هى التى تزرع فى القلب الشهوة... فنظر الرجل إلى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام إبليس والسهم المسموم إذا دخل ينتشر السم فى الجسد كله.
٢- سماع صوت المرأة فى الأغانى الخليعة التى فيها ميوعــة وإثــارة للشهوة ومشاهدة الأفلام التى تثير الغرائز وتحرك الشهوة. .
٣- عدم الاختلاط والإحتكاك بالنساء فى الأماكن المزدحمــة، فإنــه ﷺ يقول: "ولأن يزحم رجل خنزيراً متلطخاً بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبيه منكب أمرأة لا تحل له".

---

[١] رياض المتقين فى شرح جملة من حديث الصحيحين صـــ٢٨٥، إعداد دكتور إبراهيم محمد القبلاوى (بجامعة الأزهر) – طبعة مكتبة الأزهر الحديثة بطنطا سنة ١٩٩٨م.

٤- عدم أكل ما يقوى الشهوة ــ وما مثال ذلك إلا كمن أبتلــى بســباع ضارية فتنام عنه فيثيرها ويهيجها.

٥- عدم الخلوة بالمرأة الأجنبية فقد قيل أن موسى عليه الســلام ســأل إبليس: ما الذى إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه، فقال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، ونسى ذنوبه، وأحذر ثلاثاً: لا تخل بــأمرأة لا تحل لك، فإنه ما خلا رجل بأمرأة لا تحل له إلا كنت صــاحبه دون أصحابى حتى أفتنه بها وأفتنها به، ولا تعاهد الله عهداً إلا وفيت به، ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها، فإنه ما أخرج رجــل صــدقة فلــم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين الوفاء بها.

وقال بعضهم: إن الشيطان يقول للمرأة: أنت نصف جنــدى، وأنــت سهمى الذى أرمى به فلا أخطئ، وأنت موضع سرى، وأنت رسول حاجتى، فنصف جنده فى الشهوة، ونصف جنده فى الغضب(١).

وقال الخوارزمى فى المرأة:

وكنت أمرأة من جند إبليس فارتقى بى الدهر حتى صار إبليس من جندى

٧- كثرة الصيام لتضيق مجارى الشيطان.

٨- الرياضات الروحية كقراءة القرآن وكثرة ذكر الله والاستغفار والمحافظة على الصلوات فى وقتها ومراقبة الله سبحانه وتعالى والتذكر دائماً أن الله يراك وأنت تنظر إلى المرأة إذا لم يكن الناس يرونك وهو يراك أيضــاً وأنت تفعل هذه العادة.. والرياضة البدنية التى تحول الطاقة الجنسية إلى طاقة نافعة.

٩- وأقصر طرق العلاج هو الزواج لقوله ﷺ : "يا معشــر الشــباب مــن أستطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لــم

---

(١) الغزالى: الإحياء ١٤٤/٣.

يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء" أى وقاية....ويمكن للشـــاب الـــذى يدمن هذه العادة فى الفترة التى قبل الزواج أن يتناول بعض العلاجـــات التى توجد فى الصيدليات لكسر حدة الشهوة[١] مثل زيـــت الخـــروع أو غيره... علماً بأن هذه الأشياء لا تؤخذ إلا بإرشاد الطبيب حتى لا تؤدى إلى أضرار أخرى.

(1) حافظ علي شعيشع: تحفة العروس وبهجة النفوس، مكتبـــة الإيمـــان بالمنصـــورة، ط١/١٤٢٤هـــــ - ٢٠٠٣م.

السعادة بين الإسلام والعولمة

إن الدين الإسلامى العظيم ما جاء إلا لسعادة البشرية، فقد ضمن لكل من عاش فى ظلاله حقوقه سواء كانوا مسلمين، أوغير مسلمين... إنه دين عادل يأبى الظلم ويرفض إلا أن يعدل بين الناس رجالاً ونساءً، مسلمين وغير مسلمين فقال تعالى: "وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل"، ولم يقل إذا حكمتم بين المسلمين ولو وقفنا على سبب نزول الآيه من أولها: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾.[١] فقد نزلت في رجل مشرك، وهذا إن دل فإنما يدل على أن الدين الإسلامى دين عدل ورخاء وأنه ما جاء إلا لسعادة الإنسانية جمعاء.

وما أدل على عدل الإسلام من مواقف رسول الله ﷺ الذى أمر أصحابه فى الحروب بألا يقطعوا شجراً ولا يقتلوا طفلاً صغيراً ولا امرأة ولا شيخاً، وألا يهدموا الكنائس والمقدسات... ويضرب لنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وصلاح الدين الأيوبى أروع الأمثال فى عدل الإسلام وذلك عندما فتحوا بيت المقدس... ورأينا أيضاً فى قصة عمرو بن العاص فاتح مصر كيف أن معاملة المسلمين الحسنة مع أصحاب الأديان الأخرى ساعد المسلمين فى فتح مصر وهذا يؤكد أن تعاليم الإسلام السمحة هى التى فتحت البلاد للإسلام لا السيف.

---

[١] سورة النساء ، آيه ٥٨

كما أن الإسلام أعطى للمرأة حقوقها كاملة وساوى بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات فقال تعالى: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً﴾ [١]... وإن كان قد أعطاها نصف ميراث الرجل فهذا لأنها غير مكلفة بالإنفاق على أولادها وإنما ينفق زوجها عليها وعلى أولادها، حتى ولو كانت غنية.

كما أنه لم يرفض خروج المرأة للعمل إذا دعت الحاجة إلى ذلك... ولكنه فضل أن تكون في بيتها لاحتياج بيتها وأولادها إليها، فهي واسطة العقد الذي يضم شمل الأسرة... فلو انفرط واسطة العقد لانفرط باقي العقد وتشتت شمل الأسرة، مما قد يؤدي إلى تفككها وتحطمها.

كما أنه وضع معاييراً لخروج المرأة للعمل، كلها لصالح المرأة من الدرجة الأولى ولصالح المجتمع كله، فحرم التبرج والخلوة والإختلاط، لأن هذا قد يكون له أثر سلبي على المجتمع كله... وأول ما يتأثر بهذه الآثار السلبية إنما هي المرأة... بل أن أكبر الخسائر قد تصيب المرأة أولاً.

كما حررها من العبودية الشهوانية التي كانت عليها في الجاهلية، فقد كانت المرأة لا قيمة لها في المجتمع الجاهلي، فلم تكن إلا لمجرد متعة الرجل وإشباع رغباته الجنسية، وكانت تدخل في ملكية أبيها قبل الزواج، ثم في ملكية زوجها بعد الزواج، يتحكم فيها كيف يشاء، وليس لها حق الإعتراض.... فأمر الإسلام بحسن معاملتها فقال تعالى:

---

[١] سورة النساء، آيه ٧.

﴿وعاشروهن بالمعروف﴾[١]. وكان إنجاب البنات يعد عاراً عندهم، فإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، وكانوا يئدون البنات خشية العار.... ثم جاء الإسلام ليعدل فى حقها ويحررها من كل هذا ويخرج بها على ظهر الحياة، فاهتم بها وأعطاها حقوقها وذكر ذلك كله فى القرآن، بل إن الله سبحانه وتعالى خص سورة تتحدث فى حقوق النساء وتسمى باسمهم وهى سورة (النساء)، فليس هناك ما يسمى بسورة (الرجال). ثم تجد رب العزة سبحانه وتعالى يقسّم أرزاق الناس من حيث الأولاد إلى أربعة أقسام فقال: ﴿يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً﴾[٢]. فبدأ بالإناث للتكريم، وجعلها نكرة للتعظيم.. وهذا رسول الله ﷺ يوم رزق بفاطمة وكانت رابعة البنات قيل له إنها أنثى يا رسول الله فقال ﷺ: "هى ريحانة أشمها"، وما أعظم أن تجده ﷺ فى مرضه الأخير وفى آخر خطبة فى حياته (خطبة الوداع) لم ينس النساء، فقال: "واستوصوا بالنساء خيراً" فهو ﷺ لم ينس النساء حتى وهو فى مرض الموت، أبعد هذا التكريم تكريم يا من تقولون إن الإسلام ظلم المرأة ولم يعطها حقوقها؟.

كل هذا إن دل فإنما يدل على عدل الإسلام، وأنه دين حضارة ورخاء، وأنه دين سلام وحب، وأنه دين سعادة، فما سار قوم على القواعد التى وضعها الإسلام فى المعاملات وغيرها إلا سعدوا.

---

[١] سورة النساء، آيه ١٩.

[2] سورة الشورى، آيه ٤٩ – ٥٠، انظر ما قيل فيها فى الجامع لأحكام القرآن ١٦/٣٢ للقرطبى..

أما ما نراه الآن من شعارات تنادى بتحرير المرأة وإعطائها حقوقها وخروجها للعمل وخلع الحجاب ومخالطة الرجال فهذا كله ليس إلا دعوة إلى ظلم المرأة، وإعادتها إلى عصر الجاهلية الأولى. وقد أثبتت التجارب فشل هذه النداءات فى كل بلاد العالم. وتقول المستشرقة (فرانسواز ساجان): أيتها المرأة الشرقية إن الذين ينادون باسمك ويدعون إلى مساواتك بالرجل إنهم يضحكون عليك كما ضحكوا علينا من قبلك.

وما نراه من دعوى الإختلاط بين الجنسين بحجة التهذيب والتصريف باللقاء والحديث... فكل هذا لا أساس له من الصحة وليسألوا تلميذات المدارس الثانوية الأمريكية، فقد بلغت نسبة الحبالى فى إحدى المدن منهن ٤٨% فى عام من الأعوام.

وقد نشرت إحدى الصحف الأمريكية أنه ثبت أن عشرين ألف فتاة حملن من الزنا فى إحدى الجامعات فى سنة واحدة. وأن أمريكا تستقبل مليون طفل من الزنا سنوياً... وفى إحصائيات التلفزيون الفرنسى بلغ عدد العاذبات من النساء ثمانية ملايين امرأة... وبلغت حالات اغتصاب الفتيات ٢٢ ألف حالة سنوياً.

ويقول كاتب أمريكى: إحصائيات ٧٩ للميلاد يدق ناقوس الخطر، وعدد اللاتى يلدن سنوياً دون زواج فى سن المراهقة ثمانين ألف فتاة منهن عشرة آلاف دون سن الرابعة عشرة... كل هذا سببه الإختلاط بين الجنسين والحرية المطلقة، وإسراف المرأة فى الزينة والتبرج وإظهار معظم جسدها.

وفى بريطانيا عشرون ألف حالة إجهاض سنوياً بالإضافة إلى الأمراض المنتشرة كالإيدز والسيلان والهربز وغيرها وقد نص رسول الله ﷺ على ذلك منذ ألف وأربعمائة سنة فقال: "وما ظهرت الفاحشة فى قوم حتى أعلنوا بها إلا ظهرت فيهم الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم"(١).

فكيف يرد دعاة الإختلاط على كل هذا .. أليس هذا كله سببه الإختلاط؟.. وهم يزعمون أن المباعدة بين الجنسين تؤدى إلى الكبت الجنسى وإشعال الرغبة فيهما، أما التقريب بينهما يؤدى إلى تهذيب الشهوة.. وهذا كلام لا أقول فيه شيئاً ولكن الواقع يكذب هذا كله والتجارب تثبت عكس هذا .. فكل حوادث الإغتصاب والزواج العرفى وغيرها من الرزائل كان حصاداً للإختلاط بين الجنسين، لأن الإختلاط يزيد من حدة الشهوة والكبت الجنسى فيضطر كلا الجنسين إلى تفريغها بأى طريقة كانت...

ويقول الأستاذ فتحى يكن: لابد من الإعتراف بأن الغرائز ـ كل الغرائز ـ عرضة للإنطلاق والانكماش والمد والجزر تبعاً للمثيرات أو المهدئات.. فالذى يجلس على مائدة تزدحم بأنواع التوابل يكون إقباله على الطعام أشد ممن حرم منها، وهذا من شأنه بدون شك أن يعمل يوماً بعد يوم على مضاعفة حاجته الغذائية تبعاً لامتداد أمعائه... والذين يعيشون فى أحضان المغريات والمفاتن يكونون عرضة للإرهاق والكبت الجنسى أكثر من غيرهم، لأن توابل الشهوة ومقبلاتها ستثير غرائزهم الجنسية وتدفعهم لتصريفها بمختلف الوسائل والطرق، دونما تفكير أو تقدير.. وهنا تدق إشارة الخطر...

---

(١) صحيح الجامع

وعلى أية حال فإنه من العيب علينا ــ نحن المسلمين ــ أن نقلد هؤلاء تقليداً أعمى دون النظر إلى العواقب الوخيمة، والرجوع إلى قرآننا العظيم والنظر فيه لنعرف ما إذا كان هذا يوافق تعاليم ديننا الحنيف أم لا ... فإن ديننا هو أساس السعادة إذا تمسكنا به... أما هؤلاء فقد فشلوا فى إسعاد حتى أنفسهم حتى عادوا يعترفون بأن الدين الإسلامى هو دين السعادة والفلاح، فهذه كاتبة أمريكية تسمى (هيلسيان سنانبرى) تقول: إن المجتمع العربى كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التى تقيد الفتاة والشباب فى حدود المعقول وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبى والأمريكى، فعندكم تقاليد موروثة، تُحتِّم احترام الأب والأم، وتُحتِّم عدم الإباحية الغربية، التى تهدد المجتمع والأسرة فى أوروبا وأمريكا، فالفتاة فى أوربا وأمريكا تلعب وتلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها، تتحداهم باسم الحرية والإختلاط وتتحداهم باسم الإباحية والإنطلاق... لذا ننصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم وامنعوا الإختلاط، وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فقد أصبح المجتمع الأمريكى مجتمعاً معقداً مليئاً بكل صور الإباحية والخلاعة... إن ضحايا الإختلاط والحرية قبل سن العشرين تملأ السجون والأرصفة[١].

وتقول الدكتورة السويدية همر: إن مأساة المرأة السويدية هى الحرية التى نالتها وأوصلتها إلى درجة خطيرة ورهيبة... فإن ٢٥% من السويدين مصابون بالأمراض النفسية والعصبية و ٤٠% من الدخل السويدى ينفق على معالجة هذه الأمراض، وذلك بسبب الحرية التى نالتها المرأة فى السويد بالشكل الذى تمارسه.

---

(١) جريدة الأهرام المصرية ١٩٦٢/٦/٩، ٣٥ نصيحة للفتاة فى سن المراهقة لعادل فتحى، مختارات من المكتبة الإسلامية (١) الإختلاط بين الجنسين.

وقد تسترت الدعوة إلى إخراج المرأة لمخالطة الرجال المسلمين وغير المسلمين وراء دعاوى الرغبة فى تعليمها وتحريرها ورقيها... فهل حرم الإسلام تعليم المرأة؟... كلا والله فإن الإسلام أمر بتعليم المرأة تقديراً لدورها الهام فى تخريج الأجيال، فهذا رسولنا الكريم يقول: "أيما رجل كانت عنده وليده فعلمها وأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران"[١]. فكيف بمن يعلم أبنته ويربيها فقال ﷺ: "أدخله الله الجنة" [٢]. وهذه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها والتى يقول عنها عروة بن الزبير رضى الله عنه: "ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة"... وكان الخلفاء الراشدون والصحابة يذهبون إليها ليسألوها فى مسائل الدين والفقه... وهذه الشفاء رضى الله عنها كانت من المتعلمات المثقفات الفقيهات، وقد ولاها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمور الحسبة فى السوق لعلمها وفهمها... وقد ثبت تاريخياً أن المرأة فى ظل الإسلام وصلت أسمى درجات العلم والثقافة ونالت أكبر قسط من التربية والتعليم فى العصور الإسلامية الأولى فكان منهن الكاتبة والشاعرة مثل علية بنت المهدى وولادة بنت الخليفة المستكفى بالله، و منهن الطبيبة مثل زينب طبيبة بنى أود، ومنهن المحدثات مثل كريمة المرزوية والسيدة زينب أبنة محمد، وقد ذكر الحافظ ابن عساكر – وهو أحد رواة الحديث – أن عدد شيوخه وأساتذته من النساء كان بضعاً وثمانين أستاذة.

ومع هذا فقد وضع الإسلام شروطاً لخروج المرأة للتعليم والعمل فلا تتبرج ولا تخالط الرجال. فتقول أم سلمة رضى الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا سلَّم مكث قليلاً، وكانوا يرون أن ذلك كيما ينفذ النساء قبل الرجال" وهذا

---

(1) رواه البخارى ومسلم.

(2) رواه الحاكم.

حتى لا يختلط الرجال بالنساء أثناء خروجهم من الصلاة... وعـن إبـراهيم النخعى: نهى عمر أن يطوف الرجال مع النساء. قال: فرأى رجـل معهـن فضربه بالدرة.[١]

وما نراه فى المدارس والجامعات من اختلاط مستهتر له أثر كبيـر، وأضراره على كلا الجنسين، فيقول الشيخ مصطفى الخولى عضـو لجنـة الفتوى بالأزهر: "ومن الأسباب التى تساعد على انتشار ظاهرة الإغتصـاب إهمال الجانب الدينى فى مراحل التربية والتعليم والإختلاط بين الجنسين فى المدارس والمعاهد والجامعات..."[٢]، ويؤكد ذلك ما تظهره الإحصائيات من حالات الحمل وما تنشره الصحف من جرائم اغتصاب وزنا بالرضا والزواج العرفى... وليس هذا هو الخطر الوحيد وإنما هناك مخاطر أخرى وتتضـح هذه المخاطر فى المقال الذى تقوله (جانت ديلى) البريطانية فـى صـحيفة التايم: "يلاحظ أن العائلات الآسيوية فى بريطانيا تصر على أن تدرس بناتها فى مدارس غير مختلطة إستناداً إلى خلفيات دينية، لذا فإنه ليس مـن قبيـل المصادفة أن تكون الفتيات الآسيويات أفضل البنات درجات وخيرهن نتـائج آخر العام المدارس... وأن المدارس غير المختلطة أقدر علـى اسـتخراج الذكاء والفطنة من البنات والأولاد وتريحهم من التكلف التافه فى الإخـتلاط" لذا يؤكد عبد الله عبد الفتاح فى (أخطار تهدد البنات) أن المدارس المختلطـة مؤامرة معادية للإناث.

وقد نشرت جريدة الأخبار ١٩/ ٩/ ١٩٧٥ الخبر الذى ذكـر فـى (مختارات من المكتبة الإسلامية) ويقول: نظام الإختلاط فى المدارس سـيتم

---

(١) فتح البارى (٣/٥٦١) – دار الريان ١/١٩٨٦.

(٢) انظر مقال السيد شرارة فى جريدة الأقاليم (السابق الإشارة إليه).

إلغاؤه فى مدينة مغاغة بمحافظة المنيا. قررت المنطقة التعليمية عزل الطلبة عن الطالبات فى مدارس خاصة بكل جنس... فبالرغم من وجود أخصائيين بالمدرسة فإن المشاكل كانت تحدث يومياً من جراء الإختلاط بين الطلبة والطالبات بالإضافة إلى معاكسات الطريق فبدأت شكاوى أولياء الأمور تطالب بوضع حد لمتاعب الطالبات.

ونشر فى أحد أعداد أخبار اليوم أن وكيل وزارة التعليم البريطانى دعا إلى إلغاء التعليم المختلط والعودة إلى التعليم المنفصل بين الجنسين لأن المدارس المختلطة فيها إجحاف كبير بالفتيات، كما ثبت أن وزارة الخدمات الاجتماعية البريطانية تعتمد سنوياً مليونا ونصف مليون من الجنيهات لمنع الحمل بين فتيات المدارس، كما ثبت أن الفصل بين الجنسين بالاتحاد السوفيتى أدى إلى ارتفاع المستوى العلمى بين الطلبة والطالبات[١].

ويذكر الشيخ محمد الصباغ فى رسالة (تحريم الخلوة والإختلاط) بعض الأدلة على خطر الإختلاط ومنها ما جاء فى جريدة الأخبار ٧٩/٢/١٧ اتهم طالب فى إحدى الجامعات المصرية بمحاولة قتل زميلته لرفضها الإستجابة لحبه والابتعاد عنه، وطعنها عدة طعنات بسكين حاد فى داخل الكلية فأصابها إصابات خطيرة.

ويضيف أيضاً ما قاله الدكتور مصطفى السباعى من أن أكبر أسباب إنهيار الحضارة اليونانية هو تبرج المرأة ومخالطتها للرجال ومبالغتها فى الزينة والإختلاط. ومثل ذلك حصل تماماً للرومانيين، فقد كانت المرأة فى

---

[١] أحكام الأسرة بين الشرع والقانون، لعلى عبدالله طنطاوى ــ رئيس محكمة أسيوط ــ دار الأنصار، ١٩٨٠.

أول حضارتهم مصونة محتشمة فاستطاعوا أن يفتحوا الفتوح ويوطدوا أركان إمبراطوريتهم العظيمة، فلما تبرجت المـرأة وأصـبحت ترتـاد المنتـديات والمجالس العامة وهي في أتم وأبهى حلة، فسدت أخلاق الرجال وضـعفت ملكتهم الحربية وانهارت حضارتهم انهياراً مريعاً.

وإذا أصيب الناس في أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً وعويلاً

ويذكر أيضاً ما قالته الكاتبة الإنجليزية (اللادى كوك) فـي جريـدة (الايكو): إن الإختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الإختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، وههنا البلاء العظيم علـى المرأة... أما آن لنا أن نبحث عما يخفف – إن لم نقل يزيل – هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية، أما آن لنا أن نتخذ طرقاً تمنع قتل ألـوف الآلاف من الأطفال الذين لا ذنب لهم، بل الذنب على الرجل الـذى أغـرق المرأة المجبولة على رقة القلب...

ومثال آخر في جُريدة الشـرق الأوسـط العـدد ١٤٧ أن الطالـب الأمريكي (جوفوتس) والبالغ من العمر ١٩ عاماً قد أطلق النار على أسـتاذه (جيمس نونجى) داخل إحدى قاعات الدروس في مدرسة (سانتا مونيكا) فـي كاليفورنيا فأرداه قتيلاً على الفور، وذكر بيان لرجال الشرطة صدر في وقت لاحق أن خلافاً قديماً كان قد نشب بين الطالب وأستاذه بسبب التنافس علـى حُب إحدى الطالبات[١].

وليس أدل على خطر الإختلاط من قصة الفتاة الجامعية التى أخـذها زميلها في سيارته إلى مكان بعيد وهناك حدث أقذر ما تكره الفتاة في حياتها

---

[١] الخلوة بالمرأة الأجنبية والاختلاط المستهتر لمحمد الصباغ، مكتبة العلم ٩٨.

وفقدت أعز ما تملك... وكل هذا سببه الإختلاط بين الشباب والفتيات في الجامعات بدون مراعاة لدين ولا عرف... ولذا أناشد أساتذة الجامعة أن يعطوا إهتماماً لما يحدث هناك أمام أعينهم. وهم يغضون أبصارهم عنه، ولا يعبؤن به.

ومن شر أنواع الإختلاط انك تجد فتاة الجامعة مع علمها بكل هذا، تخالط الشباب وتفتح حوارات طويلة وضحكات وابتسامات تحت شعار ما يسمونه (بفن الإتيكيت) وهو فن التعامل مع الناس وأدب الحوار، هذا الفن الغربى المزعوم... ألم يعرف هؤلاء الغربيون الذين يزعمون اختراع هذا الفن أنه موجود فى كتاب الله وسنة رسوله منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ولكن بقيود شرعية تصون للمرأة كرامتها وللرجل عفته، فيقول الحق تبارك وتعالى: "ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم"[١] ويقول ﷺ: " الدين المعاملة" كما يقول: "وخالق الناس بخلق حسن". وليس الإتيكيت هو اختلاط الرجال بالنساء بزعم الحضارة والتقدم، ولكن الإتيكيت هو ما أمر الله من حسن الخلق بكافة نواحيه... فكونى أيتها الفتاة حسنة الخلق مع صديقاتك وأهلك وزوجك. أما الصداقة المزعومة فى الجامعة بين الشباب والبنات فهى ليست من الإتيكيت فى شئ وليس لها به أدنى صلة... لذا أنصح بعدم التقليد الأعمى فلا نحب أن نكون تابعين لأحد وخاصة أننا عندنا ما هو أولى بالإتباع وهو التعاليم الإسلامية القيمة. وقرآننا العظيم.

كما تجد التمحك بين الشباب والفتيات والإختلاط التافه بطلب المحاضرات وغيرها بحجة الصداقة العفيفة، ثم تجد شاباً يقول: كيف تطلب منى طالبة إحدى المحاضرات ثم أرفض ذلك، إن هذا ليس من الشهامة ولا

---

[1] سورة فصلت، آيه ٣٤.

من تعاليم الإسلام... أقول له: يا أخى الشاب عافاك الله. أنا لا أقول لك ذلك ولكن يجب أولاً على هذه الفتاة أن تسأل أستاذها عما تريد، فإن لم يتيسر لها ذلك فلتطلب من زميلاتها، فإن لم يتيسر لها ذك وكانت الحاجة شديدة فلتطلب من زميلها (وليس صديقها) ولكن بحدود الأدب والطريقة التى وضعها الإسلام لتعامل الرجل مع المرأة فى قول الحق: ﴿فاسألوهن من وراء حجاب﴾ فلا تطلب منه وهى متبرجة أ... أو.... إذا كان الأمر كذلك فلتعطها ولتساعدها بدون أن تتجاوز حدود المساعدة، فلا تتعدى إلى أن تكون كما يقولون نظرة فابتسامة فكلام فموعد فلقاء... ثم يأتى بعد ذلك ما لا يرجى نتائجه. لأنه معلوم أنه ليست هناك صداقات بين الرجل والمرأة فى الدين الإسلامى.. فإن الله سبحانه وتعالى جعل بين الرجل والمرأة تجاذباً فطرياً، وميل كل منهما للآخر وهذا للحفاظ على النوع الإنسانى، فليس بين الرجل والمرأة إلا الزواج، لأن العلاقة بينهما تبنى أساساً على الغريزة الجنسية، أما يسمونه صداقة فليس فى الإسلام ما يدل على ذلك وإنما هو تقليد غربى ما أريد به إلا فساد الأخلاق وإضعاف الأمة الإسلامية وخاصة العربية.

وما أروع قصة موسى عليه السلام مع بنات شعيب عندما قدم لهم المساعدة بدون تجاوز حدود المساعدة والتى صورها القرآن الكريم فى أسلوب رائع فى قوله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير﴾[1] وفيه أن موسى عليه السلام لما رأى هاتين

---

[1] سورة القصص: ٢٣ – ٢٤

المرأتين تنتظران الرعاة لسقى الغنم وهما لا تقدران علـــى الــدخول بـــين الرجال فدفعته رجولته وشهامته إلى مساعدتهما، ولكن المهم هنا أنه لما سقى لهما لم يدخل فى حوارات مع الفتاتين وإنما تولى إلى الظل بمجرد أن ســقى لهما وهذا ما صوره القرآن الكريم (فسقى لهما ثم تــولى إلـــى الظـــل)،... وليتعلم منه هذا الطالب صاحب الشهامة الزائفة.

واحذرى أيتها الفتاة، فإن أول خسائر الإختلاط تصيب الفتاة أولاً... ثم تعود على الشباب... ومن ثم تصيب الأمة كلها...

كما يجب على بعض الشباب تصحيح مفهومهم الخاطئ عن الإسلام .... فقد ظن بعض الشباب أن الإسلام لأنه أراد التفريق بين الشباب والفتيات حفاظاً على كرامة المرأة وصوناً لعفتها فاعتبروه بذلك تقييدُ للحريات وكبتــاً للطاقات ويعتقده ديناً رجعياً يأخذ بيد أهله إلى الوراء ويحول بيـــنهم وبـــين الرقى.

ويقول العلامة محمد بن صالح العثيمين فى رســالته إلـــى الشـــباب بعنوان (من مشكلات الشباب): يجب أن يكشف النقاب عن حقيقـــة الإســـلام لهؤلاء الشباب الذين جهلوا حقيقته لسوء تصورهم أو قصور علمهم أو كليهما معاً:

ومن يك ذا فمٍ مرٍ مريضٍ يجد مُّراً به الماء الزلالا

فالإسلام ليس تقييد للحريات ولكنه تنظيم لها وتوجيه سليم، حتـــى لا تصطدم حرية شخص بحرية آخرين عندما يعطى الحرية المطلقة، لأنه مـــا من شخص يريد الحرية المطلقة إلا كانت حريته هذه على حساب حريـــات الآخرين، فيقع التصادم بين الحريات وينتشر الفوضى ويحل الفساد.

وهناك فرق بين التقييد الذى ظنه البعض، وبين التوجيـــه والتنظـــيم الذى شرعه لعبادة الحكيم الخبير.

والإسلام كذلك ليس كبتاً للطاقات، وإنما هو ميدان فســـيح للطاقـــات كلها الفكرية والعقلية والجسمية... فالإسلام يدعو إلى التفكر والنظر، لكـــى يعتبر الإنسان وينمى عقله وفكره، يقول تعالى "قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض"[١] والأمر بالنظر والتفكير ما هـــو إلا تفتـــيح الطاقـــات العقليـــة والفكرية، فكيف يقول البعض إنه كبت للطاقات، فكبرت كلمة تخـــرج مـــن أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

والإسلام قد أباح لأبنائه جميع المتع التى لا ضرر فيها على المـــرء فى بدنه أو دينه أو عقله... فأباح الأكل والشرب من جميع الطيبات:

﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾[٢]... وأباح جميع الألبسة على وفق ما تقتضيه الحكمة والفطرة، فقال تعالى: ﴿يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى

---

[1] سورة يونس، آيه ١٠١.

[2] سورة البقرة، آيه ١٧٢

ذلك خير ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ (٢) ... وأباح التمتع بالنساء بالنكاح الشرعى، فقال تعالى: ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾ (٣)... وفى مجال التكسب لم يكبت الإسلام طاقات أبنائه، بل أحل لهم جميع المكاسب العادلة الصادرة عن رضا فقال تعالى: ﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾ (٤) ويقول: ﴿ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ (٥) ويقول: ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ (٦)..... فهل بعد ذلك يصح ظن البعض أو قولهم بأن الإسلام دين كبت للطاقات؟! فليعلم هؤلاء أنه دين التقدم ودين الحضارة والرقى. وأن الحضارة الإسلامية هى أول الحضارات التى أفادت العالم بحق وأن أوربا لم تزدهر حضارتها إلا لأنها اقتبست الكثير من حضارة الإسلام وقد اعترفوا بذلك وقالوا بفضل الإسلام، فيقول بريفولت فى كتابه "بناء الإنسانية": إنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحى الازدهار

(1) سورة الأعراف، آيه ٢٦

(2) سورة الأعراف، آيه ٣٢.

(3) سورة النساء، آيه ٣

(4) سورة البقرة، آيه ٢٧٥.

(5) سورة الملك، آيه ١٥.

(6) سورة الجمعة، آيه ١٠

الأوربى إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة[١].

ونقل الأستاذ/ غوستاف لوبون عن الأستاذ (ليبرى) قوله: لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربا الحديثة عدة قرون... وقال (لين بول) فى كتابه (العرب فى أسبانيا): فكانت أوربا الأمية تزخر بالجهل والحرمان بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم وراية الثقافة فى العالم.. وقال (إلياس أبو شبكة) فى كتابه (روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة): إن زوال الحضارة العربية كان شؤماً على أسبانيا وأوربا، فالأندلس لم تعرف السعادة إلا فى ظل العرب، وحالماً ذهب العرب حل الدمار محل الثراء والجمال والخصب...

وقال (سيديلوت) فى كتابه "تاريخ العرب" كان المسلمون فى القرون الوسطى متفردين فى العلم والفلسفة والفنون وقد نشروها أينما حلت أقدامهم وتسربت عنهم إلى أوربة، فكانوا لنهضتها وارتقائها[٢].

فهذه الأقوال وغيرها تعطى دليلاً على ما انطوى عليه نظام الإسلام من قوة دفع حضارية ومبادئ تطويرية شاملة، وتعاليم حيوية خالدة... والفضل كل الفضل بما شهد به الأعداء واعترف به المنصفون:

شهد الأنام بفضله حتى العدا   والفضل ما شهدت به الأعداء

---

[1] جاهلية القرن العشرين ص٢٢٠، تأليف محمد قطب، ط دار الشروق ٨٩م، عن كتاب "تجديد الفكر الدينى فى الإسلام" تأليف محمد إقبال وترجمة عباس محمود ص١٤٩.

[2] تربية الأولاد فى الإسلام، ٢٥/١، ط دار السلام ٩٤

وهناك الكثير من الأقوال التى تدل على قيمة الإسلام وفضله على الحضارة والحياة وسعادة الإنسانية فيقول الفيلسوف (برناد شو) إنى أكن كل تقدير لدين محمد لحيويته فهو الدين الوحيد الذى يبدو لى أن له طاقة هائلة لملاءمته أوجه الحياة المتغيرة، وصالحاً لكل العصور، ولقد درست حياة هذا الرجل العجيبة، وفى رأيى أنه يجب أن يسمى "منقذ البشرية" دون أن يكون فى ذلك عداء للمسيح، وإنى لأعتقد أنه لو أتيح لرجل مثله أن يتولى حكم هذا العالم الحديث منفرداً لحالفه التوفيق فى حل جميع مشاكله بأسلوب يؤدى إلى السعادة والسلام اللذين يفتقر العالم إليهما... ثم يقول: إننى أتنبأ بأن الناس سيقبلون على دين محمد فى أوربا فى المستقبل وقد بدأ يلقى القبول فى أوربا اليوم.

ويتحدث أحد الأمريكيين الذين أسلموا عن الإسلام قائلاً: لقد أمضيت السنين الخمسة الأخيرة قسماً منها فى أمريكا وقسماً آخر فى العالم العربى، وتوصلت إلى نتيجة بأن أحب الإسلام وأقدره، وآخذ بعين الاعتبار كيف أن هذا الدين يصور حياة مقدسة مباركة.

ثم يقول: وإنها لمأساة بأن أرى المجتمعات الإسلامية وقد فقدت ثقتها بالإسلام، حيث إن شعوب تلك المجتمعات وحكوماتها تحاول أن تقلد أمريكا والعالم الغربى فى الوقت الذى يصبح فيه الأمريكيون والعالم الغربى خائبى الأمل بتقاليدهم ومعتقداتهم، ونظمهم،

إلى أن يقول: إن الملايين من البشر فى العالم العربى يتطلعون إلى أمريكا من أجل الرشاد والهدى فى حين أن ملايين من الشعب الأمريكى مقتنعون بأن دولتهم أمريكا تزداد سوءاً يوماً بعد يوم، ويتوقع الكثيرون منهم دمار هذه الدولة فى القريب العاجل.

وهذه طالبة أمريكية اسمها (باميلا) وقد غيرت اسمها بعد أن اعتنقت الإسلام إلى (هاجر) تقول: منذ مدة طويلة كانت تدور فى ذهنى تساؤلات عن الكون والوجود والحياة، وقد أضنانى البحث، والتفكير عن أجوبة لهذه التساؤلات الفلسفية ولكن عبثاً لم أجد لها تفسيراً مقنعاً من خلال دراستى فى الثقافة الأمريكية المادية، وكنت أسمع عن الإسلام، ولكن صورته غامضة فى ذهنى، بل مشوهة، فهو دين يفرق بين الرجل والمرأة، وقائم على العنف والقسوة، وبقيت جاهلة بحقيقة الإسلام، حتى بدأت أدرك نقاء الإسلام وتحديه للقوى المادية، فبدأت من حينها أدرس وأبحث عن الإسلام، وكان البحث فى البداية شاقاً جداً، فليس هناك كتب أمينة عن الإسلام باللغة الإنجليزية، ولكنى منذ البداية شعرت بحب الإسلام، فهو دين عدل وإنصاف، يعطى الفرد حريته، ويحمله مسئولية أعماله وأفعاله، وهكذا بمرور الوقت ازددت وعياً وفهماً للإسلام وكان أن هدانى الله للإسلام.

وتقول هاجر: إن هدفى الأسمى أن أجاهد فى سبيل الإسلام، وأن أحارب الرأسمالية، والطغيان والشر، فبعد تجربتى وجدت أن الإسلام هو الطريق الوحيد لخلاص الإنسانية من خطر الحروب والمجاعات والفناء.

وعندما سئلت هاجر ولماذا الإسلام بالذات هو السبيل إلى خلاص البشرية؟ أجابت قائلة: إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يقدم حلولاً لقضايانا الاجتماعية، والسياسية المعاصرة، إنه نظام حياة شامل يوازن بين مطالب الروح وحاجات الجسد دونما إخلال، لقد وجدت فيه أجوبة شافية على تساؤلات فلسفية كانت تقلقنى وتقضُّ مضجعى.

ثم توجه هاجر رسالة إلى الشعوب الإسلامية عامة، والعربية خاصة تقول فيها: أنتم الذين أنرتم الدرب[١]، للبشرية، فلا تضعفوا أمام غزاة أرضكم المقدسة أمام إسرائيل وحلفائها.

---

(1) والدرب معناه الطريق.

وقد نشرت جريدة المدينة المنورة بتاريخ ٥ رمضان ١٤٠٠ هـ تقريراً عن قضية إسلام المطرب العالمى (كات ستيفنز) الذى سمى نفسه بعد إسلامه (يوسف إسلام) وفى هذا التقرير تصريحات هامة وعبر نافعة منها:

١- سبب إسلامى زيارة أخى للمسجد الأقصى، وتقديمه هدية نسختين من القرآن عربى، وانجليزى لمعرفته مدى اهتمامى بالأديان السماوية، فكنت أقرأ القرآن وحدى، حتى أتممت دراسته دراسة كاملة، ثم درست حياة الرسول ﷺ وتأثرت بشخصيته تأثراً عظيماً، وبعد عام ونصف من الدراسات العلمية اقتنعت بعظمة الإسلام، وأنه الدين الصحيح وحمدت الله على أننى اعتنقت الإسلام قبل أن أجتمع بأحد من المسلمين وقبل أن أتعرف على خلافاتهم.

٢- الشعب الفلسطينى يجب أن يتمسك بإسلامه ودينه، ويحافظ على صلاته وأنا واثق أن الله سينصره.

٣- اخترت زوجة مسلمة محجبة، لأن الجمال فى المرأة ليس أهم شئ، وإنما الإسلام هو الإيمان والفضيلة.

٤- أشعر براحة وطمأنينة غير عادية بعد كل صلاة[١]. كل هذا إنما يدل على عظمة الدين الإسلامى وأنه دين كل العصور، وأنه دين السعادة والراحة والتقدم والرخاء.. ولذا أنادى على الشباب المسلمين الذين ظلموا الإسلام وقالوا بأنه دين لا يتناسب وعصر الحضارة، أقول لهم: عودوا إلى إسلامكم واعتزوا به، واعترفوا بأخطائكم فى حقه، وإلا فأنتم بذلك ستخسرون كل شئ فى الدنيا والآخرة... اللهم بلغت، اللهم فاشهد.

---

[١] توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، محمد بن جميل زينو ــ دار البشير.

سعادة المرأة فى بيتها
وتكريم المرأة فى الإسلام

قد يظن بعض الذين يدعون إلى عمل المرأة وتحريرها أننى بدعوتى المرأة لبيتها أننى أعارضُ التقدم والرقى — على زعم منهم أن ما يحدث فى الغرب هو الرقى والتقدم — أو أننى ضد حقوق المرأة وحريتها.

ولكنى أقول لهؤلاء لو أنكم تدعون إلى حرية المرأة ورعايتها وإعطائها حقوقها فليس هذا جديداً على الدين الإسلامى، فإنما أنتم تعيدون ذكر أشياء قد تحدث عنها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً من الزمان.

فقد كرم الإسلام المرأة وأعطاها كافة حقوقها وحررها من قيود الجاهلية فقد كانت المرأة فى الجاهلية ذليلة مهانة ليست لها وظيفة إلا متعة الرجال، فكانت المرأة فى هذا المجتمع أحد الأشياء التى يستمتع بها الرجل، كاللبس والسكن والزينة والطعام والشراب، ولم تكن المرأة إلا لمجرد إشباع الغريزة الجنسية عند الرجال. فكرمها الإسلام ورد إليها كرامتها بعد أن كانت مخلوقاً مسلوب الإرادة، وسلعة تباع وتشترى. وتقول رئيسة جامعة الخليج العربى: إن الدين الإسلامى لم يعارض تقدم المرأة وحريتها، بل إن الإسلام قام بثورة ضد من كانوا يعارضون حريتها وكرامتها[١].

أما الذين يرون أن الإسلام يحرم المرأة من معظم حقوقها فما هذا إلا لتشويه صورة الإسلام.. والتاريخ يثبت لنا ذلك؛ فالمرأة لم تلق الذل والهوان إلا خارج النطاق الإسلامى. ولم يعرف التاريخ حضارة أكرمت المرأة

---

(١) القناة الأولى — مساء الخير بتاريخ ٢٠٠٤/٣/١٤.

كالحضارة الإسلامية "ففى بلاد اليونان القديمة التى كانت أكثر بقاع العالم وقتذاك تقدماً وحضارة كانت المرأة تدخل ضمن ممتلكات ولى أمرها فهى قبل الزواج ملك لأبيها يفعل فيها ما يشاء، وبعد الزواج ملك لزوجها صاحب التصرف المطلق فيها، وكانت تباع لمن يدفع أكثر والذى كان يقبض الثمن هو بالطبع ولى أمرها أباً أو زوجاً أو من يلى أمرها. ويقول أحد خطبائهم "إننا نتخذ العاهرات للذة والخليلات للعناية بصحة أجسامنا اليومية والزوجات ليلدن الأبناء الشرعيين"

كما أن بلاد اليونان القديمة كانت تعترف رسمياً بعدد العشيقات اللاتى يعشقهن الرجل ويتم تسجيلهن باسمه حتى لا يذهبن لغيره، ولم يعد للزواج أهمية ولم تكن المرأة إلا لعبة فى يد الرجل يفعل فيها ما يشاء وهى لا حول لها ولا قوة، كما أن للرجل الحق فى أن يبيعها أو يغدر بها أو يقتلها وفى بلاد الإنجليز كان الرجال يبيعون الزوجات وقد وضعت محاكم الكنيسة قانوناً يبيح للزوج إعطاء زوجته لرجل آخر لمدة معينة بأجر أو بدون أجر ولم يلغى هذا القانون إلا فى عام ١٩٣٣. وقد حرم هنرى الثامن على الإنجليزيات قراءة الكتاب المقدس، وظلت المرأة الإنجليزية حتى عام ١٨٥٠ غير معدودات من المواطنين ولم يكن لها أى حقوق شخصية ولاحق لهن فى التملك الخالص.

وفى بلاد الهند كانت المرأة ليس لها حق التصرف فى أى شئ وإذا مات زوجها تحرق مع جثته وهى حية، وفى بلاد الصين أيضاً سلبت المرأة إرادتها وحق التصرف فى نفسها. وفى بابل كانت المرأة فى عداد الماشية المملوكة وكان على من يقتل ابنة الآخر أن يسلمه ابنته ليقتلها أو يملكها إذا عفا عنها. وفى فارس كانت تباع وتشترى وتنفى خارج المدينة فى الفترة

التى ينزل منها دم الحيض، وكان يصح للرجل أن يقتل المرأة لأقل خطأ دون تعرض لمساءلة أو عقاب.

وكان الرجل عند الرومان له حق السيادة المطلقة على زوجته ولـه حق تملكها بمضى المدة كما يتملك المرء عقاراً، وطريقته أن يباشر الرجـل امرأة سنة كاملة دون أن تخرج من المنزل وبذلك يتملكها وتصبح له عليهـا السيادة الكاملة[1]، وكان شعارهم أن قيد المرأة لا ينزع.

وكانت المرأة عند العرب قبل الإسلام مهانة ذليلة، فقد كانـت عنـد بعض القبائل العربية عاراً يأنفون منه ودعاهم ذلك إلى كراهة إنجاب البنات وكانوا يتخلصون منها بمواراتها فى التراب وقد صور القرآن ذلـك بقولـه تعالى ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون ﴾[2].

وكانت تباع وتشترى، وترهن فى قضاء المنافع وسداد الديون، كمـا كانت تورث شأنها شأن أى عقار أو منقول أو حيوان مملوك، وكان بعضهم إذا توفى زوج المرأة سارع وليه بإلقاء ثوب عليها فيحوزها كما يحوز السلب والغنيمة فإن كانت جميلة تزوجها وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها أو تفتدى نفسها بالمال، وأما إذا تمكنت من الإفلات منه إلى بيت أبيها قبـل إلقاء ثوبه عليها فقد نجت وتحررت.

---

[1] الدين وقوانين الأحوال الشخصية – على منصور

[2] النحل: ٥٨، ٥٩.

وكان بعضهم إذا مات الرجل حبسوا زوجته على الصبى فيهم حتى يكبر ابنه الصغير ليتزوجها، وكان بعض الأزواج يوصى بزوجته لمن يشاء بعد موته، وإذا طلقها فى حياته زوجها لمن يشاء وأخذ صداقها دون اعتداد برضاها أو منعها.

وكانوا يبيحون استيلاء الرجل على المرأة بالقوة ويعاشرها من يسبيها معاشرة الأزواج وقد عبر عن ذلك أحد شعرائهم بقوله

فما انكحونا طائعين بناتهم ولكن خطبناهن بأسيافنا قهراً.

وفى شريعة اليهود لم يكن للمرأة أى ميراث إذا كان للميت ذكر، وفى قانون الأحوال الشخصية لدى الإسرائيليين تلزم الأرملة أن تتزوج من شقيق الزوج أو أخيه ولا تحل لغيره إلا إذا رفضها... كما يحق للزوج عندهم أن يزنى فى فراش زوجته، أما الزوجة فلا يصح لها أن تزنى بفراش زوجها.

ولا يختلف وضع المرأة فى الديانة المسيحية عن وضعها فى الديانة اليهودية كثيراً ودليل ذلك مبادئ الكنيسة وآراء كبار رجالها فى هذا الشأن، فمن مبادئ الكنيسة أن المرأة ينبوع المعاصى وأصل السيئة والفجور، ومنها انبجست عيون المصائب الإنسانية، وليس هذا بغريب على الديانة المسيحية فإنه لا جدال أن مصادرها التشريعية الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ومن ثم فإن حكم التوراة ينطبق على أصحاب هذه الديانة إذ أنه يعتبر جزءاً من كتابهم المقدس ولقد قال نبى الله عيسى عليه السلام: "وما جئت لأنقض الناموس والأنبياء بل جئت لأتمم وأكمل"

وقد كانت المرأة فى أوربا المسيحية إلى عهد غير بعيد محرومة من كل حقوقها لا تملك حق التصرف فى مالها دون إذن زوجها كما كانوا يضعون لها جهازاً من حديد يغطى مكان العفة منها يغلق بقفل ويحمل مفتاحه الأب أو الأخ أو الزوج وذلك خشية الفضيحة والعار ولانعدام ثقتهم فيها ومازال هذا الجهاز معروضاً فى الوقت الحاضر فى متحف بباريس.

وكانوا يعدون المرأة مخلوقاً فى المرتبة الثانية، وتساءل بعض الرؤساء المسيحيين فى أوربا هل يحق للمرأة أن تعبد الله كما يعبده الرجل وهل تدخل المرأة الجنة وملكوت الآخرة؟

وفى فرنسا اجتمع مؤتمر سنة ٥٨٦م تحت إشراف الكنيسة للبحث عن إنسانية المرأة وأخيراً قرروا بأنها إنسان خلق لخدمة الرجل فحسب. وكان القانون الإنجليزى حتى عام ١٨٠٥م يبيح للرجل تحت تأثير النظرة المسيحية للمرأة أن يبيع زوجته[(١)].

ولما جاء الإسلام أعاد لها كرامتها وجعل لها حقوقاً مثل حقوق الرجل فقال تعالى: "للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً". وقال: "وعاشروهن بالمعروف" وأعزها بالإسلام ورفع من شأنها وجعل الزواج منها بمهر بعد أن كانت مجرد سلعة للبيع والشراء وجعل لها نصيباً فى الميراث: ﴿يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾[(٢)] ، كما أمر بالإحسان إلى المرأة واللين معها وإذا أخطأت فلا يظلمها بل يكون التأديب

---

(1) أحكام الأسرة بين الشرع والقانون، وانظر عودة الحجاب ٤٧/٢.

(2) (النساء:١١)

بطريقة جميلة فقال: "واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن" ويبين الرسول معنى قوله (واضربوهن) فقال ﷺ: "واضربوهن ضرباً غير مبرح" أى ضرباً لا يؤذيها.

وقد ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة فى كافة الحقوق، ورفع المرأة من مكانها المهين الذليل إلى مكانة كلها رفعة وسمو، وفى خطاب القرآن لبنى آدم ما يدل على أن الإسلام لم يفرق بين الرجل والمرأة فيقول تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً﴾(1) وقال: ﴿فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾(2) وقال: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير﴾(3)، فاوصى بالإحسان إلى الوالدين، ثم تكلم عن دور المرأة ولم يتكلم عن دور الرجل، فقال: ﴿حملته أمه وهنا على وهن﴾ أى ضعفاً على ضعف(4) ثم أرضعته بعد وضع الحمل وسهرت على راحته. كما أن الرسول ﷺ جعل نصيب الأب من حسن الصحبة ربع نصيب الأم عندما سأله رجل: من أحق الناس بحسن صحبتى يا رسول الله؟ قال ﷺ "أمك" قال: ثم من؟ قال ﷺ: "أمك"، قال: ثم من؟ قال ﷺ "أمك"، قال ثم من؟ قال ﷺ: "أبوك".

(1) سورة النساء آية:١٢٤
(2) سورة آل عمران آية: ١٩٥
(3) سورة لقمان آية:١٤
(4) ابن كثير ٢١٤/٦

والرسول ﷺ جعل المرأة مسئولة كالرجل فقال: "والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها"[١] وهذا اعتراف بمكانة المرأة فى المجتمع الإسلامى، فهى لا تقل دوراً عن الرجل، وإن كان دورها الرئيسى فى البيت فإن هذا ليس تقليلاً لشأنها وإنما هذا تعزيزاً لها وصيانة لكرامتها، فهذا التقسيم فى العمل يقوم على أساس طبيعة كل من الرجل والمرأة، فالرجل بطبيعته قوى شديد يتحمل المتاعب فهو الذى يخرج للعمل الشاق ويأتى لزوجته بما يكفيها من طعام وشراب وملبس، وهذا الدور ليس كبيراً بالنسبة لدور المرأة فى بيتها، فإن كان الرجل ينفق على المرأة، فهى تربى له أولاده وتعلمهم وتنشئهم خير تنشئة، وتطبخ طعامه وتغسل له ثيابه، وتزين له بيته كل هذا يتناسب مع طبيعة المرأة الرقيقة، ومع أنوثتها. فكان عليه أن يشكر لها هذا الجميل بأن يتكفل برعايتها ويغمرها بعطفه وحنانه وحبه، دون أن يشعر بأنه أفضل منها، لأن دورها لا يقل أهمية عن دوره فى شئ.

ومن هنا يتضح لنا أن الإسلام لما فرض على الرجل الإنفاق على المرأة كان هذا تقديراً لدورها ورداً لجميلها، لا ليتعالى الرجل على زوجته وينظر إليها من أعلى على أنه ينفق عليها.. وإنما هى مشاركة بينهما فى الحياة، أى أن الموضوع (واحدة بواحدة) فأنت تنفق وهى تربى، فأنتما مشتركان فى بناء هذا البيت.

ومن هنا أنادى على المرأة التى خلعت زى أنوثتها وارتدت زى الرجل وخرجت تنادى بتحرير المرأة، وخروجها للعمل، لكى تتساوى بالرجل معلنة بأن الدين الإسلامى قد ظلم المرأة لأنه احتكرها فى البيت، لذا

---

(١) الترمذى

فهو لم يعد يتناسب وعصر الحضارة... ولم تعرف المسكينة أنها بذلك تذلل نفسها، فهى بذلك ستزاحم الرجال فى المواصلات وتنادى فى الأسواق على بيع الطماطم وتحمل الأحمال فى البناء وتحمل الفأس وتحفر كالرجل فى الأيام التى يكاد يذوب فيها الحديد، وتمضغ الزلط. كما حدث للمرأة الغربية، فالمرأة فى أوربا وأمريكا تكنس الشوارع وتنظف دورات المياه وتعبئ البنزين فى السيارات... كل هذا لأنها تريد أن تتساوى بالرجل، فما رضيت بالتكريم وأن تجلس فى بيتها تهتم بنفسها وأولادها، وبعد أن كانت مرفهة منعمة ستصبح فيها من الخشونة ما يزهد فيها الرجال... وليس كل النساء هكذا وإنما هى المرأة المتمردة على الإسلام وعلى المجتمع الذى أعزها، والتى ينطبق عليها قول المتنبى:

إن أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا

فالإسلام لم يهن المرأة، ولم يقلل من شأنها وإنما أعزها وكرمها.. وعزز مكانتها منذ فجر إشراقه، وهى مكانة كلها سمو وعدل وإنصاف ومساواة لم تسبقه إليه شريعة سماوية ولا أرقى التشريعات الوضعية، بعد أن كانت تعامل كالأمتعة والآثاث لا غير ذلك فى جميع الدنيا ومن قبل كل الأديان، والكل يعرف ذلك، وقد عبر عن ذلك البروفيسور ليك فى معرض حديثه عن الإسلام ونبى الإسلام: "إن حياة محمد لا يمكن أن توصف بأحسن مما وصفه الله به فى قوله: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ .

وتقول الزعيمة العالمية (انى بيزانت): كثيراً ما يرد على فكرى أن المرأة فى ظل الإسلام أكثر حرية من غيره، فالإسلام يحمى حقوق المرأة أكثر من الأديان الأخرى التى تحظر تعدد الزوجات، وتعاليم الإسلام بالنسبة للمرأة أكثر عدالة، واضمن لحريتها، فبينما لم تنل المرأة حق الملكية فى

إنكلترا إلا منذ عشرين سنة فقط، فإننا نجد الإسلام قد اثبت لها هذا الحق منذ اللحظة الأولى، وإن من الافتراء أن يقال إن الإسلام يعتبر النساء مجـــردات من الروح.

وتقول أيضاً: متى وَزَنَّا الأمور بقسطاس العدل المستقيم ظهر لنا أن تعدد الزوجات الإسلامي الذى يحفظ ويحمى ويغذى ويكسو النســـاء أرجـــح وزناً من البغاء الغربى الذى يسمح بأن يتخذ الرجل امرأة لمحـــض إشـــباع شهواته، ثم يقذف بها إلى الشارع متى قضى منها أوطاره[١].

وقد ذكر احد الأساتذة ممن درس فى الغرب أن أستاذة جامعية كبيرة فى بريطانيا بعثت إليه برسالة تشكو إليه فيها هموم المراة الغربية ومآســيها وأنها فى شبابها تكون فريسة للذئاب، يلاحقها طلاب المتعة ويقدمونها بحسب ما عندها من جمال، وفى كبرها ترمى وتهمل حتى من أولادها وأقاربها وفى حياتها الزوجية تكون مشغولة مهمومة خالية مـــن المشـــاعر والأحاســـيس الصادقة، عليها أن تقدم لزوجها المال وتقاسمه أعباء مصاريف المنزل بغض النظر عن راحتها أو راحة أولادها المادية أو النفسية... ثم تخـــتم رســـالتها بالقول: "إننى أتمنى أن أعيش زوجة مسلمة فى بيئة إسلامية ولو لشهر واحد حيث الزوج يغار على أهله ويحميهم ويحيطهم بحبه وحنانه، ويكلأ (يرعاها وينفق عليها) زوجته وأولاده برعايته ويحنو عليهم ويقدم لهم كل ما يستطيع من العون المادى متحملاً المسئولية كاملة بشجاعة نادرة[٢].

---

(1) توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع إعداد محمد بن جميل زينو

(2) من ينصف المرأة محمد بن عبدالله الحمود ـــ دار ابن خزيمة، ط١/٢٠٠٢، وانظر مجلة الجندى المسلم، عدد (٧٠).

فالإسلام لم يظلم المرأة، بل أعاد إليها حقوقها المهضومة من قبل ذلك فبعد أن كانت مسلوبة الإرادة ليس لها حق التصرف حتى في نفسها فأعطاها الإسلام كل حقوقها وأعاد لها حريتها وكرامتها... أبعد كل هذا أول ما تتمرد تتمرد على الإسلام الذى حررها من الرق والعبودية التى كان عليه حالها... وتجد المتمردات يقلن إن الإسلام لم يساوى بين الرجل والمرأة فى الميراث، والحقيقة أن هذا ليس ظلماً فالرجل يتحمل النفقة على الأسرة وهو الذى يدفع المهر ويعد منزل الزوجية وعليه نفقة الزوجة فى حالة الطلاق أيضاً أبان فترة العدة، فضلاً عن مؤخر الصداق والمرأة فى كل هذا لا تتحمل شيئاً ورغم ذلك فإن رحمة الله الواسعة لم تحرمها من الميراث، وليس هذا فحسب بل إن المرأة ترث أكثر من الرجل فى ٣٠ حالة ويرث الرجل أكثر منها فى حالة واحدة وهى الحالة التى تذكرها الآية: {يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين}[١]، وكل هذا أيضاً لا يقدر أحد أن ينكره لأن الكل يعرفه[٢].ويعبر المستشرق جوستاف لوبون[٣] عن عدل الإسلام فى الميراث قائلاً: مبادئ الميراث التى نص عليها القرآن الكريم على جانب عظيم من العدل والإنصاف ويمكن للقارئ أن يدرك من الآيات التى أنقلها منه (ثم ذكر آيات المواريث) ثم قال ويظهر لى من المقابلة بينها وبين الحقوق الفرنسية والإنجليزية أن الشريعة الإسلامية منحت الزوجات حقوقاً فى المواريث لا تجد مثلها فى قوانيننا.

(1) سورة النساء آية:١١.

(2) اللواء الإسلامى ٢٠٠٤/٦/١٠.

(3) أحكام الأسرة بين الشرع والقانون، عن حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر.

أما عن القوامة التى تتحدث عنها الآية الكريمة {الرجال قوامون على النساء، بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم}[١] فيتضح من الآية الكريمة أن القوامة هنا قوامة تكليف لا تشريف، ولها شروط وهى أن الرجل ينفق على المرأة ويتحمل الكثير المتاعب... كما أن البيت السعيد لما كان يحتاج إلى قيادة حتى تسير السفينة فى أمان، كان الرجل هو الأحق بذلك، لما ألقى على عاتقه من الأعباء وتحمل النفقات.. فالعملية ليست عملية تفريق وإنما اتفاق ومشاركة بين الرجل والمرأة كما أشرت من قبل، فأى نقص فى المرأة يكمله الرجل والعكس، فلا يمكن للرجل أن يستغنى عن المرأة أو يعيش بدون المرأة، والمرأة كذلك[٢]، وهذا يؤكد أن التفريق بين الرجل والمرأة لا لتفضيل أحدهما على الآخر وإنما لتكليف كل منهما بالمهام التى تتناسب مع طبيعته.

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

والحقيقة التى نحاول إخفاءها جميعاً والتى لا يستطيع أن ينكرها أحد، وأستطيع أن أقول ذلك أمام هدى شعراوى وصفية زغلول وهو أن قوامة الرجل على المرأة من أهم أسباب السعادة عند المرأة، فهو يشعرها بأنوثتها. ويؤكد ذلك ما قاله الدكتور فوربل: أما غريزة الإنسان فإنها فى المرأة أقوى كثيراً منها فى الرجل وهى تتصل برغبتها فى الاستسلام والتضحية وبشعورها بسيادة الرجل عليها وإخضاعه لها وكل هذه المطامح السلبية تكون جزءاً من العاطفة الجنسية الطبيعية عند المرأة، وكل هذا يفسر لنا قوامة الرجل على المرأة، وسبب نزول القرآن بذلك وهو دليل على أن القرآن لم يظلم المرأة بذلك، لأن طبيعة المرأة الجنسية تجعلها تميل إلى

---

[1] سورة النساء آية ٣٤.

[2] المرأة فى منظور الإسلام للدكتور حسين مؤنس، دار الصفوة ٩٨، وانظر عودة الحجاب ١٣٠/٢.

الاستسلام والخضوع لزوجها على عكس الرجل، وهذا يزيد من متعة المرأة وسعادتها مع زوجها وفى مجتمعها، ومن هنا فهى تميل إلى الدلال (والدلع) والمرأة الطبيعية تشعر بسيادة زوجها وتحتاج منه أن يرعاها بحبه ورقته وحمايته وينجب أطفاله منها. والغريب أنك تجد بعض النساء يكن فى غاية السعادة عندما يضربهن أزواجهن... وهذا نابع من العاطفة الجنسية التى تدفع المرأة إلى الخضوع والاستسلام للرجل...فالمرأة تذوب فى الرجل وتدور فى فلكه ومهما كان الصوت عاليا وتكونت آلاف الجمعيات النسائية، والمساواة والقيادة فالمرأة هى المرأة وهى بدون الرجل ناقصة ولو يكن الرجل موجودا ما غسلت المرأة وجهها بالماء وكان الثوب الواحد يكفيها من العام إلى العام لاتغيره ولاتبدله فالمرأة كائن يدور فى فلك الرجل.

ومن هنا فإن الإسلام لا يدعو إلى شئ إلا وفيه صلاح الأمور وسعادة البشرية، والإسلام لا يحرم عمل المرأة وإنما فضل أن تكون المرأة فى بيتها لتربية أولادها وخدمة زوجها وتزيين بيتها فيقول ﷺ "المرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها". وهذا الحديث يبين الوظيفة الأساسية للمرأة وهى عمل البيت، وهى الوظيفة الأساسية للمرأة المسلمة مادام أن هناك زوج ينفق عليها. وهو بذلك لم يقلل من شأن المرأة بل هو يكرمها ويصونها ويحفظها من المتاعب التى تلاقيها فى العمل والشارع فالمرأة بطبيعتها ضعيفة رقيقة ومن هنا كان اسمها الأنثى (أى اللينة السهلة الانثناء)[١]

وقد عرفت الكثير من النساء اللاتى خرجن للعمل قدر هذا واعترفن بأن المكان الرئيسى لعمل المرأة هو البيت، كما أن البيت هو المكان الوحيد الذى تشعر فيه المرأة بالسعادة.

---

[1] انظر (المرأة فى القرآن الكريم) لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى، أخبار اليوم، ١٩٩٠م.

ويسوق مجدى الشهاوى فى (الخلافات الزوجية) بعض الشواهد على ذلك فيقول: تقول إحدى من يسمون باسم "سيدات المجتمع" أنا لست ضد عمل المرأة الخالية المسئولية ولكن أؤمن بأن المـــرأة مادامـــت أنجبـــت أطفـــالاً فمسئوليتها الكبرى هى التفرغ الكامل لهم ولمنزلها.

ويقول قاسم أمين صاحب (تحرير المرأة): نحن لا نجـــادل فـــى أن الفطرة أعدت المرأة للاشتغال بالأعمـــال المنزليـــة وتربيـــة الأولاد وأنهـــا معرضة لعوامل طبيعية كالحمل والولادة والرضاعة، ولا تسمح لها بمباشرة الأعمال التى يقوى عليها الرجال، بل نصرح هنا أن أحسن خدمـــة تؤديهـــا المرأة إلى الهيئة الاجتماعية هى أن تتزوج وتلد وتربى أولادها، هذه قضـــية بديهية لا تحتاج فى تقريرها إلى بحث طويل.

ويقول الإنجليزى ساموبل سمايلس إن النظام الذى يقضـــى بتشـــغيل المرأة كانت له نتائج هادمة لبناء الحياة المنزلية لأنه هاجم هيكـــل المنـــزل وقوض أركان الأسرة ومزق الروابط الاجتماعية، فإنه يسلب الزوجـــة مـــن زوجها والأولاد من أقاربهم، صار له بنوع خاص لا نتيجة لـــه إلا تســـفيل أخلاق المرأة ـــ أى يجعل أخلاقها سافلة ـــ إذ وظيفة المرأة الحقيقيـــة هـــى القيام بالواجبات المنزلية وتربية أولادها ونتيجة لقيامها بالعمل خارج المنزل أصبحت الأولاد تشب على عدم التربية وتلقى فى زوايا الإهمال.

وقالت الدكتورة إيدايلين: إن سبب الأزمات العالمية فى أمريكا وسر كثرة الجرائم فى المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأسرة، فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق. ثم قالت: إن التجارب أثبتت أن عودة

المرأة إلى الحريم هو الطريقة الوحيدة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الذى يسير فيه.

وقال أحد أعضاء الكونجرس الأمريكى: إن المرأة تستطيع أن تخدم الدولة حقاً إذا بقيت فى البيت الذى هو كيان الأسرة.

وقال عضو آخر: إن الله عندما منح المرأة ميزة الأولاد لم يطلب منها أن تتركهم لتعمل فى الخارج بل جعل مهمتها البقاء فى المنزل لرعاية هؤلاء الأطفال[1].

وتقول الممثلة الأمريكية بربارة ستريائد: لقد بدأت أتأكد من أشياء كثيرة تنقصنى أكثر مما يجب بحياتى الفنية، ونسيت حياتى كامرأة و كإنسانة مما جعلنى اليوم أحسد النساء اللواتى عندهن الوقت الكافى للاعتناء بأزواجهن وأطفالهن.

وتقول مارلين مونرو: احذرى المجد... أننى أتعس امرأة على هذه الأرض لم أستطع أن أكون أماً، إننى امرأة أفضل البيت والحياة العائلية الشريفة على كل شئ.

وكتبت الدكتورة أميمة فؤاد مهنى فى رسالتها للدكتوراه بعنوان (المرأة والوظيفة العامة) تقول: إن وظيفة المرأة كمسئولة عن بيتها وأولادها أهم من أى وظيفة أخرى... ثم تقترح عدة اقتراحات، من بينها منع المرأة المتزوجة التى لها أطفال دون السادسة من التعيين فى الوظائف العامة، ثم

(1) أنظر التبرج وخطر مشاركة المرأة للرجل فى ميدان عمله، سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز. ط١ دار ابن خزيمة ١٤١٦هـ، وانظر أيضاً (المرأة بين الفقه والقانون) للدكتور مصطفى السباعى.

تقول إن هذا التنظيم يحقق مصلحة الأسرة والمجتمع والمصلحة العامة فهو يحقق القضاء على المشكلة الأساسية التى ترتبت على توظيف المرأة وهى الفراغ الذى حدث فى الوظائف الأسرية ورعاية الأطفال دون كلفة، وتؤكد أن خروج المرأة للعمل يؤدى إلى انخفاض المستوى الصحى والاجتماعى والعلمى للنشئ.

وأورد عادل فتحى آراءً لعلماء المسلمين ومفكرين غربيين فى كتابه (كيف تصبحين أماً مثالية) ومنهم د/ مصطفى السباعى الذى يقول: "إن الإسلام برغم إعطاءه المرأة كل حقوقها المسلوبة من قبل، ورغم مساواته لها بالرجل فى الأهلية الحقوقية والمالية، يرى أن من الخير لها ولأسرتها وللمجتمع أن تتفرغ لشئون الأسرة وتهتم بها، ولذلك أسقط عنها تكاليف المعيشة فألزم زوجها بالإنفاق عليها — مع أنها أهل لأن تبيع وتشترى وتزاول كل أعمال الكسب — كما ألزم أباها بالإنفاق عليها حتى تتزوج، لتكون متمرسة بأعمال البيت تحت إشراف أمها ثم بعد ذلك يتولى زوجها الإنفاق عليها.

وهذا لا يعنى تحريم عمل المرأة، وإنما يعنى أولوية عمل المرأة فى بيتها ورعاية أبنائها وخدمة زوجها... أما العمل المحرم فهو المحظور شرعاً كأن تعمل (راقصة) مثلاً.

ويقول د/ محمد محمد حسين: "من الواضح أن عمل الأنثى الأول الذى لا يصلح له غيرها وهو النسل وحفظ النوع لأن تركيب الذكور العضوى لا يسمح لهم بحمل ولا إرضاع، ومن الثابت أن إرهاق المرأة بالعمل يترك أثراً فى مزاجها وأعصابها، فالمرأة التى تنيط بها حمل جنين

والسهر على أمنه وسلامته فى بطنها، ومن بعد أن يخرج للدنيا محتاجة لأن تكفى مؤنة التعرض للتهيجات العصبية والأبهار العضلى أو العقلى الذى تصل آثاره إلى ربيبها جنيناً ورضيعاً وتترك فيه أسوأ الآثار، وذلك شئ يقتضى به أوجب الواجبات وأهمها وهو المحافظة على سلامة النوع البشرى ثم أنها محتاجة بعد ذلك إلى توفر الفرصة الكاملة لملازمة طفلها ملازمة كاملة تسمح بأن يصنع على عينها جسماً وعقلاً وخلقا، لكى تغرس فيه العادات الفاضلة وتجنبه غيرها، وهذا لا يتأتى بالأمر والنهى مرة أو مرات، ولكن لابد من المراقبة الدائمة، والإشراف على تكرار الفعل حتى يرسخ فى نفسه، وهذه المراقبة التى لا تغفل هى وحدها التى تسمح باكتشاف أعراض الداء فى البنين والبنات قبل أن يستفحل ويتعذر علاجه.

ويقول الشيخ محمد الغزالى: "الإسلام يعرف المرأة قبل كل شئ ربة بيت وزوجة بطل، وأم شهيد. ويقول د/ يوسف القرضاوى: "إن مصلحة المجتمع ليست فى أن تدع المرأة رسالتها الأولى فى البيت، لتعمل مهندسة أو محامية أو...بل مصلحتها أن تعمل فى مجال تخصصها الذى هيأته الفطرة لها؛ مجال الزوجية والأمومة وهو لا يقل خطراً ــ بل يزيد ــ عن العمل فى المتاجر والمعامل والمؤسسات".

وقيل لنابليون: أى حصون فرنسا أمنع؟ قال: الأمهات الصالحات ويقول الفيلسوف (بريتراند رسل): "إن الأسرة انحلت باستخدام المرأة فى الأعمال العامة وأظهر الاختبار أن المرأة تتمرد على تقاليد الأخلاق المألوفة وتأبى أن تظل وفية أو أمينة للرجل"

وتقول أنى رو فى جريدة (الأسترنميل): "نعم إنه لعار علـــى بـــلاد الإنجليز أن تجعل بناتنا مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجـــال، فمـــا بالنـــا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام فـــى البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها".

ويقول جول سيمون: "يجب أن تبقى المرأة امرأة... فإنها بهذه الصفة تستطيع أن تجد سعادتها وتهبها سواها، فلنصلح حال النساء. ولكن لا نغيرها، ولنحذر من قبلهن رجالاً لأنهن بذلك يفقدن خيراً كثيراً، ونفقد نحن كل شئ.."

وقد قام عدد كبير من الفتيات وطالبات الجامعة فى مدينة "كوبنهاجن" الأوربية بعمل مظاهرة يرددن هتافات مكتوبة على لافتات محمولة تقول:... سعادتنا لا تكون إلا فى المطبخ .. نريد أن تبقى المرأة فى البيت.. أعيدوا لنا أنوثتنا... كل هذا ناتج عن معاناة المرأة الأوربية من خروجها إلى العمـــل، حيث أنها لم تخرج إلا مجبرة نتيجة عدم وجود العائل الذى ينفق عليها.

ويقول الدكتور عبد الرحمن محمد العسيوى أستاذ علم الـــنفس فـــى (دراسة فى علم السلوك): الطفل فى بداية حياته يعتمد اعتماداً كلياً على أمه فى قضاء حاجاته الحيوية لأنه يكون عاجزاً عن قضاء حاجاته بنفسه، وطفل الإنسان بالذات تطول فترة طفولته عن فترة طفولة الحيـــوان وتمتـــد فتـــرة حاجاته إلى رعاية غيره مدة أطول منها عند الحيوان ولكنه يتعلم الاســـتقلال تدريجياً.

وتقول الإذاعية آمال فهمى فى حديث مع مجلة نصف الدنيا: إن خروج المرأة للعمل أكبر نكسة على أولادنا فأصبح المجتمع يتسع يوماً بعد يوم لظهور العديد من الأجيال الفاسدة... فبرغم أن الأمومة لم ولن يتغير دورها من عطاء وتضحية إلى الأبد... إلا أن هذا العطاء وهذه التضحية دائماً ما يشوبها عدم الاكتمال فكيف يكون العطاء كاملاً؟

والطفل محروم من حنان أمه طوال ساعات عملها ويظل المسكين طوال هذه المدة مشرداً بين دور الحضانات أو مرهوناً عند أقاربه أو حتى فى رعاية جدته فالنتيجة واحدة وهى غياب الأمومة، وبالتالى أصبح سلوك الأبناء تجاه أمهاتهم من جحود وعدم وفاء ونكران للجميل، وليس أدل على ذلك من اختفاء أحب العادات إلى قلب الأم عندما كان ينحنى الأولاد على يديها لتقبيلها، فلم نعد نرى الآن تلك العادة.

يا دار غَيَّرَكِ البِلَى فمحاكِ　　　يا ليت شِعْرى ما الذى أبْلاكِ

والنتيجة إضافة جديدة لظلم جديد للمرأة، غير أن الظلم هذه المرة كان شديد القسوة حيث أنه أصاب أغلى شئ تملكه عندما اتهمت بالتقصير فى أمومتها... وليس هذا فقط بل إن هناك الكثير من الآثار السلبية لمترتبة على خروج المرأة للعمل وتركها بيتها وأولادها، والتى كان لها أضرار خطيرة على علاقة الرجل بزوجته وعلى الأولاد وعلى المجتمع ككل ومن هنا أدى ذلك إلى تأثير سلبى على المجتمع الإسلامى، ويوضح ذلك ما يقوله (جان بول رو) فى كتابه "الإسلام والغرب": إن التأثير الغربى الذى يظهر فى كل المجالات، ويقلب رأساً على عقب المجتمع الإسلامى، لا يبدو بجلاء أفضل مما يبدو فى تحرير المرأة... ومن أجل ذلك سأظل أواجه دعوتى مرة أخرى

إلى امرأة عاملة أن تعود إلى بيتها وخاصة طالما لديها أولاد فى المراحل الأولى من العمر.

وليست المراحل الأولى من العمر هى المرحلة التى يكون فيها الطفل فيما قبل السادسة أو السابعة بل أن الطفل يحتاج إلى رعاية أمه حتى يتجاوز سن المراهقة فإن مرحلة المراهقة مرحلة خطيرة، بل هى أخطر من مرحلة الطفولة. وتحتاج هذه المرحلة إلى رعاية كل من الأب والأم والمجتمع كله والمدرسة والشارع، ووسائل الإعلام لأن مرحلة المراهقة مرحلة انتقال من الطفولة إلى الشباب ويتعرض فيها المراهق للعديد من المشاكل إن لم يجد من يحلها له ويساعده على عبورها واجتيازها وقد يضيع مع ذلك مستقبله وسعادته.

ويعدد الدكتور عبد الرحمن العيسوى فى كتابه السالف الذكر هذه المشاكل ومنها الانحرافات الجنسية، وعدم التوافق مع البيئة، وانحرافات الأحداث، من اعتداء وسرقة وهروب ويرى أن هذه الانحرافات نتيجة لحرمان المراهق فى المنزل والمدرسة من العطف والحنان والرعاية والإشراف وعدم إشباع رغباته وكذلك عدم تنظيم أوقات الفراغ.

ومن المشكلات التى يذكرها الدكتور العيسوى أيضاً فى المراهقة ممارسة العادة السرية ويمكن التغلب عليها عن طريق توجيه المراهق نحو النشاط الرياضى والكشف الاجتماعى وتعريفه بأضرارها وتوجيهه إلى الأعمال الدينية.

ويذكر الدكتور العيسوى أيضاً من المشكلات النفسية التى تظهر فى مرحلة المراهقة ما يعترى المراهق من حالات اليأس والحزن والآلام التى لا يعرف لها سببا فالمراهق طريد مجتمع الكبار والصغار إذا تصرف كطفل سخر منه الكبار وإن تصرف كرجل انتقدوه وعلاج هذه الحالة يكون بقبول المراهق فى مجتمعات الكبار وإتاحة الفرصة أمامه للاشتراك فى مناقشتهم وبتحمل المسئوليات التى تتناسب مع قدراته.

ومنها أيضاً شعور الفتاة المراهقة بالقلق والرهبة عند حدوث أول دورة شهرية فهى لا تستطيع أن تناقش ما تحس به من مشكلات مع المحيطين بها من أفراد الأسرة، كما أنها لا تفهم طبيعة هذه العملية ولذلك تصاب بالدهشة والقلق.

ويقول الدكتور: ومن الملاحظ فى هذه المرحلة أن الفتاة يعتريها الخجل والحياء وتحاول إخفاء الأجزاء التى نمت منها — مثل بروز الثديين فى صدر الفتاة واختزان الدهن فى الأرداف مما يجعلها بارزة خلفها — فتخفيها عن أنظار المحيطين، وينتج عن تعليقاتهم على مظاهر النمو هذه وعلى التغيرات الجديدة شعور الفتاة بالحياء والخجل وميلها للانطواء أو الانسحاب ولذلك ينبغى أن ينظر الكبار لهذه التغيرات على أنها أمور عادية وطبيعية..

وتمتد مرحلة المراهقة من بداية الرابعة أو الثالثة عشر حتى نهاية السابعة عشر عند الإناث. ومن بداية الخامسة عشر حتى نهاية السابعة عشر عند الذكور بل إن البروفيسور (جاى جيد) رئيس وحدة تصوير المخ لدى الأطفال بمعهد الصحة العقلية الأمريكى، يرى أنها تمتد إلى سن الخامسة

والعشرين، حيث يقول/ يمكن القول أن المخ يصل إلى مرحلة النضج الكامل فى سن ٢٥ سنة[1]، وعلى أية حال فإن هناك الكثير والكثير مما يدعوا إلـى أن تكون المرأة فى بيتها دائماً وخاصة إذا كانـت المـرأة لـديها أولاد لأن الوظيفة الأولى والأخيرة للمرأة. هى تربية الأجيال فالأم كما يقول الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعـــددتها	أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحـيا	بالـــرى أورق أيما إيراق
الأم أستاذ لأسـاتذة الألـى	شغلت مآثرهن مدى الآفاق

وللشاعر ناصر الجيلانى أبيات توحى بأن أفضل وظيفة للمرأة هـى أن تكون أماً، يقول فيها:

أماهُ لســتُ أريدُ غيركِ موطناً	وكفى بحبِّـــكِ للقصائدِ منبرا
ما كنتُ أدرك حيـن كنتُ أقولُها	أنّى ســأعتنق الحنينَ الأكبرا
فلأنتِ أمى والأمـــومةُ كوكبُ	مَلأتْ سماءَ الكونِ لوناً أخضرا
ولأنت بيتى والبــرودة فى دمى	من غربتى فأسير أرجف حائرا

وأنا لست ممن يتحيز للرجل دون المرأة أو للمرأة دون الرجل ولكن مهمتى هنا هى البحث عن السعادة فأيمـا امـرأة أرادت السـعادة فلتسـمع نصيحتى، وأما من أرادتُ الشقاء لنفسها وزوجها وأولادهـا فهـى وشـأنها ولتفعل ما تشاء.... ويكفى للمرأة التـى أرادت السـعادة أن تسـتمع إلـى اعترافات هؤلاء النساء اللاتى خرجن للعمل واعترفن بأحقية البيت للمـرأة، فهن قصرن عليها الطريق ووفرن عليها مرارة التجربة.

---

[1] الأهرام المسائى٥/٦/٢٠٠٤ (أسئلة مجلة التايم ترجمها د. سمير محمود)

وفى النهاية أقول: إن إتباع تعاليم القرآن الكريم هو الشئ الوحيد الذى يستطيع أن يضمن لك السعادة فى الدنيا والآخرة لأن القرآن يدعوا إلى كل خير وينهى عن كل شر. وهذا هو ضمان السعادة. ولذا قال رسول الله ﷺ: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً: كتاب الله وسنتى" وقال أيضاً: "من أراد الدنيا فعليه بالقرآن ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن ومن أرادهما معاً فعليه بالقرآن".

وقال ﷺ: "كتاب الله تعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم وهو الفصل، ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله تعالى وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق (ولا يبلى) على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً. يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾ من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم[١]. وقال سبحانه وتعالى: {إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً}[٢].

فالقرآن الكريم يعد دستورا ربانيا يهدى العالمين إلى خير الدنيا والآخرة ويخرجهم من الظلمات الى النور ويعالج ما بهم من خلل واضطراب

---

(1) أخرجه الترمذى فى سننه

(2) سورة الإسراء آية: ٩.

ليكونوا سعداء في الدنيا وفي جنات النعيم في الآخرة ولذا فالقرآن الكريم منهج حياة متكامل يوجد فيه ما يحتاج إليه كل إنسان، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[١].

كما أن في القرآن شفاء للأمراض النفسية والجسدية كما يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾[٢] فهو يرشد إلى تحقيق الأمن النفسي والسعادة الروحية التي لا تقابلها أي سعادة أخرى ولو ملكت كنوز الدنيا وما فيها، ويحقق السكينة والاطمئنان لقول النبي ﷺ: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده"[٣].

وما يدل على أن سماع القرآن له أثره على الأمن النفسي، فقد أجريت أبحاث على مجموعة من المتطوعين في الولايات المتحدة عند استماعهم للقرآن، وتم تسجيل أثر مهدئ لتلاوة القرآن على نسبة بلغت ٩٧% من مجموع الحالات، ورغم وجود نسبة كبيرة من المتطوعين لا يعرفون اللغة العربية إلا أنه تم رصد تغيرات فسيولوجية لا إرادية عديدة حدثت في الأجهزة العصبية لهم مما أدى إلى تخفيف درجة التوتر لديهم بشكل ملحوظ.

ليس هذا فقط، فلقد تمت تجربة دقيقة بعمل رسم تخطيطي للدماغ أثناء الاستماع إلى القرآن فوجد أنه مع الاستماع إليه تنتقل الموجات الدماغية

---

(1) الأنعام: ٣٨

(2) الإسراء: ٨٢

(3) رواه مسلم

من النسق السريع الخاص باليقظة (١٣-١٢) موجة/ثانية إلى النسق البطيء (٨-١٨) موجة/ثانية وهى حالة الهدوء العميق داخل النفس، وأيضاً شعر غير المتحدثين بالعربية بالطمأنينة والراحة والسكينة أثناء استماعهم لآيات كتاب الله برغم عدم فهمهم لمعانيه!! وهذا من أسرار ومعجزات القرآن الكريم.

وليس هذا فحسب، فمن المعلوم طبياً أن التوتر والقلق يؤدى إلى نقص فى مناعة الجسم ضد الأمراض، ولما كان قارئ القرآن بتدبر ويزيد استقراره نفسياً، فقد نتج عن ذلك زيادة مناعة جسمه ومقاومته للأمراض، ولذا تجد أغلب حفظة القرآن يقل تعرضهم للأمراض(١).

وكما أن القرآن يعمل على الاستقرار النفسى فى الدنيا فهو كذلك فى الآخرة فعن عبدالله بين مسعود ــ رضى الله عنه ــ قال: "القرآن شافع مشفّع – أى يطلب الشفاعة لصاحبه وتعطى له – ما حل مصدّق، فمن جعله إمامه – أى قرأه وعمل به – قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار"(٢).

ويقال إن عدد درجات الجنة بعدد آيات القرآن، فيقال لقارئ القرآن يوم اقليامة: اقرأ وارق، فإن كان معه نصف القرآن يقال له: لو كان عندك زيادة لزدناك، وكما قال ﷺ: "يقال لصاحب القرآن اقرأ ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها"(٣).

---

(1) علم النفس فى القرآن الكريم للدكتور سعد رياض، مؤسسة اقرأ ٢٠٠٤.
(2) صحيح
(3) ابن ماجه وأحمد

كما أن كرامة القرآن يوم القيامة لا تعود إلى قارئه فقط بل تعود أيضاً على والديه، فعن أبى أمامة ــ رضى الله عنه ــ قال: حرضنا رسول الله ﷺ ــ على تعلم القرآن، ثم أخبرنا عن فضله وقال: "إن القرآن يأتى أهله يوم أحوج ما يكون إليه، قال: فيقدم على صاحبه بأحسن صورة له، فيقول: أتعرفنى؟ فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا الذى كنت تحبه وتكرمه وكنت تسهر ليلك بى، وتدأب نهارك، يعنى من عادتك أن تقرأ نهارك. قال: فيقول: لعلمك القرآن، ثم يقدم على الله فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويوضع تاج الملك على رأسه، ويلبس والداه المسلمان حلتين ما يقوم بهما الدنيا وأضعافها فيقولان: من أين لنا هذا ولم تبلغه أعمالنا؟ فيقال لهما: بفضل ولدكما بقراءة القرآن أعطيتما ذلك"

كما أن القرآن يشتمل على كل شئ من علوم وحياة وأدب، وفلك، وطب، وغيرها... وقد أوضح ذلك الأستاذ على فهمى طمان فى رسالته (القرآن الكريم) ويبين أنه جاء وافياً بجميع حاجات الناس أفراداً وجماعات بحيث يغنى عن غيره ولا يغنى عنه غيره.

١- فإذا كان الناس فى حاجة إلى طعام وشراب ولباس وزينة فقد أباحها القرآن.

- "يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالاً طيباً" (البقرة: ١٦٨)
- يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا" (الأعراف:٣١)

٢- إذا احتاج الناس إلى قيم روحية وأخلاق فاضلة فليس فى الدنيا كتاب دعا إلى مكارم الأخلاق وأمهات الفضائل كما فعل القرآن الكريم.

*** فقد دعا إلى العفة وغض البصر والتحصن بالزواج.**

– "قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم" (النور: ٣٠)

– "وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن" (النور: ٣١)

– "وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمآئكم" (النور: ٣٢)

– "ومن آياته خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها" (الروم: ٢١)

*** ونهى المرأة عن الميوعة والانحلال:**

"فلا تخضعن بالقول" (الأحزاب: ٣٢)

*** ونهى عن إختلاط الرجال بالنساء:**

"وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن" (الأحزاب : ٥٣)

*** وأمر المرأة أن تبقى فى بيتها إلا للضرورة:**

– "وقرن فى بيوتكن" (الأحزاب: ٣٣)

*** وأمر بالحجاب ونهى عن التبرج:**

– "ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى" (الأحزاب: ٣٣)

– "وليضربن بخمرهن على جيوبهن" (النور: ٣١)

*** وأمر بالإحسان إلى الزوجة والزوجة بطاعة زوجها:**

– "وعاشروهن بالمعروف" (النساء: ١٩)

– "فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً" (النساء: ٣٤)

*** "وأمر بالصدق ونهى عن الكذب".**

– "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" (التوبة: ١١٩)

– "قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون" (يونس: ٦٩).

* **أمر بأداء الأمانة**

- "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها" (النساء: ٥٨)
- "فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذى اؤتمن أمانته" (البقرة: ٢٨٣)
- "يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم " (الأنفال: ٢٧)

* **أمر بالوفاء بالعهود والعقود:**

- "وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم" (النحل: ٩١)
- "يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود" (المائدة: ١)
- "وأفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا" (الإسراء: ٣٤)
- "والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون" (المؤمنون: ٨)

* **أمر بالتواضع ورفع من قدر المتواضعين**

- "واخفض جناحك للمؤمنين" (الحجر: ٨٨)
- "وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً" (الفرقان : ٦٣)
- "ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً" (لقمان: ١٨)

* **وأمر بإلقاء السلام ورد التحية:**

- "فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحيةً من عند الله مباركة طيبةً" (النور: ٦١)
- "وإذ حُييتم بتحيةٍ فحيُوا بأحسن منها أو ردوها" (النساء:٨٦)

* **حرم الإسراف والتبذير:**

- "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً" (الإسراء: ٢٩)

* **ودعا إلى الأمل والرجاء وحذر من اليأس والقنوط:**

- "إنه لا ييأس من رَّوح الله إلا القوم الكافرون" (يوسف:٨٧)

- " قال ومن يقْنَط من رحمة ربه إلا الضالون" (الحجر:٥٦)

*** أوصى بالإخوة والمحبة والتسامح والرحمة.**

- "إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم" (الحجرات:١٠)
- "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض" (التوبة: ٧١)
- "ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىُّ حميم" (فصلت: ٣٤)
- ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة" (البلد:١٧)
- "محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحمآء بينهم" (الفتح: ٢٩)

*** أمر بالعدل:**

- "يا أيها الذين آمنواْ كونواْ قوّامين لله شهدآء بالقسط ولا يَجْرِمَنَّكُم شَنَئَانُ قوم على ألا تعدلواْ. اعدلواْ هو أقرب للتقوى" (المائدة:٨)
- " وإذا قلتم فاعدلواْ ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفواْ" (الأنعام: ١٥٢)

*** وأمر بإيفاء الكيل والميزان:**

- "وأوفواْ الكيل ولا تكونوا من المخسرين * وزنوا بالقسطاس المستقيم * ولا تبخسوا الناس أشياءهم" (الشعراء: ١٨١، ١٨٢، ١٨٣)
- "ويل للمطففين الذين إذا اكتالواْ على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون" (المطففين ١، ٢، ٣)

*** أوصى باليتيم:**

- "ويسألونك عن اليتامى قل إصلاحٌ لهم خير" (البقرة:٢٢٠)
- "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً" (النساء: ١٠)
- " فأما اليتيم فلا تقهر" (الضحى: ٩)

***أوصى ببر الوالدين:**

- " وقضى ربك ألا تعبدواْ إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا" **(الإسراء:٢٣، ٢٤)**

- "ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهنٍ وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلىَّ المصير * وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علمٌ فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً" **(لقمان: ١٤)**

*** صلة الرحم**

- "واتقوا الله الذى تسآءلون به والأرحام" **(النساء: ١)**
- "وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض" **(الأنفال: ٧٥)**
- "قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى" **(الشورى: ٢٣)**

*** حق الجار:**

- "واعبدوا الله ولا تشركواْ به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب" **(النساء:٣٦)**

*** أمر بالصبر وأعلم الصابرين بأن الله معهم.**

- "يا أيها الذين آمنواْ استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين" **(البقرة: ١٥٣).**

*** أمر بالتوكل:**

- "فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين"(آل عمران: ١٥٩)
- "ومن يتوكل على الله فهو حسبه" **(الطلاق:٣)**

*** أمر باجتناب الزور:**

- "واجتنبواْ قول الزور" **(الحج:٣٠)**

- "والذين لا يشهدون الزور وإذا مرُّواْ باللغو مرُّواْ كراماً" (الفرقان:٧٢)

***أمر بالإصلاح بين الناس:**

- " فاتقوا الله وأصلحواْ ذات بينكم" (الأنفال:١)
- " إنما المؤمنون إخوةُ فأصلحوا بين أخويكم" (الحجرات:١٠)

*** أمر بالتعاون:**

- "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" (المائدة: ٢)

٣- أمر المسلمين أن يعدوا القوة لصد غارات الأعداء:

- "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رِّباط الخيل ترهبون بـه عـدوَّ الله وعدُوَّكُم" (الأنفال: ٦٠)

٤- أمرهم بالتسلح بالعلم، وفضل العلماء.

- "وقل ربى زدنى علماً" (طه: ١١٤)
- "قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون" (الزمر: ٩)
- "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" (المجادلة: ١١)
- "إنما يخشى الله من عباده العلماء" (فاطر: ٢٨)

٥- أشتمل القرآن على كل العلوم:

- فمن الناحية البيانية هو أبلغ وأفصح أسلوب عربى عرفه الناس.
- ومن الناحية العلمية فقد تناول علوم الطبيعة والكيمياء والفلك والأحياء وعلوم النفس والاجتماع والتاريخ، وكلما أثبت العلماء شيئاً في الكـون وجدوه مذكوراً في القرآن.

ومثال ذلك ما ذكره فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى (الأدلة المادية على وجود الله) حيث يبين ما أثبته العلماء بأن الناس يعيشون داخـل

الأرض ولا يسيرون عليها لأن الغلاف الجوى يعتبر جزءاً من الأرض، ولا نخرج من الأرض إلا إذا خرجنا من الغلاف الجوى، حتى أن الطائرة التى تسير على ارتفاعات كبيرة لا تخرج من الأرض. فوجد العلماء أن هذا مذكوراً في القرآن منذ أربعة عشر قرناً من الزمان فى قوله تعالى:

﴿قل سيروا فى الأرض﴾ (العنكبوت)

كما أثبت العلماء أن العين لا تضئ بنفسها بل إن الضوء يسقط على الشئ وينعكس على العين فيسبب الإبصار وهذا ما أثبته العالم العربى المسلم (الحسن بن الهيثم) فوجدوه أيضاً مذكوراً فى القرآن فى قوله تعالى: ﴿فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾[1] وذلك لأن النهار يكون فيه الضياء الذى يسقط على الأشياء وينعكس على العين فيسبب الإبصار.

أما عن خلق الإنسان فبعد أن توصل العلم حديثاً إلى معرفة أطوار الجنين فى بطن أمه ومراحل نموه فى الرحم، وجدوا كل هذا مذكوراً فى القرآن فى قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[2]

وقيل للعالم الكندى "كيث ل.مور" هل كان من الممكن أن يعرف رسول الله ﷺ هذه التفصيلات، عن أطوار الجنين...قال مستحيل: "إن العالم كله فى ذلك الوقت لم يكن يعرف أن الجنين يخلق أطواراً، فما بالكم بتحديد

---

(1) (الإسراء:١٢)

(2) (المؤمنون ١٢-١٤)

مراحل هذه الأطوار التى لم يستطيع العلم حتى الآن أن يحددها بهذه السهولة والدقة، بل إن العلم لم يستطع حتى الآن تسمية أطوار الجنين؛ بل أعطاهـا أرقاماً بشكل معقد غير مفهوم، فى حين جاءت فى القرآن بأسـماء محـددة وبسيطة وغاية فى الدقة، ومن هنا يتضح لى أن هذه الأدلة جـاءت حتمـاً لمحمد من عند الله تعالى، وهذا يثبت لى أن محمداً رسول الله".

ولما سمع العالم التايلاندى (تاجاثات جاسن) هذه الآيات فقال: أهـذا الكلام قيل منذ أربعة عشر قرناً؟ قالوا نعم. فقال: إن هذه الحقيقة لم يعرفهـا العلم إلا حديثاً، ولا يمكن أن يكون قائلها بشراً، بل هـى مـن الله سـبحانه وتعالى، ولقد حان الوقت لأن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وشئ آخر يدل على أن القرآن لم يترك شيئاً ولو كان ضئيلاً، فقـد أثبت العلماء أن الأعصاب موجودة تحت الجلد، لـذا فـإن الجلـد مركـز الإحساس فى الجسم، فإذا احترق الجلد لا تشعر بأى عذاب بعد ذلـك أو أى ألـم فوجـدوها موجـودة فـى القـرآن فـى قولـه تعـالى:

﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ [١]

كما أن البرفوفيسور "دورجاروا" أستاذ علم جيولوجيا البحار بين أنه يوجد فى البحار على عمق مائتى متر ظلمة شديدة لا يستطيع أحد أن يـرى يده فيها ثم فوقها موج ثم تظهر ألوان الطيف تدريجياً إلـى أن نصـل إلـى الأمواج التى على سطح الماء. وقد وجدوا هذا فى القرآن فى قوله تعـالى:

---

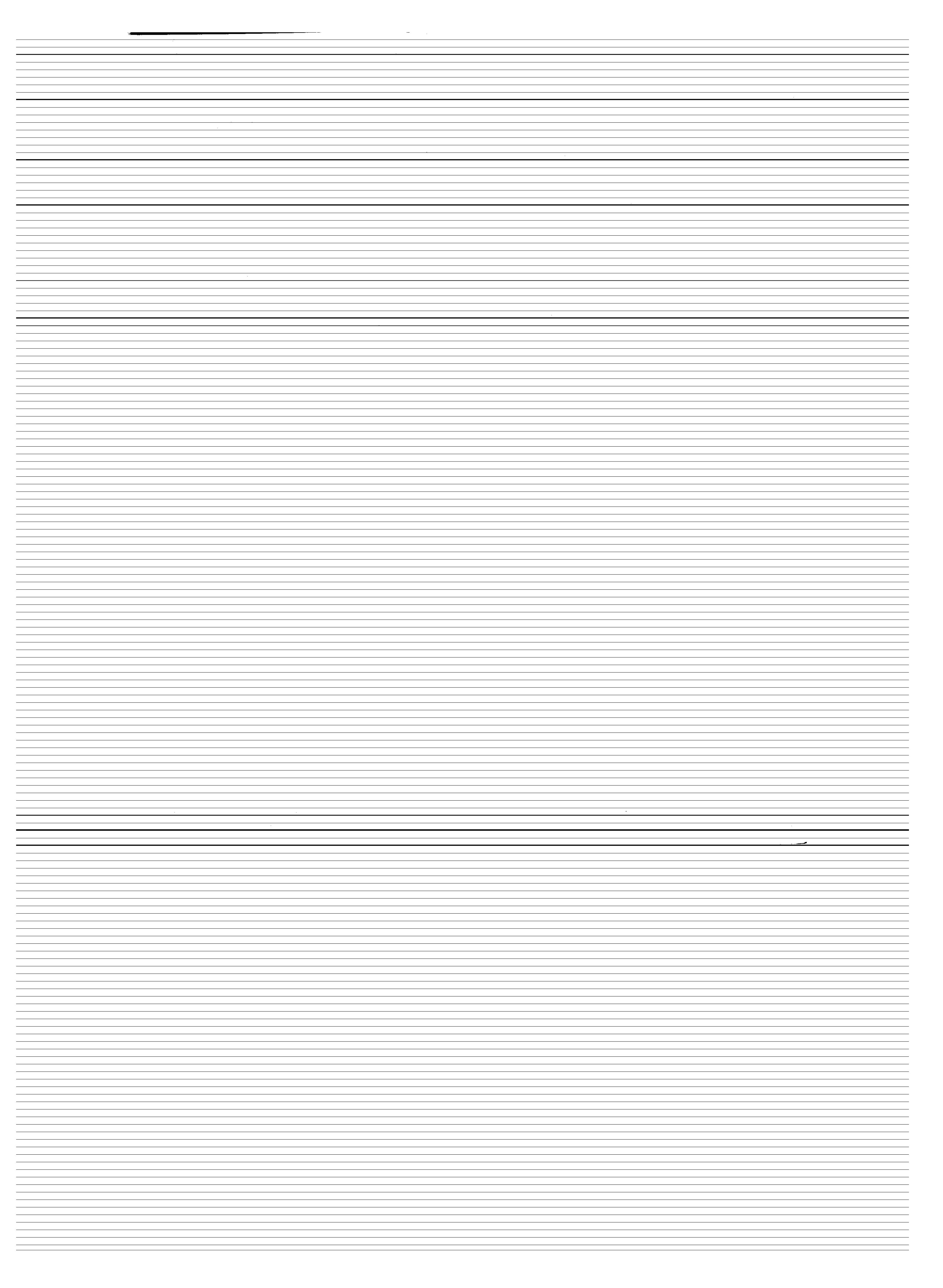
[١] (النساء:٥٦)

﴿أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ [١]

وقد ذكر الأستاذ/ محمد حسن قنديل فى كتابه (مواقف وإعجازات وقدرة الله البديع) الكثير من الدلائل التى تدل على أن القرآن كتاباً شاملاً لكل العلوم ولكل نواحى الحياة. وهو الدستور الكامل، والذى يدعواْ إلى كل الفضائل وأن فيه الحضارة والتقدم والعلم والسعادة فى الدنيا والآخرة، فعودوا إلى قرآنكم يا أمة الإسلام فإنه يقدم لكم السعادة على طبق من ذهب.

---

(1) (النور: ٤٠)



المصادر والمراجع

١- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن ضوء بن درع القرشي البصروى ثم الدمشقي، أبو الفداء عماد الدين بن كثير.
- تفسير القرآن العظيم، تحقيق طه عبد الروف سعد. المنصورة، مكتبة الإيمان، ط. أولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
٢- السيد سابق، فقه السنة، القاهرة، دار الفتح للإعلام العربي، ط. عاشرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
٣- ابن حجر العاسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل بن على بن محمد بن حجر العسقلاني.
- فتح البارى بشرح صحيح البخارى، تحقيق محمد فؤاد عبد الباق. دار الريان للتراث، ط. أولى، ١٩٨٦م.
٤- ابن حزم الأندلسي، أبو محمد على بن أحمد بن حزم.
- طوق الحمامة فى الإلفة والألاف، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد القاهرة، دار الحرم للتراث، ط. أولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٥- إبن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (صاحب العقد الفريد).
- طبائع النساء، تحقيق محمد إبراهيم سليم، القاهرة، مكتبة القرآن، ١٩٨٥م.
٦- أوجست فور بل (دكتور)
- المسألة الجنسية، نقله إلى العربية (عن الترجمة الإنجليزية للطبعة الألمانية الثانية) دكتور صبرى جرجس. مصر، دار الجوهرى.
٧- الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالى
- إحياء علوم الدين، تحقيق الشحات الطحان، عبدالله المنشاوى، المنصورة، مكتبة الإيمان ط. أولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
٨- أحمد بن عبدالله بن حميد، طالب العلم بين الحق والواجب، اليمن، دار الصديق، إسكندرية، دار الإيمان، ٢٠٠٢م.
٩- شمس الدين الذهبى، مؤرخ الإسلام الإمام الحافظ شمس الدين الذهبى. كتاب الكبائر، إسكندرية، دار الدعوة.
١٠- النووى، الإمام محى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين بن مرى الخزامى الحوارى الشافعى، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تحقيق إبراهيم محمد الجمل. دمنهور، مكتبة الأصولى، القاهرة، دار العلم للتراث.
١١- مصطفى بن العدوى شلباية، مخارج من الفتن، طنطا، مكتبة مكة، ط. أولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- روضة المحبين فى فضائل صحابة النبى الأمين، القاهرة، مكتبة الصفا، ط. أولى، ١٤٢٠هـ/١٩٦٦م.
١٢- صفوت زيد (دكتور). هذا ... هو الحب. ط. أولى، ٢٠٠١م.
١٣- سلطان الخطيب. رسائل إلى ... الجنس اللطيف، القاهرة، دار التقوى، ط. أولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
١٤- على القرنى. أختاه هل تريدين السعادة؟ تحقيق محمد سيد، القاهرة، مكتبة العلم، ط. أولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
١٥- صبرى عبد الرؤوف محمد عبد القوى (دكتور). زينة المرأة المسلمة (دراسة فقهية مقارنة)، القاهرة، دار أدهم، ط. أولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٦- صلاح الدين محمود السعيد، عندما ينتحر العفاف، دمياط، مكتبة الحسن والحسين. ط. أولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٧- الشعراوى، فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى.
- الأدلة المادية، على وجود الله، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- الفتاوى، إعداد الدكتور السيد الجميلى، القاهرة، أخبار اليوم.
- المرأة فى القرآن الكريم، القاهرة، مسسة أخبار اليوم، ١٩٩٠.

١٨- عادل فتحى عبدالله، ٣٥ نصيحة للفتاة فى سن المراهقة، إسكندرية، دار الإيمان، ١٩٩٩م.
- كيف تصبحين أماً مثالية. الدار الذهبية، ٢٠٠١م.

١٩- عبد العزيز بن عبدالله بن باز، التبرج وخطر مشاركة المرأة للرجل فى ميدان عمله. السعودية، دار بن خزيمة، ط. أولى،١٤١٦هـ.

٢٠- السمرقندى، الإمام أبو الليث نصر بن محمد الحنفى السمرقندى. تنبيه الغافلين، تحقيق السيد العربى، المنصورة، مكتبة الإيمان، ط. اولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤.

٢١- مجدى محمد الشهاوى، الخلافات الزوجية (الأسباب ★ العلاج) المنصورة، مكتبة الإيمان، ط. أولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٢٢- عبد الغنى محمد، الرسالة وإعادة الاتزان، القاهرة، مطابع الأهرام ١٩٩٩م.

٢٣- مصطفى محمود (دكتور)، الأحلام، القاهرة، دار المعارف، ط.٤، ١٩٩٢م.
- على حافة الانتحار، القاهرة، دار اخبار اليوم، ط.٥، ١٩٩٦م.

٢٤- عصام بن محمد الشريف، عقبات فى طريق الأخوات وكيفية التغلب عليها، الإسكندرية، دار الإيمان.

٢٥- مجدى كامل، فنانات وراء الحجاب. القاهرة، مركز الراية للنشر والإعلام، ط.أولى، ١٤١٣هـ١٩٩٣م.

٢٦- طه عبد الرؤوف سعد (دكتور) - سعد حسن محمد (دكتور)، فتاوى صادقات للمسلمين والمسلمات،مكتبة العلم الإسلامية، ٢٠٠١.

٢٧- محمد حسن قنديل، مواقف وإعجازات وقدرة الله البديع، كفر الدوار، مكتبة بستان المعرفة، ط.أولى،٢٠٠١م.

٢٨- محمد بن لطفى الصباغ، تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية والإختلاط المستهتر، القاهرة، مكتبة العلم، ١٩٩٨.

٢٩- صفى الرحمن المباركفورى، الرحيق المختوم (بحث فى السيرة النبوية)، المنصورة، مكتبة الإيمان، ط. أولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٣٠- نخبة من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإسكندرية، الأنثروبولوجيا (بحوث ودراسات تطبيقية)، إسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣م

٣١- سعد رياض (دكتور)، علم النفس فى القرآن الكريم، القاهرة، مؤسسة اقرا، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤.
- علم النفس فى الحديث الشريف، القاهرة، مؤسسة اقرا،١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

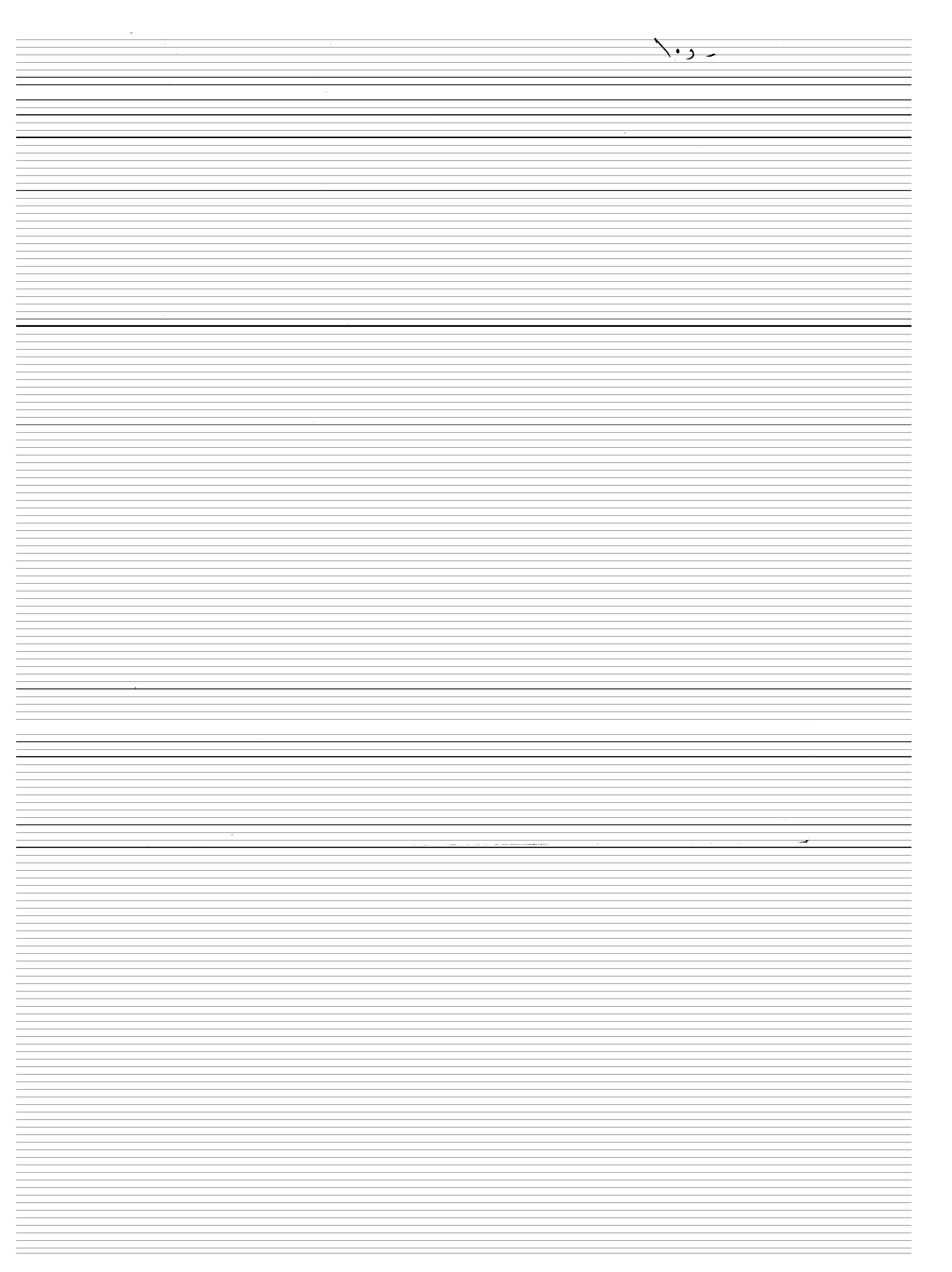
٣٢- عبد الرحمن العيسوى (دكتور)، علم النفس الحديث (دراسة فى علم السلوك) - دار المعرفة الجامعية

٣٣- محمد الغزالى، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، القاهرة، دار الشروق، ط١ .أولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م
- محمد الغزالى، خلق المسلم، إسكندرية، دار الدعوة، ط. خامسة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤
- محمد الغزالى، جدد حياتك، القاهرة، نهضة مصر، ط. ٨، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م
- محمد الغزالى، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، القاهرة. المكتبة التجارية، ط. أولى ١٩٦٣م.

٣٤- محمد قطب، جاهلية القرن العشرين، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- محمد قطب، قضية تحرير المرأة،الرياض، دار الوطن،ط. أولى، ١٤١٠هـ.
٣٥- محمد معروف الدواليبى (دكتور)، موقف الإسلام من العلم واثر الرسالة الإسلامية فى الحضارة الإنسانية، القاهرة، دار الشواف ١٩٩٣م.
٣٦-عزت الطويل (دكتور)، الشباب بين الجنس والدين، إسكندرية، مركز الوطن العربى للنشر والإعلام، ١٩٨٩.
٣٧- سهيلة زين العابدين حماد (دكتورة)، دور المرأة المسلمة فى وضعنا الراهن، جدة، الدار السعودية، ط١. أولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
٣٨- ناصف سليم، طريق الشباب فى الإسلام،القاهرة، المطبعة العربية، ط. أولى، المطبعة العربية ٢/٦٨
٣٩- محمد بن عبد الله الدرويش، يا بنى لقد أصبحت رجلاً،الرياض، مؤسسة الجريسى للتوزيع والإعلان، ط. أولى، ١٤١٨هـ
٤٠- صفوك سعد الله المختار، أنيس المؤمنين، مكتبة الإيمان المنصورة، ط. أولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٤١- على الطنطاوى، المثل الأعلى للشباب، جده، دار المنار، طنطا، دار البشير.
٤٢- محمود مهدى الاسطنبولى، تحفة العروس (الزواج الإسلامى السعيد) بيروت، بساط، ط. رابعة.
٤٣- مصلح محمد، الاختيار الجنسى والخلقى للزواج، دار النشر هاتييه، ١٩٩٣.
٤٤- محمد حسين، العشرة الطيبة مع الرجل،إسكندرية، دار المدائن، ط. ثانية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢.
- محمد حسين، العشرة الطيبة مع المرأة،إسكندرية، دار المدائن، ط. ثانية، ١٤١٢هـ/١٩٩٩.
٤٥- على عبدالله طنطاوى، أحكام الأسرة بين الشرع والقانون، القاهرة، دار الأنصار ١٩٨٠.
٤٦- عبدالله عبد الفتاح، أخطار تهدد البنات، إسكندرية، دار العقيدة، ط. أولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٤٧- محمد بن جميل زينو، توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، طنطا، دار البشير للثقافة والعلوم.
٤٨- إبراهيم محمد عبد الباقى (دكتور)، الدين والعلم الحديث، المكتبة التجارية.
٤٩- محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، عودة الحجاب، القاهرة، دار الصفوة، ط. سادسة، ١٤١٤هـ.
- محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، الحياء خلق الإسلام، القاهرة، دار الدعوة السلفية، ط. أولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
٥٠- القرطبى، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى، الجامع لأحكام القرآن الكريم، بيروت، دار الكتب العلمية،ط. أولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م
٥١- عبدالله ناصح علوان (دكتور)، تربية الأولاد فى الإسلام، دار السلام، ط: ٢٥، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٥٢- إبراهيم محمد القبلاوى (دكتور). رياض المتقين فى شرح جملة من حديث الصحيحين، طنطا، مكتبة الأزهر الحديثة،١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م
٥٣- محمد بن يوسف الكاندهلوى، حياة الصحابة، تحقيق الدكتور محمد بكر إسماعيل، القاهرة، دار الحديث ط. أولى،١٩٩٣م.
٥٤- ابن القيم، الإمام شمس الدين أبو بكر بن قيم الجوزية.

- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق محمد بيومى،المنصورة، مكتبة الإيمان. ط. أولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٥٥- على الطهطاوى، كيف تسعدين زوجك، مكتبة الصفا
٥٦- مختارات من المكتبة الإسلامية، الاختلاط بين الجنسين فى نظر الإسلام.
٥٧- على فهمى طمان، القرآن الكريم، إسكندرية، مطبعة التقدم.
٥٨- محمد صالح المنجد، العادة السيئة، مكتبة العلم.
٥٩- وزارة الأوقاف: بالإيمان والأخلاق تتبنى الأمم.
٦٠- حسين مؤنس (دكتور) المرأة فى منظور الإسلام، القاهرة، دار الصحوة، ط. أولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٦١- محمد بن صالح العثيمين، من مشكلات الشباب، الرياض، دار الوطن للنشر.
٦٢- محمد بن عبدالله الحمود، من ينصف المرأة، الرياض، دار ابن خزيمة، ط. أولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٦٣- ناصر الجيلانى (شاعر)، القصائد الحائرة، القاهرة، المطبعة الفنية، دقهلية، مطبعة الأمل، ١٩٨٧م.
٦٤- عبد القادر أحمد عطا، اللقاء بين الزوجين فى ضوء الكتاب والسنة، القاهرة، دار التراث العربى، ط. أولى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٦٥- السيد عسكر، آثار المعاصى والذنوب، طنطا، دار البشير للثقافة والعلوم، ط. ثانية، ١٩٩٧م
٦٦- مجدى الهلالى، (الله.... أو .... الدمار)، اسكندرية، دار الدعوة، ط. أولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٦٧- يوسف القرضاوى، (دكتور)، الحلال والحرام فى الإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، ط:٢٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م
٦٨- محمد رشيد رضا، نداء للجنس اللطيف، فى حقوق النساء فى الإسلام وحظهن من الإصلاح المحمدى العام، وضع هوامشه عصام الدين سيد الصبابطى.، القاهرة، دار الحديث، ١٩٩٢م.
٦٩- بديع الزمان سعيد النورسى، مرشد الشباب للنجاة فى يوم الحساب (من كليات رسائل النور) ترجمة إحسان قاسم الصالحى. القاهرة، شركة سوزلر للنشر، ط. رابعة، ٢٠٠٤م.
- مرشد أخوات الآخرة (من كليات رسائل النور) ترجمة إحسان قاسم الصالحى. القاهرة، شركة سوزلر للنشر، ط. رابعة، ٢٠٠٤م
- الخطبة الشامية (صرخة حياة فى موات أمة)، ترجمة إحسان قاسم الصالحى القاهرة، شركة سوزلر، ط. ثالثة، ٢٠٠٠م.
٧٠- خديجة النبراوى، الحب بين الوهم والحقيقة (بحث مستقى من كليات رسائل النور للإمام الجليل سعيد النورسى)، القاهرة، سوزلر، ط. ثانية، ٢٠٠٢م.
- دور كليات رسائل النور.. فى.. يقظة الأمة، القاهرة، سوزلر، ط. أولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م
٧١- على منصور، الدين وقوانين الأحوال الشخصية.
٧٢- يوسف القرضاوى (دكتور)، الإيمان والحياة، القاهرة، مكتبة وهبة، ط. تاسعة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م
٧٣- عادل عبدالله محمد (دكتور)، دراسات فى الصحة النفسية، القاهرة، دار الرشاد، ط. أولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

المحتويات


١٠٩ -